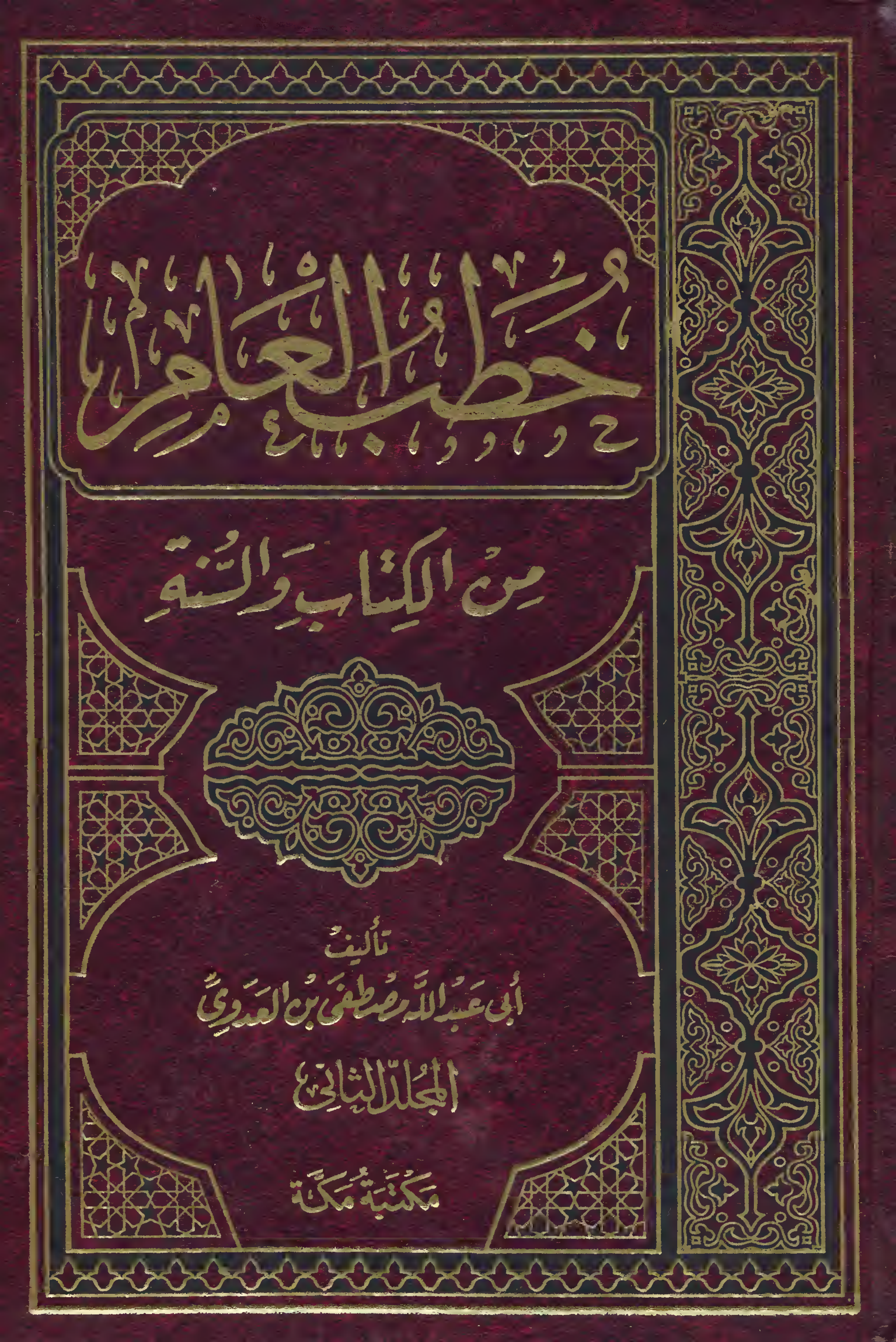


خطب العام
من الكتاب والسنة
تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي
المجلد الثاني
مكتبة مكة



المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

(١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م)

رقم الإيداع

(١٩٨٤٠ / ٢٠٠٦)

خطب العام ﷺ

مِنَ الكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ

تأليف

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنِ العَدَوِيِّ

المجلد الثاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[(١)].

وبعد:

فهذا المجلد الثاني من كتابي «خطب العام»، أقدمه لإخواني الخطباء، وأئمة المساجد سائلًا الله عزَّ وجل أن ينفعني وإياهم به، وقد راعيت فيه ما سبقت الإشارة إليه من الحرص على أن تكون الخطب خالية من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأن تكون مدعمة دومًا بالآيات والأحاديث الصحيحة، إذ الله قال: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

هذا؛ وأعتذر عن كون بعض الخطب - بل كثيرٌ منها - قد طال عن الحد

---

(١) هذه الخطبة باستثناء قوله: «ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا» موجودة في مسلم جزء منها من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا إلى قوله: «أما بعد» (مسلم ٨٦٨) والآخر وهو قوله: «أما بعد فإن خير الحديث ...» في مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا (مسلم ٨٦٧) أما قوله: «ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا» فهي صحيحة لكنها في غير مسلم.

المطلوب وخرج عن القدر المسموح به في بعض المساجد، وعذري في ذلك - وأسأل الله أن يتقبله - أن كثيرًا من الخطب موضوعات تحتاج إلى أن تكون متماسكة متكاملة، ثم إن الخطيب له أن ينتقي منها ما يشاء ويدع ما يشاء حسب ما يتراءى له، وحسب القدر الزمني المسموح به.

وقد راعيت أيضًا أن يكون المجلدان (الأول الذي صدر، وهذا الثاني الذي أقدمه) قد حويا أركان الإسلام، وأركان الإيمان بالدرجة الأولى، فقد جمعا: أبواب الشهادتين، والتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، وحج بيت الله الحرام، وكذا الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وكذا ما يتعلق بالجنة والنار ووصفهما والتذكير بما فيهما، وكذا سائر الموضوعات التي تهم عموم المسلمين.

وكنت في تخريج الأحاديث مقتصدًا مؤديًا للغرض المطلوب بحمد الله.

فالله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن يتجاوز عن زلاتي وهفواتي وتقصيري، وأن يغفر لي ولوالدي، ولأهلي وذريتي، والمسلمين والمسلمات.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

منزلة الوضوء وفضله

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فأذكر نفسي وإياكم بأمر يجلب لنا محبة ربنا سبحانه وتعالى ويورثنا الله به فسيح الجنان، ويرفع الله لنا به الدرجات إنه أمرٌ سهل ويسير، ولكنه يسير على من يسره الله تبارك وتعالى عليه، إنه الوضوء والتطهر.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وقال سبحانه في شأن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.

فهاهي بارك الله فيكم طائفة من الأحاديث الواردة عن نبينا محمد ﷺ تبين هذا الفضل وعظيم قدره، فأقول وبالله التوفيق.

إن الطهور شطر الإيمان

ففي صحيح مسلم[١]: من حديث أبي مالك الأشعري؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ[٢] شَطرُ الإيمَانِ»[٣].

والصلاة التي هي عمود الدين لا تقبل بغير طهور

فعن ابن عمر[٤] رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ

(١) مسلم: حديث رقم: (٢٢٣).
(٢) الطُّهور «بالضم» يراد به الفعل الذي هو المصدر، كالوضوء أما الطَّهور «بالفتح» فالمراد به الماء الذي يتطهر به، كالوضوء.
(٣) الشطر: النصف، وشطر الإيمان أي نصف الإيمان.
(٤) مسلم: حديث رقم (٢٢٤).

بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»(٢).

وعن علي(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ» حسن لشواهده.

ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن

أخرج الإمام أحمد(٤) في مسنده بسند صحيح بمجموع طرقه وشواهده عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْمَلُوا وَخَيِّرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ».

وإسباغ الوضوء على المكاره سبب لرفع الدرجات ومحو الخطايا

ففي صحيح مسلم(٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:

(١) الغلول: الخيانة، والمراد المال المسروق من مال الغنيمة قبل قسمتها.
(٢) مسلم: حديث (٢٢٥)
(٣) أبو داود حديث: (٦١) والترمذي: (٣) وغيرهما وفي سنده ضعف، لكنه يحسن لشواهده، والله أعلم.
(٤) أحمد (٥/ ٢٨٢).
(٥) مسلم: (٢٥١).

«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ(١)، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» (٢).

وفي الصحيح(٣) أن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ (٤). ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ (٥)، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هَذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلَاةِ.

---

(١) «إسباغ الوضوء على المكاره» المكاره جمع مكره. وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه. والكره، بالضم والفتح، المشقة. والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء.

(٢) «فذلكم الرباط» أي الرباط المرغَّب فيه. وأصل الرباط الحبس على الشيء. كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة. وفي رواية: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» مرتين.

(٣) مسلم: (٢٢٦).

(٤) الاستنثار: إخراج الماء من الأنف بعد الاستنشاق.

(٥) «لا يحدث فيهما نفسه» المراد لا يحدث بشيء من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة. ولو عرض له حديث فأعرض عنه بمجرد عروضه عفي عن ذلك. وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى. لأن هذا ليس من فعله، وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر.

وعن حمران[١] مولى عثمان قال: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَهُوَ بِفِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ عِنْدَ الْعَصْرِ. فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ! لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا. لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ. إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ[٢]، فَيُصَلِّي صَلَاةً، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا».

وفي رواية أخرى[٣] عن حمران عند مسلم قال: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَاسًا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَادِيثَ. لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلعم تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً».

وفي رواية ثالثة عن حمران[٤] أيضًا قال: تَوَضَّأَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَوْمًا وُضُوءًا حَسَنًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يَنْهَزُهُ[٥] إِلَّا الصَّلَاةُ. غُفِرَ لَهُ مَا خَلَا مِنْ ذَنْبِهِ»[٦]

(١) مسلم: (٢٢٧).
(٢) في رواية: «فيحسن وضوءه ثم يصلي المكتوبة».
(٣) مسلم: (٢٢٩).
(٤) مسلم: (٢٣٢).
(٥) «لا ينهزه» معناه لا يدفعه وينهضه ويحركه إلا الصلاة.
(٦) «ما خلا من ذنبه» أي ما مضى من ذنبه.

عن عمرو بن سعيد بن العاص[(١)] قال: كُنتَ عِند عُثمانَ، فَدَعا بِطَهُورٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً[(٢)]، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[(٣)].

وعند أبي داود بسند حسن[(٤)] عن زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وأخرج أبو داود وغيره[(٥)] بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي رواية رابعة عن حمران، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله

---

(١) مسلم: (٢٢٨).

(٢) «ما لم يؤت كبيرة» أي ما لم يعملها. فهو على حد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾ كأن الفاعل يعطيها من نفسه. قال النووي: معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر، فإنها إنما تكفرها التوبة أو الرحمة.

(٣) «وذلك الدهر كله» أي التكفير بسبب الصلاة مستمر في جميع الأزمان لا يختص بزمان دون زمان. فانتصاب الدهر على الظرفية.

(٤) أبو داود (٣/ ١٧٣).

(٥) أبو داود (٢/ ٩٣)، وأحمد (٥/ ٣١٧).

ﷺ : «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ»[١].

وهاهي الخطايا تتساقط مع ماء الوضوء

عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال[٢]: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وذكر قصة إسلامه مع رسول الله ﷺ وفيه: «فقلت يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه قال: يعني النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وفي صحيح مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ «أَوْ الْمُؤْمِنُ» فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ «أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ» فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ

---

(١) مسلم: (حديث ٢٤٥).
(٢) أخرجه مسلم: حديث (٨٣٢).
(٣) مسلم (٢٤٤).

خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ[١] مَعَ الْمَاءِ «أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ» فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ[٢] مَعَ الْمَاءِ «أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ» حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».

وأخرج الإمام أحمد[٣] بسند حسن من طريق أبي غالب الراسبي أنه لقي أبا أمامة بِحِمْصَ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ حَدَّثَهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَسْمَعُ أَذَانَ صَلَاةٍ، فَقَامَ إِلَى وَضُوئِهِ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ تُصِيبُ كَفَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَبِعَدَدِ ذَلِكَ الْقَطْرِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ وُضُوئِهِ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ وَهِيَ نَافِلَةٌ».

قَالَ أَبُو غَالِبٍ: قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ وَلَا أَرْبَعٍ وَلَا خَمْسٍ وَلَا سِتٍّ وَلَا سَبْعٍ وَلَا ثَمَانٍ وَلَا تِسْعٍ وَلَا عَشْرٍ وَعَشْرٍ وَعَشْرٍ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ.

وعقد الشيطان تنحل بالوضوء

في الصحيحين[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على

(١) بطشتها: أي اكتسبتها.
(٢) «مشتها رجلاه» أي مشت لها أو فيها رجلاه.
(٣) أحمد (٥/ ٢٥٤)، وأبو يعلى (٨/ ٤٦٢).
(٤) البخاري مع الفتح (٣/ ٢٤)، ومسلم مع النووي (٦/ ٦٥).

مكانَ كل عقدة: عليك نيل طويل فارقد. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة؛ فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»

وأخرج الإمام أحمد [(١)] بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ كَذبَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا مِنْ جَهَنَّمَ» وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنَ اللَّيْلِ، فَيُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ، وَعَلَيْهِ عُقَدٌ فَيَتَوَضَّأُ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُعَالِجُ نَفْسَهُ يَسْأَلُنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي فَهُوَ لَهُ».

وفي الصحيحين [(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنثر ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ» [(٣)]



(١) أحمد (٤/ ٢٠١).
(٢) البخاري مع الفتح (٦/ ٣٣٩)، ومسلم: حديث (٢٣٨).
(٣) الخيشوم هو الأنف، وقيل أعلى الأنف، وقيل هي عظام رقيقة لينة في أقصى الأنف.

إن وساوس الشيطان تقلُّ وكيد الشيطان يضعف

ولقد قال تعالى للمؤمنين فيما حدث يوم بدر من مَنِّ الله عليهم: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فيبدو أن بعضهم كان على جنابة وبعضهم كان محدثًا، وذلك في صبيحة تلك الليلة، وقد يأتيهم الشيطان وهم على هذه الحالة فيوسوس لهم، كيف تلقون عدوكم وأنتم على جنابة.

فرحمة من الله بهم أنزل من السماء ماء ليطهرهم به ويذهب عنهم وساوس الشيطان والخواطر السيئة وليطهر به بواطنهم كذلك.

وينصح الغضبان بالوضوء، ويشار عليه به فإن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء.

إن الحلية تبلغ من المؤمن حيث يبلغ الوضوء

ففي صحيح مسلم[١] عن أبي حازم قال: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة. فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه فقلت له: يا أبا هريرة! ما هذا

(١) مسلم حديث (٢٥٠).

الوضوء؟ فقال: يا بني فروخ! أنتم هٰهنا؟ لو علمت أنكم هٰهنا ما توضأتُ هذا الوضوء. سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبْلُغُ الحِلْيَةُ[١] مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوضُوءُ».

وأهل الوضوء يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين

ففي صحيح مسلم[٢] من طريق نعيم بن عبد الله المجمر، قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ. فغسل وجهه فأسبغ الوضوء. ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد[٣]. ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد. ثم مسح رأسه. ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق[٤]. ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق. ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ. وقال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْتُم الغُرُ المُحَجلُون يَوْمَ القِيَامَةِ، مِنْ إِسْبَاغِ الوضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُم فَلْيُطِلْ غُرتَهُ وتَحْجِيلَهُ».

وفي صحيح مسلم[٥] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

(١) المراد بالحلية: النور والبياض يوم القيامة. وصنيع أبي هريرة هذا خاص به رضي الله عنه ولم يرد أن النبي ﷺ فعله فيما علمت، ولا علمته عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم غير أبي هريره.

(٢) مسلم حديث (٢٤٦).

(٣) «أشرع في العضد وأشرع في الساق» معناه أدخل الغسل فيهما.

(٤) «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من آثار الوضوء» قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس. والتحجيل بياض في يديها ورجليها. قال العلماء: سمي النور الذي يكون على مواضع الوضوء، يوم القيامة، غرة وتحجيلًا، تشبيها بغرة الفرس.

(٥) مسلم حديث (٢٤٧).

قال: «إِنَّ حَوضِي أَبْعَدُ مِنَ أَيْلَةَ مِنْ عَدنٍ[١]. لَهُو أشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ. وأحْلَى مِنَ العَسَلِ باللَّبَنِ، ولآنيتِهِ أكْثَر مِنْ عَدَدِ النُّجُوم. وإِنِّي لأَصُدُّ النَّاس عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوضِهِ» قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نَعَمْ. لَكُم سِيما لَيْسَتْ لأحَدٍ مِنَ الأمَمِ، تَرِدُونَ عَلي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الوضُوءِ».

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السْلامُ عَليْكُم دَارَ قَومٍ مُؤمِنِين، وإِنَا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لاحِقُون، وَدِدتُ أَنَّا قَدْ رَأَينَا إِخوانَنَا» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أَنْتُم أَصْحَابِي. وإِخْوانُنَا الذِين لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أَرَأَيْتُ لَو أَنَ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرِي خيل دُهْم بُهْم[٣].. ألا يَعْرِف خَيْلَهُ؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «فَإِنَّهم يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ وأَنَا فَرطُهُم عَلى الحَوضِ[٤]. ألا لَيُذَادَنَّ رجالٌ عَنْ حَوضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَالُّ أُنَادِيهُم: ألا هَلُمَّ[٥]! فَيُقَالُ: إِنهُم قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا[٦]».

(١) أي بعد ما بين طرفي حوضي أزيد من بعد أيلة من عدن، وأيلة وعدن بلدتان معروفتان.

(٢) مسلم حديث: (٢٤٩).

(٣) دهم بهم: أي أنها سوداء لم يخالط سوادها لونٌ آخر، أما قوله بين ظهري خيل أي في وسط خيل.

(٤) فرطهم أي متقدمهم.

(٥) هلم: أي تعالوا.

(٦) سحقًا سُحقًا: أي بُعدًا بعدًا.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسنٍ[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قيل له: كيف تعرف من لم يرك من أمتك؟ فقال: «إِنَّهُم غُرٌّ مُحَجَّلُونَ بُلْقٌ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ».

جعلنا الله وإياكم يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، وطهر الله قلوبنا وقلوبكم بالماء والثلج والبرد، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا



(١) أحمد (٣٨٢٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

أما وقد سمعتم بعض الوراد عن نبيكم محمد ﷺ في فضل الوضوء، وكما ترون أن الوضوء عمل يسير ولكن عمومًا فالعبادات إنما هي يسيرة بتيسير الله سبحانه وتعالى لها على العبد، فسلوا الله أن ييسرها عليكم.

ألا. وهذا مزيد من الوراد عن نبيكم محمد ﷺ في فضل الوضوء لعل منتفعًا أن ينتفع ومتذكرًا أن يتذكر فأقول، وبالله التوفيق

إن أبواب الجنة الثمانية تفتح لمن توضأ وشهد الشهادتين

ففي صحيح مسلم[1] من حديث عقبة بن عامر؛ قال: كانت علينا رعاية الإبل[2] فجاءت نوبتي. فروحتها بعشيٍّ. فأدركت رسول الله ﷺ قائمًا يحدث الناس، فأدركت من قوله: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وضوءَهُ. ثُمَّ يَقُوم فَيُصَلِّي رَكْعَتَينِ. مُقْبِلٌ عَلَيهِمَا بِقَلْبِهِ ووَجْهِهِ. إلا وجَبتْ لَهُ الجَنَّةُ**» قال:

(١) مسلم: (٢٣٤).

(٢) «كانت علينا رعاية الإبل» معنى هذا الكلام أنهم كانوا يتناوبون رعي إبلهم. فيجتمع الجماعة. ويضمون إبلهم بعضهم إلى بعض فيرعاها كل يوم واحد منهم، ليكون أرفق بهم، وينصرف الباقون في مصالحهم. والرعاية هي الرعي، ومعنى روحتها بعشي: أي رددتها إلى مراحها في آخر النهار، وتفرغت من أمرها، ثم جئت إلى مجلس رسول الله

فقلت: ما أجود هذه[١] ! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود. فنظرت فإذا عمر. قال: إني قد رأيتك جئت آنفًا[٢] قال: «مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ يتوضَّأ فيُبْلغُ[٣] «أو فيُسْبِغُ» الوضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وأن مُحَمَدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إلا فُتِحَت له أَبْوابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيُّهَا شَاءَ».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَشْهَدُ أَن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ».

إن الوضوء والصلاة عقبه سبب السبق إلى الجنة

أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «يَا بِلالُ حَدثني بأرجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دُف نَعْلَيكَ بَينَ يَدي فِي الجَنَّةِ قَالَ: مَا عَمِلتُ عَمَلًا أرْجَى عِنْدِي أَني لم أَتطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أو نَهارٍ إلا صَلَّيتُ بذلِك الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي».

(١) «ما أجود هذه» يعني هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة، وجودتها من جهات: منها أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة، ومنها أن أجرها عظيم.

(٢) «آنفًا» أي قريبًا.

(٣) «فيبلغ أو يسبغ» هما بمعنى واحد. أي يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون.

قال أبو عبد الله: دف نعليك: يعني تحريك.

وفي لفظ مسلم: ما عملت عملًا في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي

ولقد أحسن الله الثناء على أهل قباء لاستنجائهم بالماء

عن محمد بن عبد الله بن سلام[(١)] قال: قدم رسول الله ﷺ يعني قباء فقال: «إنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَى عَلَيكُم فِي الطَّهُورِ خَيْرًا أفَلا تُخْبِرُونِي؟ يعني قوله. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾» فقالوا: يا رسول الله إنا نجد مكتوبًا علينا في التوراة الاستنجاء بالماء. صحيح لغيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ولا تنس النوم على طهارة فهذا فضله

أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث البراء بن عازب قال: قال لي

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٦)، وفي سنده شهر بن حوشب متكلم فيه، لكن له شواهد، وإن كانت لا تخلو من مقال إلا أنها تكفي لتحسينه على الأقل، انظر ابن خزيمة (١/ ٨١) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) والحاكم (٢/ ٣٣٤).

(٢) البخاري مع الفتح (١١/ ١٠٩)، ومسلم: (١٧/ ٣٢).

رسول الله ﷺ «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوضأْ وضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثُمَ اضطجع على شِقِكَ الأيمن وقل: اللَّهُم أَسْلَمتُ وَجْهِي إِلَيْك، وفَوضتُ أَمْرِي إِلَيْك، وأَلجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبةً ورَهْبَةً إِليك، لا مَلْجَأ ولا مَنْجَى منكَ إلا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكتَابِكَ الذِي أَنْزلتَ وبنَبِيكَ الذِي أَرْسَلْتَ، فإن مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، فاجْعَلْهُنَّ آخر مَا تَقُولُ»، فقلت: استذكرهن وبرسولك الذي أرسلت. قال: «لا، وبِنَبِيكَ الذي أَرْسَلْتَ».

وختاما أيها الأخوة، فكما تحرصون على طهارة الظاهر فاحرصوا على طهارة بواطنكم كذلك، فكما أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٧٤].

كذلك فقد أثنى على أهل الإيمان إذ يقولون ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] إن رجلًا عُذِّب في قبره لكونه كان لا يستتر من بوله[١]! وكذلك عُذِّب آخر كونه كان يمشي بين الناس بالنميمة [١].

إن الأبدان كما أنها تطهر بالماء، فكذلك القلوب تطهر بالاستغفار وكذا تطهر برد المظالم إلى أهلها.

فطهروا القلوب وطهروا الأبدان بارك الله لي ولكم.

اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين.

---

(١) انظر البخاري (١٣٧٨) ومسلم (٢٩٢).

اللهم اغسلنا من الذنوب والخطايا بالماء والثلج والبرد كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

اللهم طهر ظواهرنا وبواطننا يا رب العالمين ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

هذا وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

منزلة الصلاة في الإسلام

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فأُذَكِّر نفسي وأخواني في هذا المقام بشعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، بل هي أعظم الشعائر على الإطلاق بعد الشهادتين، إنها الصلاة.

فلقد جاءت الأوامر بها بعد الأمر بتوحيد الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١].

ولقد قال ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ...» الحديث[(١)].

إنها عمود الدين كما قال رسول الله ﷺ، فلقد قال ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ!!»[(٢)].

ولقد قال ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَج البَيتِ لِمن اسْتَطَاعَ إِليه سَبِيلًا»[(٣)].

إنها أحب الأعمال إلى الله عز وجل، فلقد سئل[(٤)] النبي ﷺ أي

(١) مسلم حديث (٨).
(٢) صحيح بمجموع طرقه. وأخرجه الترمذي (٢٦١٦).
(٣) البخاري حديث (٨)، ومسلم (١٦).
(٤) البخاري حديث (٥٢٧).

الأعمال أحب إلى الله؟ قال: « الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وفي الحديث الآخر: «وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»(١).

إنها شعار المرسلين جميعًا وكذا النبيين عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨].

وهذا خليل الله إبراهيم ﷺ يقول: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ويقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ويأمره ربه سبحانه وتعالى أن يطهر البيت للطائفين والقائمين والركع السجود، فيقول: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[الحج: ٢٦].

وهذا، ولده إسماعيل صادق الوعد عليه السلام ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥].

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٢) وغيره.

وهذا إسحاق وولده يعقوب عليهما السلام، يقول تعالى في شأنهما[(١)]: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وهذا نبي الله موسى عليه السلام يأمره الله عز وجل بعد إخباره بوحدانيته فيقول: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

ويقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس: ٨٧].

وهؤلاء السحرة، أول شيء صنعوه بعد توبتهم من السحر ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وهذا نبي الله داود عليه السلام ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ وقيامه كان أحب القيام كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**أُحِبُّ القِيام**»[(٢)].

وهذا سليمان عليه السلام لما شغل بالخيل عن ذكر ربه حتى غربت الشمس قال. ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص: ٣٢، ٣٣].

وهذه مريم عليها السلام يأمرها ربها بقوله ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٣].

---

(١) مع إبراهيم عليه السلام.

(٢) انظر البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

وهذا زكريا عليه السلام ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وهذا عيسى عليه السلام يقول ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وهذا نبينا محمد ﷺ يؤمر بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

إن الدرجات ترتفع بالصلاة، وكذلك فالخطايا تُمحى، ففي صحيح مسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». وفي رواية: «فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»

وفي الحديث(٢) عن رسول الله ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ

(١) مسلم حديث (٢٥١).
(٢) البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟» وفي رواية مسلم: «هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا».

إنها مكفرة للسيئات، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة. كما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤] قال الرجل ألي هذه؟ قال ﷺ «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي»(١).

وقد ورد من وجوه عدة(٢) أن النبي توضأ ثم قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وفي رواية أخرى(٣) أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٧).
(٢) البخاري (١٥٩).
(٣) مسلم (٢٢٨).

وفي رواية ثالثة[١] أن النبي ﷺ قال: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ فَيُصَلِّي صَلَاةً. إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا». وفي رواية: « فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ».

«إنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة»[٢].

إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال الله عز وجل: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إنها مع الوضوء سبب لدخول الجنة، أخرج مسلم[٣] من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ...» الحديث.

وسبب من أسباب السبق إلى الجنة، فقد أخرج البخاري[٤] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: «يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ».

إن الدماء تحقن بالصلاة، فلقد قال رسول الله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ

---

(١) مسلم (٢٢٧).
(٢) صحيح بمجموع طرقه، أخرجه أحمد (١٦٩٤٩) (٤/١٠٣).
(٣) مسلم (٢٣٤).
(٤) البخاري (١١٤٩).

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ...» الحديث[١].

ولقد قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»[٢].

إنها وصية رسول الله ﷺ عند موته فقد كان النبي ﷺ يوصي بالصلاة في مرض موته فيقول: «الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[٣].

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعين[٤] بالصبر والصلاة عند الشدائد فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾

(١) البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢) البخاري (٣٩١).
(٣) صحيح لشواهده، أخرجه ابن ماجة (٢٦٩٧).
(٤) ووجه الاستعانة بالصلاة أن الصلاة يتلى فيها ما يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا، وفي إقبال العبد عليها اعتراف من العبد بأنه سيلقى ربه عز وجل فتهون عليه المصائب وتسهل عليه الطاعات، والله أعلم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨].

وقد كان النبي ﷺ يقول: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»[١].

إن إبراهيم عليه السلام لما دخل بلاد الجبابرة مع زوجته سارة عليها السلام، وعلم الجبار بدخول سارة، وأنها من آجمل النساء على وجه الأرض وأُخِذت سارة وأدخلت عليه ماذا كان؟ لقد قام إبراهيم عليه السلام يصلي فسلَّم الله زوجته، وحفظ الله زوجته فخرجت سالمة آمنة مطمئنة، بل وأُهديت لها هاجر التي ولدت بعد ذلك إسماعيل الذي من ذريته نبينا محمد ﷺ.

لقد أخرج ذلك مسلم[٢] في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ

(١) أبو داود (٤٩٨٦).
(٢) مسلم (٢٣٧١).

يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ. فَفَعَلَتْ فَعَادَ. فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ. وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي. فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟[(١)] قَالَتْ: خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخْدَمَ خَادِمًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

وكذا أم كلثوم بنت عقبة زوجة عبد الرحمن بن عوف وكانت من المهاجرات الأُول لما غشي على عبد الرحمن بن عوف حتى ظنوا أنه فاض نفسه فيها، خرجت - أي أم كلثوم - إلى المسجد تستعين بما أُمرت أن تستعين به من الصبر والصلاة[(٢)].

وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما نُعي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[(٣)] [البقرة: ٤٥].

وكذلك خُبيب قام يصلي بين يدي القتل[(٤)].

(١) مهيم: أي ما الخبر.

(٢) صحيح، وقد أخرج ذلك محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة من عدة وجوه. (٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥).

(٣) أخرجه الطبري (٨٥٢) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه.. فلما خرجوا به من =

والاستعانة مطلوبة لدفع البلاء كذلك فعند كسوف الشمس تشرع الصلاة حتى تنجلي، ومن المعلوم أن كسوف الشمس أو القمر آيتان يخوف الله عز وجل بهما عباده، وقد قال النبي ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**»(١) الحديث.

وقد قال الله تعالى في شأن نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ فسرها بعض العلماء بـ(المصلين)، والله أعلم.

والاستعانة بالصلاة مطلوبة للحفظ ودفع الشرور، قال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وكذلك الاستعانة مطلوبة للتوفيق إلى أعمال الخير كما في صلاة الاستخارة، فإننا نركع ركعتين ثم ندعو الله عز وجل بالدعاء المذكور(٢).

= الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خُبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت.

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٤٥)، ومسلم (٦/ ٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) حديث الاستخارة أخرجه البخاري (مع الفتح/ ١١/ ١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي**

وكذلك الاستعانة مطلوبة لجلب الرزق. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

إنْ الخطا إلى الصلوات تكتب، فقد أراد بنو سَلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد. فقال لهم النبي ﷺ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ (أي الزموا دياركم) تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»[١].

وأخرج مسلم[٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد فنهانا رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً».

إن رجلًا[٣] قال في صلاته: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا».

وقال رجل آخر[٤] لَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ

= أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».

(١) مسلم (٦٦٥).
(٢) مسلم (٦٦٤).
(٣) بهذا السياق عند مسلم حديث (٦٠٠).
(٤) البخاري (٧٩٩).

رَجُلٌ: وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا. قَالَ؟ «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ».

أما السجود، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[١] ومن ثم شرع لنا الدعاء فيه.

ثم إن الشيطان يبكي عند سجود بني آدم، أخرجه الإمام مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ[٣] فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ «يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ».

وأخرج مسلم[٤] كذلك من طريق معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ. فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»، أخرجه مسلم (٤٨٢).

(٢) مسلم (٤٨١).

(٣) أي الآية التي فيها السجدة.

(٤) مسلم (٤٨٨).

قَالَ مَعْدَانُ ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ.

وأخرج ابن ماجة بسندٍ صحيح لشواهده من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً. فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّجُودِ»[(١)].

إن السجود يجلب شفاعة النبي ﷺ يوم القيامه، ولقد أخرج الإمام أحمد[(٢)] بسند صحيح عَنْ خَادِمٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟» قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي. قَالَ: «وَمَا حَاجَتُكَ؟» قَالَ: حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: «وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا؟» قَالَ: رَبِّي. قَالَ: «أَمَّا لَا فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

وكذا فالسجود يقرب من رسول الله ﷺ في الجنة، وأخرج الإمام مسلم[(٣)] من حديث رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

---

(١) ابن ماجة (١٤٢٤).
(٢) أحمد (٣/ ٥٠٠).
(٣) مسلم (٤٨٦).

لقد حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر السجود، أخرج البخاري ومسلم(١) في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة . . . الحديث وفيه «حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ».

ولقد أحسن الله عز وجل الثناء على المصلين، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٩ - ١١].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥].

(١) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى لبني إسرائيل: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ ... إلى قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢].

إنها سبب عظيم من أسباب الرحمة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦].

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

إن المصلي يناجي ربه عز وجل، وقد ثبت ذلك في الصحيحين (١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(١) البخاري (٥٣١)، ومسلم (٥٥١).

إن الله عز وجل ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت.

فعند أحمد والترمذي[(١)] وغيرهما من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ... الحديث وفيه: «وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ...» الحديث.

إنك أيها المصلي تحظى بذكر الله لك إذا أنت ذكرته في صلاتك قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وفيها وجهان للمفسرين:

أحدهما: وأقم الصلاة لتذكرني فيها.

والثاني: وأقم الصلاة لتحظى بذكري لك فإنك إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم، هذا وثم أوجه أخر في تفسير الآية الكريمة.

إن المصلي له عند الله عهد أن يدخله الجنة، أخرج أبو داود[(٢)] بسند صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي رواية لأبي داود[(٣)] أيضًا: «إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

---

(١) سنده صحيح، وأخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢) وغيرهما.

(٢) أبو داود (٤٢٥).

(٣) أبو داود (١٤٢٠).

إنّ الملائكة تصلي على الرجل المتواجد بالمسجد ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه[١]، إنها تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يؤذ، ما لم يحدث!!

ألا فحافظوا على صلاتكم وأقيموا أمر دينكم وسلوا ربكم العون على ذلك بارك الله لي ولكم، واستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) انظر البخاري (حديث ٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قد سمعتم بارك الله لي ولكم في كتابه وسنة نبيه ﷺ، قد سمعتم شيئًا من الوارد في فضل الصلاة ثم ها هي طائفة من نصوص الوعيد تحذيرًا من ترك الصلاة وترهيبًا من تأخيرها عن وقتها وإهمالها وتضييعها.

لقد ذكر الله عز وجل المجرمين وذكر أعمالهم وذكر سبب دخولهم سقر فقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٣].

وقال تعالى متوعدًا الذين يتركون الصلاة حتى يخرج وقتها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

وهذا أيضًا عقوبة من كان يمتنع عن السجود في الدنيا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المعارج: ٤٦ - ٤٨].

وأيضًا فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

وقد قال النبي ﷺ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»[(١)].

وقول النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[(٢)].

وقول النبي ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا (أي على الصلاة) لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانًا وَلَا نَجَاةً، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ ابْنِ خَلَف»[(٣)].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٤)]: إنه لا حظ في الإسلام لمن أضاع الصلاة.

وفي رواية عن ابن عباس[(٥)] رضي الله عنهما أنه قال: لما طعن عمر رضي الله عنه حملته أنا

(١) صحيح، أخرجه مسلم (ص٨٨) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد (٥/٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) في سنده عيسى بن هلال الصدفي، ولا أرى حديثه يرتقي للحسن، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩)، والدارمي (٢/ ٣٠١) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا.
(٤) ابن نصر المروزي في «الصلاة» (٩٢٥).
(٥) ابن نصر (٩٢٤)، وسندها صحيح.

ونفرٌ من الأنصار حتى أدخلناه منزله فلم يزل في غشية واحدةٍ حتى أسفر، فقلنا: الصلاة يا أمير المؤمنين، ففتح عينيه فقال: أصلى الناس؟! قلنا: نعم، قال: أما إنه لا حظ في الإسلام لأحدٍ ترك الصلاة، فصلى وجرحه يثعب دمًا. ولقد ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بإسناد حسن[1] أنه قال: من لم يصل فلا دين له.

فهذا بارك الله فيكم بعض الوارد في الوعيد لمن ترك الصلاة، سلمنا الله وإياكم من كل مكروه وسوء.

اللهم احفظ علينا ديننا، اللهم أعنا على صلاتنا وسهلها علينا ويسرها لنا يا رب العالمين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا رب العالمين.

اللهم احشرنا مع المصلين في جنات النعيم يا رب العالمين.

اللهم اجمعنا مع نبينا محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد التي أعدت للمتقين.

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم وفق أئمتنا للعمل بكتابك وسنة نبيك الأمين.

هذا، وأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ وأقم الصلاة.



(١) ابن نصر (٩٣٥، ٩٣٦).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجمعة وأحكامها وآدابها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وبعد:

فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[1].

(١) البخاري حديث (٧١)، ومسلم حديث (١٠٣٧).

فلهذا الحديث الشريف المبارك ولقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] نتناول - إن شاء الله تعالى - يوم الجمعة وما يتعلق به من فقه وأحكام.

سائلين الله أن يرفعنا وإياكم بهذا العلم درجات.

ابتداءً فالجمعة إنما أطلق عليها جمعةٌ لاجتماع المسلمين فيها، وذلك في صلاة الجمعة التي هي عيدٌ من أعياد المسلمين.

ولقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على أمة محمد ﷺ بهذا اليوم الذي هو أفضل أيام الأسبوع، وهو خير يوم طلعت عليه الشمس كما في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ؟ - يَعْنِي وَقَدْ بَلِيتَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

وهذا اليوم الذي هو يوم الجمعة كان قد فُرض على من كان قبلنا من اليهود والنصارى، فأضلهم الله عنه، واختارت اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، وسبقناهم نحن فكان لنا - ولله الحمد - يوم الجمعة. ولهذا السبق أثره الطيب، فنحن السابقون يوم القيامة المقضيُّ لهم قبل سائر الخلق.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ[١]: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ: الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

وأخرج مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ».

فضل صلاة الجمعة

ولقد مَنَّ الله عز وجل علينا بصلاة الجمعة في هذا اليوم التي تُكَفَّرُ بها الذنوب، وتُمحى بها الخطايا، وتُرفع بها الدرجات - بإذن الله -.

أخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وفي رواية: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ

(١) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).
(٢) مسلم (٨٥٦).
(٣) مسلم حديث (٢٣٣)، وما بعده عند مسلم أيضًا.

وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ»، وفي رواية عند مسلم أيضًا: «مُكفِّرَاتٌ مَا بينَهُنَّ إِذَا اجتُنِبَ الكَبَائِرُ».

ومن إكرام هذا اليوم وبيان عظيم شأنه أن الله عز وجل أكمل فيه للمؤمنين دينهم، وأتم عليهم فيه نعمته كما قال ربنا سبحانه وتعالى - وكان ذلك يوم الجمعة -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عمر بن الخطاب: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

هذا وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ أن المشهود يوم الجمعة، فإن كان ذلك كذلك، فهذا القسم من الله تبارك وتعالى بالشاهد والمشهود تكريمًا لهذا اليوم وتعظيمًا له.

❀ ❀ ❀

أعمال يوم الجمعة وليلتها

أما عن أعمال هذا اليوم وليلته وما يتعلق بذلك من فقهٍ فأقول - وبالله التوفيق:

ابتداءً فلا ينبغي أن تُخصَّ ليلة الجمعة من بين الليالي بقيام ولا يومها بصيام، وذلك لما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ».

فعلى ذلك ما يفعله البعض من الاجتماع لقيام الليل ليلة الجمعة ليس على سنة رسول الله ﷺ، بل قد نهى النبي ﷺ عن هذا التخصيص.

ما يُقرأ به في فجر يوم الجمعة

هذا وتشرع قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الفجر من يوم الجمعة، سورة السجدة بعد الفاتحة في الركعة الأولى، وسورة الإنسان بعد الفاتحة في الركعة الثانية.

فقد أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِي

---

(١) مسلم (١١٤٤).

(٢) البخاري (٨٩١)، ومسلم (٨٧٩).

ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ بـ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ، و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]».

وإن لم يكن بالمقدور قراءة السورتين المذكورتين وقرأ الشخص بأي شيء من القرآن بعد الفاتحة أجزأ ذلك عنه؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، ولقول النبي ﷺ: «إِذَا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ فَكَبِّر، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرآنِ»[1].

هذا؛ ويُستحب إذا قرأ سورة السجدة أن يسجد فيها.

وقد نقل بعض العلماء الاتفاق على مشروعية السجود عند قراءة الآية التي فيها السجدة من سورة السجدة خارج الصلاة، ألا وهي: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝١٥﴾ [السجدة: ١٥].

واختلفوا فيما إذا قرأها داخل الصلاة هل يسجد فيها أم لا.

وقد ورد في ذلك حديثان فيهما ضعف، ولكن عمومًا فالسجود - سجود التلاوة - فعلٌ حسنٌ فمن فعله أُثيب، ومن تركه فلا شيء عليه، كما ورد عن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ورد عنه أنه قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ، وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ، فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، وَلَمْ

(١) البخاري (٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧).

يَسْجُدْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)

قال البخاري: وَزَادَ نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضِ السُّجُودَ إِلَّا أَنْ نَشَاءَ».

الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة

ويُستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة؛ لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..» فذكر الحديث، وفيه: «فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»... الحديث(٢).

ثم إن الأحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة معلومة؛ كقوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عليَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عليهِ عَشْرًا»(٣)، ولقوله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٤) فضلًا عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].



(١) البخاري (١٠٧٧).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤) وغيرهما.
(٣) مسلم (مع النووي ٤/ ١٢٧).
(٤) إسناده حسن: وقد أخرجه أبو داود (٢/ ٥٣٤).

أمور تُفعل بين يدي صلاة الجمعة

هل يُستحب للرجل أن يُجامع أهله يوم الجمعة؟

فأقول - وبالله التوفيق -: قد ذهب بعض العلماء إلى أنه يُستحب للشخص - وهو في بيته - أن يجامع أهله، وذلك للحديث الذي فيه: «مَنَ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَّلَ، ثُمَّ ابْتَكَرَ وَغَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَلَسَ قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ حَتَّى يُنْصِتَ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ خَطَاهَا عَمَلُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا»[١].

وقد صحح بعض العلماء هذا الحديث، واستنكر بعضهم متنه للأجر العظيم جدًّا المذكور في الحديث، والمعلوم في سائر الأحاديث أن الخطوة ترفع درجة أو تحط خطيئة.

استحباب الغسل يوم الجمعة:

ويُستحب الغسل أيضًا للجمعة[٢]، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوبه مستدلين بحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «غُسلُ يَومِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلى كُلِّ مُحتَلم»[٣]، وبحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُم الجُمُعَةَ فَليغتَسِل»[٤].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨)، وعبد الرزاق (٥٥٧٠)، والترمذي (٤٩٦)، وأبو داود (٣٤٥)، والنسائي (٣/ ٩٥) وغيرهم.
(٢) أما إذا كان قد أجنب فمعلوم بداهةأن الغُسل فرضٌ عليه.
(٣) البخاري (٨٩٥)، ومسلم (٥٨٠- ٥٨١).
(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٥٦).

وبحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «حَقٌّ للهِ عَلَى كُلِّ مُسلمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغسِلُ رَأْسَهُ وَجَسدَهُ»(١).

• وبقول عمر لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «. . . والوضوء، وقد علمت أن رسول الله ﷺ يأمر بالغُسلِ»(٢).

بينما ذهب فريق من أهل العلم - وهم الجمهور - إلى أن غسل الجمعة مُستحب، واستدلوا بما أخرجه مسلم(٣) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ».

واستدلوا أيضًا بحديث في سنده مقال فقال: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ»(٤).

واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ . . الآية، ولم يأمر فيها بالغسل.

واستدلوا كذلك بحديث عائشة(٥) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَالْعَوَالِيِّ، فَيَأْتُونَ فِي الْغُبَارِ، يُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ وَالْعَرَقُ، فَيَخْرُجُ مِنْهُمُ الْعَرَقُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ وَهُوَ عِنْدِي فَقَالَ النَّبِيُّ

(١) مسلم (ص٢٨٥).
(٢) البخاري (٨٧٨)، ومسلم (٨٤٥).
(٣) مسلم (ص٥٨٨).
(٤) وله عدة طرق، ولا يخلو طريق منها من مقال.
(٥) البخاري (٩٠٢)، ومسلم (٨٤٧).

ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا». وفي رواية: «لو اغتَسَلْتُمْ».

ومن أجنب يوم الجمعة لا يُلزم بغُسلين، غُسل للجمعة، وغُسل للجنابة، بل يكفيه ويجزئه غسل واحد عن الجنابة وعن الجمعة[(١)]. وهذا قول جماهير العلماء.

ومن نُقض وضوؤه بعد الغُسل فلا يُلزم بغُسلٍ جديد، ولكن يُجزيه الوضوء.

ومن مسَّ ذكره بعد الغُسل أُلزم بالوضوء ثانية؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرهُ فَلْيَتَوضَّأْ»[(٢)].

ولا يجب الغسل على من لم يحضر الجمعة، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء[(٣)].

فعليه فهناك فئام من الناس لا تجب عليه الجمعة كالنساء والصبيان والمسافرين والمرضى، فمن ثَمَّ فليس عليهم غُسلٌ عند الأكثرين، لكن إن

---

(١) قال ابن المنذر (٤/ ٤٣) قال أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم أن المغتسل للجنابة والجمعة غسلًا واحدًا يُجزيه.
وقال مالك في «المدونة»: لا بأس أن يغتسل غسلًا واحدًا للجنابة والجمعة ينويهما جميعًا. (١/ ١٤٦).

(٢) له إسناد يُحسن، وفيه بعض الاختلاف، وانظر تخريجاته في أبي داود (١٨١)، والترمذي (٨٢)، والنسائي (١٦٣)، وابن ماجه (٤٧٩).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٧) في شرح حديث: «**إذا أراد أن يأتي الجمعة فليغتسل**»: واستدل من مفهوم الحديث على أن الغسل لا يشرع لمن لم يحضر الجمعة... وبه قال الجمهور.

حضروها استُحب لهم الاغتسال لها، والله أعلم.

وكما هو معلوم فإن غسل الجمعة إنما هو لصلاة الجمعة، وذلك للحديث: «كَانَ النَّاسُ مَهَنَةَ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانُوا إِذَا رَاحُوا إِلَى الْجُمُعَةِ رَاحُوا فِي هَيْئَتِهِمْ فَقِيلَ لَهُمْ: «لَوِ اغْتَسَلْتُمْ»[١] وفي رواية: «لَوْ تَطَهَّرتُمْ».

بداية الغسل يوم الجمعة:

ومن المعلوم أن اليوم يبدء من الفجر، فعليه فغسلُ الجمعة بدايته من الفجر، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم، ومن خرج منه ريحٌ بعد أن اغتسل ولبس ثيابه، أو قضى حاجته فلا يُلزم بإعادة الغسل مرة ثانية، بل يجزئه الوضوء، وهذا رأي الجمهور.

وهذه أمور تُستحب أيضًا بعد الغسل:

التطيب:

وذلك لحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري[٢] في «صحيحه»، ففيه: أن النبي ﷺ قال: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى».

(١) وقد تقدم هذا قريبًا.
(٢) البخاري (٨٨٣).

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان طيب الرائحة - صلوات ربي وسلامه عليه - وقد تقدم أن من أسباب الأمر بالغسل. أن الناس كانوا يأتون المسجد ولهم روائح - أي غير طيبة - فقيل لهم: «لو اغتسلتم؟».

وذلك فيما يبدو - والله أعلم لإزالة الروائح الكريهة.

النهي عن كريه الروائح:

وقد كان النبي ﷺ ينهي من أكل ثومًا أو بصلًا أن يشهد الصلاة معهم، وكان يقول: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

أخرج البخاري ومسلم [(١)] في «صحيحيهما» من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يُرِيدُ الثُّومَ - فَلَا يَغْشَانَا فِي مَسَاجِدِنَا». قُلْتُ: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مَا أُرَاهُ يَعْنِي إِلَّا نِيئَهُ. وفي رواية: «وليَقعُدْ في بيتِهِ».

وعند البخاري أيضًا أن النبي ﷺ أُتِيَ بِقِدْرٍ فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ، فَأُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ، فَقَالَ: «قَرِّبُوهَا» - إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ - فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا، قَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي» [(٢)]

وفي «الصحيحين» [(٣)] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا».

---

(١) البخاري (٨٥٤)، ومسلم (٥٦٤).
(٢) البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٣) البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١).

وفي «صحيح مسلم» من حديث عمر رضي الله عنه أنه خطب يوم الجمعة قال: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ: هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى البَقِيعِ فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا».

ويقترب من أكلة الثوم والبصر في تأذي الملائكة منهم، من هم أصحاب أعمال ذات روائح كريهة كالذي يعمل في بيع السمك مثلًا ويأتي إلى المسجد ولثيابه رائحة كريهة، فمثله ينبغي أن يخصص لصلاته ثوبًا غير ثوب مهنته.

وكذا هؤلاء الذين يتعاطون الدخان، ويتناولون السيجار، ألا فليعلموا أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

استحباب السواك للجمعة وغيرها:

وذلك للعمومات الواردة في فضل السواك كحديث: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»(١).

وقد كان النبي ﷺ يحافظ على السواك ويداوم عليه، فقد «سُئلت(٢) عَائِشَةَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ».

وفي «الصحيحين» من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ»(٣).

(١) البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٢) مسلم (٢٥٣).
(٣) البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٥٥).

ولقد قال النبي ﷺ: «أَكْثَرتُ عليكُمْ فِي السِّوَاك»[1].

وكذلك فقد ورد في التسوك والاستنان حديث يخص الجمعة

ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيبًا إِنْ وَجَدَ»[2]. والاستنان إنما يكون بالسواك.

وإن لم يوجد السواك ووجد معجون الأسنان لتنظيف الفم، فذلك حسنٌ أيضًا[3] وبالله تعالى التوفيق.

التجمل والتزين ولبس أحسن الثياب:

ويُستحب لمن سيشهد الجمعة أن يتجمل ويتزين ويلبس أحسن الثياب، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ فالآية بعمومها تشهد لذلك، وإن كان لها سبب نزول خاص، فالعبرة بعموم الألفاظ.

ثم إن هذا كان أمرًا معروفًا عند الصحابة زمن النبي ﷺ.

ففي «الصحيحين»[4] من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رَأَى حُلَّةَ

---

(١) البخاري (٨٨٨).

(٢) البخاري (٨٨٠).

(٣) ومن هنا نلفت النظر إلى أمر ألا وهو الاعتناء بنظافة الفم والأسنان، فكم من امرأة تنفر من قُبلة زوجها لها بسبب عدم طيب رائحة الفم، وكم من زوج ينفر من زوجته لهذا السبب، فهذه أمور ينبغي أن تُراعى وتُلحظ، والموفق من وفقه الله.

(٤) البخاري (٨٨٦)، ومسلم (٢٠٦٨).

سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ»، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ فَأَعْطَى عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهَا حُلَّةً.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْتَنِيهَا، وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ. قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا»، فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا.

وفي الحديث الاخر[1]: من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، وَمَسَّ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلَمْ يَتَخَطَّ أَعْنَاقَ النَّاسِ، ثُمَّ صَلَّى مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ جُمُعَتِهِ الَّتِي قَبْلَهَا».

وَيَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

وفي حديث عبد الله بن سلام[2] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَو اشْتَرَى ثَوبَيْنِ لِيَومِ الجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبِ مِهنَتِهِ».

---

(١) صحيح لشواهده: أخرجه أبو داود (٣٤٣) وغيره.
(٢) أخرجه أبو داود (١٠٧٨)، وفي سنده بعض الاختلاف.

استحباب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة:

ويُستحب التبكير بالذهاب إلى المسجد لشهود الجمعة؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١].

ولقول النبي ﷺ[١]: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وأخرج أبو داود[٢] من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احْضُرُوا الذِّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ. فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَبَاعَدُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا»، وفي هذا الباب حديث: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَّلَ»، وقد تقدم.

ولا يجوز لمن أتى الجمعة أن يتخطى رقاب الجالسين، ولا أن يُفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما؛ وذلك لحديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس، فقال رسول الله ﷺ: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ»[٣]، وفي

(١) البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٢) أبو داود (١١٠٨).
(٣) أخرجه أبو داود (١١١٨)، وفي النهي عن تخطي رقاب الناس يوم الجمعة جملة أحاديث تصح بلا شك انظرها في «سنن أبي داود» (٣٤٣)، (٣٤٧)، وفي غير موطن.

الحديث: «ثُمَّ رَاحَ فَلَمْ يُفرِّقْ بَينَ اثْنَينِ...»[١]. فذكر الفضيلة في ذلك.

ولا يُقيمن الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه:

وذلك لقول النبي ﷺ: «لا يُقيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجلس فِي مَجْلِسِهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا»[٢].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُقيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يومَ الجُمُعةِ، ثُمَّ ليُخَالف إِلَى مَقْعَدِهِ فيَقْعُد فِيْهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: أَفْسِحُوا».

وإذا جلس الرجل في المسجد، ثم عرض له عارض يستغرق زمنًا يسيرًا فذهب إليه ثم رجع فهو أحق بمجلسه، لكن إن كان الزمن يطول فليست هناك أحقية له في هذا المجلس، أما عن حجز الأماكن بالسجاجيد ونحوها فهؤلاء الذين يرسلون الخدم والأتباع والولدان كي يحجزون لهم أماكن في المساجد بالسجاجيد، ونحوها ويتأخرون هم عن الحضور صنيعهم غير

---

(١) صحيح: وقد تقدم من حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج البخاري (٦٢٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ آخَرُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَكْرَهُ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ مَكَانَهُ.

وفي رواية عند البخاري أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٦٢٦٩) عن النبي ﷺ قال: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُم يَجْلِسُ فِيهِ».

وفي ثالثة البخاري (٩١١) من طريق ابن جريج: سَمِعْتُ نَافِعًا يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلُ أَخَاهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ». قُلْتُ لِنَافِعٍ: الْجُمُعَةَ؟ قَالَ: الْجُمُعَةَ وَغَيْرَهَا.

سديد، وفعلهم غير رشيد[(١)] .

والمرء في صلاة ما انتظر الصلاة:

وليعلم المُبَكر إلى الصلاة أن له عظيم الأجر، وأنه في صلاة، فد قال النبي ﷺ: «... وَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ»[(٢)] . وفي رواية: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ...»[(٣)] .

والقرب من الإمام[(٤)] والدنو منه فيه فضل لما ورد في الأحاديث التي تقدم ذكرها.

أما المرأة فإذا أرادت الذهاب إلى الجمعة فلا تتطيب؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»[(٥)] .

وفي رواية: «إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا»[(٦)] ، وفي

(١) سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢١٦) عن فرش السجادة في الروضة الشريفة هل يجوز أم لا؟
فأجاب: ليس لأحد أن يفرش شيئًا ويختص به مع غيبته ويمنع به غيره، هذا غصبٌ لتلك البقعة ومنع للمسلمين مما أمر الله تعالى به من الصلاة، والسنة أن يتقدم الرجل بنفسه، وأما من يتقدم بسجادة فهو ظالم ينهى عنه، ويجب رفع تلك السجاجيد، ويُمكن الناس من مكانها.
(٢) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).
(٣) عند مسلم في المصدر المشار إليه.
(٤) وقد تقدم ذلك في حديث: «من بكّر وابتكر وغسّل واغتسل».
(٥) مسلم (٤٤٣).
(٦) مسلم (٤٤٣).

رواية: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بُخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ»(١)

رابعة: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»(٢).

وأيضًا فإذا خرج زوجها معها في طريق فليتطيب هناك في المسجد حتى لا يلفت نظر الناس إلى زوجته وهي سائرة معه في الطريق.

أما عن آداب السير إلى الجمعة

فيُستحب - كما سلف الذهاب مُبكرًا - ورأى بعض أهل العلم استحباب المشي وعدم الركوب لحديث أوس بن أوس، ففيه: «وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ...»(٣) وقد تقدم.

ويُكره الإسراع في المسير:

وذلك لقول النبي ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».

أما عن السعي المأمور به في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فيختلف عن السعي المنهي عنه في قول النبي ﷺ: «فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ»، فالسعي في الآية الكريمة معناه المضيُّ والذهاب، أما السعي في الحديث، فالمراد به الجري أو المشي السريع

(١) مسلم (طرف حديث ٤٤٣).
(٢) أحمد (٤/ ٤١٤)، وأبو داود (٤١٧٣) وغيرهما.
(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، والنسائي (٣/ ٩٥).

والله أعلم.

وإذا بلغ المصلي المسجد فليعلم أن الملائكة تكتب في صحفها الداخل أولًا بأول، وقد تقدم ذلك في حديث: «مَنْ رَاحَ في السَّاعةِ الأُولى فكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً».

فإذا دخل فليركع ركعتين قبل أن يجلس؛ لقول النبي ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المَسجِدَ فَلا يَجْلِس حَتَّى يَرْكَعَ رَكْعتَينِ»[(١)].

وحديث جابر أيضًا في «الصحيحين»[(٢)]، وفيه: كان لي على النبي ﷺ دينٌ فقضاني وزادني، ودخلت عليه المسجد فقال لي: «صَلِّ ركعتَينِ».

وعن مسلم[(٣)] أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه قال: «جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَعَدَ سُلَيْكٌ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَكَعْتَ رَكْعَتَيْنِ؟»، قَالَ: لَا. قَالَ: «قُمْ فَارْكَعْهُمَا».

وقد استثنى بعض العلماء يوم الجمعة من كراهية الصلاة عند الزوال فيه، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنِ اغتَسَلَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَصلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ...»[(٤)] الحديث.

ويُكره التحلق في المسجد قبل صلاة الجمعة:

لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم

---

(١) البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤).

(٢) البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٧١٥).

(٣) مسلم في طرف حديث (٨٧٥).

(٤) مسلم (٨٥٧).

الجمعة[١] .

ويُستحب للشخص أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة :

فقد أخرج الدارمي وغيره بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»[٢] .

الأذان يوم الجمعة

وليُعلم أن الأذان على عهد رسول الله ﷺ كان أذانين فقط، أولهما إذا صعد الإمام المنبر، والثاني هو الإقامة - أعني إقامة الصلاة -.

وأدخل عثمان رضي الله عنه أذانًا ثالثًا على الزوراء قبل وقت الجمعة بزمن ليُعلم أهل السوق باقتراب الوقت، وذلك كما روى البخاري من طريق السائب ابن يزيد[٣] قال: «إِنَّ الْأَذَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ أَوَّلُهُ حِينَ يَجْلِسُ الْإِمَامُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما ، فَلَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه ، وَكَثُرُوا، أَمَرَ عُثْمَانُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْأَذَانِ الثَّالِثِ، فَأُذِّنَ بِهِ عَلَى الزَّوْرَاءِ، فَثَبَتَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ».

أما ما يحدثه الناس الآن من الأذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق، ثم

(١) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٠٧٩).
(٢) الدارمي (٢/ ٤٥٤)، وقد رُوي هذا الخبر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ ، ولا يصح مرفوعًا، والموقوف أصح، لكن للموقوف حُكم المرفوع، والله أعلم.
(٣) البخاري (٦١٦).

أذان آخر عند صعود الإمام، ثم الإقامة بعد ذلك عند انتهاء الخطيب، فهذا - أعني الأذان قبل صعود الإمام بخمس دقائق - ليس هو على سنة رسول الله ﷺ ولا على سنة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

وليست للجمعة هنالك سنةٌ قبلية:

والأمر مُطلق لمن أتى المسجد، فليصل منذ دخوله ما كتب الله له أن يُصلي، لكن إذا صعد الخطيب وأذَّن المؤذن فليست هناك سنة قبلية للجمعة، ولم يرد ذلك عن النبي ﷺ

فإن صعد الإمام المنبر سلَّم على الناس، ثم أذَّن المؤذن، فإذا أذَّن المؤذن للجمعة توقفت الأعمال وتوقف البيع والشراء، بل ويحرم البيع والشراء من الأذان إلى أن تنقضي الصلاة.

لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ [الجمعة: ٩]. فليترك إذن البيع، وكذا الشراء.

وتعلمون أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: ١١] سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا

(١) البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

وأخرج الطبري[١] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرون بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائم على المنبر وينفضون إليها، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

ويُستحب للخطيب وللمستمعين أن يرددوا الأذان مع المؤذن؛ لعموم قول النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»[٢].

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[٣].

ثم يبدأ الخطيب خطبته حامدًا الله عز وجل مُثنيًا عليه، شاهدًا ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم يبدأ خطبته ويُستحب له رفع الصوت فيها[٤].

---

(١) الطبري أثر (٣٤١٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣).
(٣) مسلم (٣٨٤).
(٤) كل ذلك في تقدمة كتابي «خطب العام».

فقد كان النبي ﷺ يرفع صوته في خطبة الجمعة كأنه منذر جيش يقول: «صبَّحكم ومسَّاكم».

ويُستحب أن يُقصر الخطبة بما لا يُخل بها، وأن يطيل الصلاة[(١)] .

ويُستحب له في خطبته أن يُذكِّر الناس بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وأفعاله وسننه في خلقه، وكذا يُذكرهم بنبيهم محمد ﷺ وسنته ويرغبهم في أعمال الخير والبر، وما أوجبه الله عليهم، وينفرهم من الشر والمكروه والمحرم، ويكره له أن يذكر أشخاصًا بأسمائهم على سبيل الذم والانتقاص والطعن، إلا إذا كان من سيذكرهم أئمة ضلال يُقتدى بهم وبأفعالهم، ولن تحدث من وراء ذِكرهم فتن[(٢)] .

ويُشرع للخطيب أن يُعلم الناس أحكام دينهم وفقه عباداتهم، وصحيح معتقداتهم، وغير ذلك مما يحتاجونه من أمر دينهم ودنياهم، إذا كان ثَمَّ أمر نافع لهم فيها بما لا يُخل بمقصود الخطبة، وبما لا يخرجنا ولا يصرفنا عن ذكر الله عز وجل، فلقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، ولم يقل: فاسعوا إلى ذكر فلان وفلان.

❁ ❁ ❁

(١) كل ذلك في تقدمة كتابي «خطب العام».
(٢) وما سوى ذلك مما يتعلق بالخطيب من آداب وفقه فقد ذكرت كثيرًا منها في تقدمة كتابي «خطب العام».

الإنصات للخطبة

ويُلزم مستمع الخطبة بالإنصات؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ**»[١].

وقد وردت في الحديث زيادة وهي: «**وَمَنْ لَغَا فلا جُمُعَةَ لَهُ**»، لكن هذه الزيادة الأخيرة لا تثبت عن رسول الله ﷺ.

لكن يُستثنى من الكلام الممنوع الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره، وكذلك تشميت العاطس إذا عطس، وكذا رد السلام إذا سلَّم عليك مُسلِّمٌ[٢]، وكذا مخاطبة الخطيب إذا أخطأ أو سؤاله - عند الضرورة - عما أُشكل - أو تنبيهه على أمرٍ مهم وخطبٍ عظيم كسؤاله الاستسقاء مثلًا، وكذا التأمين على دعائه إذا دعا.

وإذا كان المرء لا يصل إليه صوت الخطيب ولا يسمعه جاز له أن يذكر الله في نفسه، ولكن لا يُكلم الآدميين، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

ويُستحب للخطيب أن يدعو في خطبته لأهل الإسلام، وبما يحتاجون إليه؛ وذلك لأن الجمعة فيها ساعة يُستجاب فيها الدعاء، قال رسول الله

---

(١) البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) وغيرهما.
(٢) وذلك لأن هناك أمرًا بالصلاة على النبي ﷺ عند ذكره، وأمرًا بتشميت العاطس إذا حمد الله عز وجل، وأمرًا برد السلام.

ﷺ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ»[(١)].

وقد اختلف العلماء في تحديدها، لكن ثَمَّ قول أنها بين أن يصعد الخطيب على المنبر إلى أن تنقضي الصلاة[(٢)]، وقول آخر أنها تُلتمس آخر ساعة بعد العصر[(٣)].

ومما يدل على مشروعية الدعاء، بل على استحبابه:

ما ورد من حديث عمارة بن رؤيبة[(٤)] رضي الله عنه قال: «رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ فَقَالَ: قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ -».

وقد دعا النبي ﷺ على المنبر وهو يستسقي للناس[(٥)]، ثم إن الدعاء عمل بر، وقد قال بمشروعيته في هذا الموطن أكثر أهل العلم فضلًا عن الأدلة المذكورة.

وقد ورد في الباب حيث ضعيف جدًّا من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه:

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٩)، ومسلم (مع النووي ٦/ ١٣٩).
(٢) أخرج ذلك مسلم في «صحيحه» (مع النووي ٦/ ١٤٠)، وهو حديث معلٌّ، انظر علته في (الفتح ٢/ ٤٢٢).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (١/ ٦٣٦)، وسنده صحيح، إلا أنه معلٌّ كذلك.
(٤) مسلم حديث (٨٧٤).
(٥) انظر ذلك فيما أخرجه البخاري حديث (٩٣٣)، ومسلم حديث (٨٩٧)، ففيه أن رسول الله ﷺ كان قائمًا يخطب، فجاءه أعرابي فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادعُ الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا...» الحديث.

أن النبي ﷺ كان يستغفر للمؤمنين في كل جمعة.

ومع ضعفه الشديد إلا أن أكثر أهل العلم على العمل به.

أما عن المأمومين وتأمينهم:

فيُشرع لهم التأمين، وقد استدل لذلك بقول موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

قال بعض العلماء: فدلَّ ذلك على أن هارون أمَّنَ على دعاء موسى عليهما السلام، ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد سمعتم بعض المباحث المتعلقة بالجمعة، وهذا مزيد للوارد في هذا الصدد.

فأقول - وبالله التوفيق -:

إن الجمعة تنعقد بما تنعقد به الجماعة من أعداد المصلين، فلا أعلم دليلًا على عددٍ معين تنعقد به الجمعة، فشأنها إذن شأن الجماعة - والله أعلم - ولكن كلما كثر عدد المجتمعين كان أفضل.

أما الاستدلال بسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، وفيه أقبلت عيرٌ تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلًا، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[١]، فليس في هذا الخبر الإلزام بعددٍ معين لانعقاد الجمعة، ولكن بيان الحال التي حدثت فقط، والله أعلم.

أما عن القراءة في الجمعة:

فالقراءة فيها جهرًا، ويُسنُّ أن يقرأ فيها بسورة الأعلى والغاشية، وذلك لحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وَ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾»[١].

الأعلى في الركعة الأولى - بعد الفاتحة -، والغاشية في الركعة الثانية.

وكذلك يُسن أن يقرأ أحيانًا أُخر بسورة الجمعة والمنافقون؛ وذلك لما صحَّ عند مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قرأ في الأولى بالجمعة، وفي الثانية بالمنافقون، وإن قرأ آخر أجزائه؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾، ولقول النبي ﷺ: «اقرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ ثُمَّ اقرأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرآنِ».

من فاته شيء من صلاة الجمعة:

والذي يدرك الصلاة متأخرًا عن تكبيرة الإحرام، فقد قال بعض أهل العلم في شأنه أنه يقضي ما فاته فقط؛ لقول النبي ﷺ: «فَمَا أَدرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[٣].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن من أدرك ركعة من الجمعة فليقضِ ركعة أخرى بعد تسليم الإمام، ومن لم يدرك إلا الجلوس بعد الركعة الثانية فليأت بأربع ركعات، وهذا منقول عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن مسعود[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أدرك الركعة فقد أدرك الجمعة، ومن لم

(١) مسلم (٨٧٨).
(٢) مسلم (٨٧٧).
(٣) البخاري (٦٣٥).
(٤) عبد الرزاق (المصنف ٧٧٤٥)، وابن أبي شيبة في (المصنف ٢/ ٨٢١).

يدرك الجمعة فليصل أربعًا».

وقال ابن عمر[(١)] رضي الله عنهما : «إذا أدرك الرجل يوم الجمعة ركعة صلى إليها أخرى، وإن وجدهم جلوسًا صلى أربعًا».

ومن فاتته صلاة الجمعة صلى الظهر أربعًا:

قال ابن المنذر[(٢)] : «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن من فاتته الجمعة يُصلي أربعًا».

أما عن النافلة بعد الجمعة:

فإذا أراد الشخص أن يصليها فليتحول عن مكانه أو يتكلم، وذلك لما أخرجه مسلم «أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابْنِ أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: نَعَمْ صَلَّيْتُ مَعَهُ الْجُمُعَةَ فِي الْمَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ إِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ، فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةٍ حَتَّى تَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا بِذَلِكَ أَنْ لَا تُوصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ»[(٣)] .

أما عن عدد ركعات النافلة بعد الجمعة:

فإن شاء المصلي صلى ركعتين، فقد صح عن ابن عمر «أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى

(١) عبد الرزاق (١٧٤٥)، وابن أبي شيبة (٢/ ٨٢١).
(٢) ابن المنذر في كتابه «الأوسط» (٤/ ١٠٧).
(٣) مسلم (٨٨٣).

الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ذَلِكَ»(١).

وإن شاء صلى أربعًا، فعند مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا»(٢).

وإن شاء صلى في المسجد، وإن شاء صلى في البيت.

وصلاة النافلة في البيت أفضل؛ لعموم قول النبي ﷺ: «أَفضَلُ صَلَاةِ المرءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ»(٣).

أما التفصيل الذي حاصله: أن المُصلي إذا صلى في البيت صلى ركعتين، وإذا صلى في المسجد صلى أربعًا، فبعد بحثٍ فيه ألفيته من صنيع ابن عمر ليس عن رسول الله ﷺ صريحًا، إنما فهم البعض ذلك فحسب، والله تعالى أعلم.

وإذا وافق يوم الجمعة يوم العيد، أجزأ الاجتماع في واحدٍ منهما، أما الإمام فيشهد الصلاتين:

أخرج أبو داود(٤) من طريق الأعمش عن عطاء بن أبي رباح قال: «صَلَّى

---

(١) مسلم (واللفظ له حديث ٨٨٢)، والبخاري (٩٣٧).
(٢) مسلم (٨٨١).
(٣) البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١).
(٤) أبو داود (١٠٧١).

بِنَا ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ أَوَّلَ النَّهَارِ، ثُمَّ رُحْنَا إِلَى الْجُمُعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْنَا فَصَلَّيْنَا وُحْدَانًا، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ فَلَمَّا قَدِمَ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: أَصَابَ السُّنَّةَ».

وأخرج أيضًا [(١)] من طريق ابن جريج عن عطاء قال: «اجْتَمَعَ يَوْمُ جُمُعَةٍ وَيَوْمُ فِطْرٍ عَلَى عَهْدِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ: عِيدَانِ اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَجَمَعَهُمَا جَمِيعًا، فَصَلَّاهُمَا رَكْعَتَيْنِ بُكْرَةً لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِمَا حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ».

قلت (مصطفى): وفي الباب أحاديث أُخر وأقوال أُخر.

وماذا بعد الجمعة؟

هذا؛ وإذا قضى المصلي صلاته جاز له الانتشار في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وهذا الأمر بالانتشار ليس أمر إيجاب وإلزام، بل أمر إباحة؛ وذلك لأن النبي ﷺ قد قال: «وَتُصَلِّي - يَعْنِي عَلَيْهِ - الْمَلَائِكَةُ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ، تقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» [(٢)].

هذا؛ ومما يُلفت النظر إليه، أن الله عز وجل أمر بذكره كثيرًا بعد انقضاء الصلاة، حتى لا ينفك الشخص عن ذكر الله عز وجل، قال تعالى:

---

(١) أبو داود (١٠٧٢).
(٢) البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

فيُستحب إذن الإكثار من ذكر الله عز وجل عقب الصلاة، بل وإلى انقضاء اليوم، بل وفي كل وقتٍ وحينٍ، وهذا الذكر يجلب الفلاح، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وليُكثر الشخص من الدعاء، فكما تقدم ففي الجمعة ساعة يُستجاب فيها الدعاء.

وليُكثر من الصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ.

اللهم فقهنا في ديننا.

اللهم آتنا الحكمة وعلمنا الكتاب.

اللهم آتنا من لدنك رحمةً، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل.

اللهم اختم لنا بخير، واجعل مآلنا إلى خير، واحشرنا مع من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

والحمد لله رب العالمين. وأقم الصلاة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تعظيم قدر المساجد والأذان وشهود الجماعات

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فيقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨].

فاستفدنا من هذه الآية المباركة الكريمة أن عمارة بيوت الله علامة إيمان، وهي كذلك بلا شك، ففارقٌ بين من يعمر مساجد الله، وبين من يسعى في خرابها!

وكما لا يخفى عليكم بارك الله فيكم أن عمارة المساجد على قسمين:

- عمارتها المتمثلة في بنائها ونظافتها وتطهيرها.
- وعمارتها المتمثلة في المكث فيها وذكر الله فيها وإقامة الصلوات وتلاوة القرآن والاعتكاف وسائر ما يؤدى فيها من العبادات فالعمارة تنتظم في الأمرين معًا.

فلا شك أن من يقوم بعمارة المساجد المتمثلة في بنيانها مأجور بل وله عظيم الأجر وجميل الثواب، ففي الحديث المتواتر[(١)]: «مَنْ بنَى لله مسجِدًا يبْتَغِي به وجْهَ الله بَنَى الله لَهُ مثله في الجنة»[(٢)].

---

(١) الحديث المتواتر هو الذي ورد من طرق كثيرة جدًا عن رسول الله ﷺ وله شرائط أخر وهو في أعلى درجات الصحة.

(٢) انظر هذه المصادر (البخاري حديث ٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣)، وابن ماجه (٧٣٥)، (٧٣٨).

وليس بناؤها فحسب هو الذي يؤجر عليه الشخص، بل وتنظيفها كذلك.

لقد قال الله سبحانه وتعالى لخليله إبراهيم عليه السلام، ولصادق الوعد إسماعيل عليه السلام: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. فكل من ينظف المسجد ويطهره، وييسّر على المسلمين أمر عبادتهم وإقامة شعائرهم متبع لإبراهيم عليه السلام في ذلك، وهو إمامه وسلفه.

بل إن النخامة التي تكون في المسجد فيدفنها الشخص ويزيل أذاها عن المسلمين، يؤجر عليها من أزالها ونحاها!

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ «فِي الْإِنْسَانِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ مَفْصِلًا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْهُ بِصَدَقَةٍ» قَالُوا وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «النُّخَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ تَدْفِنُهَا وَالشَّيْءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُكَ»[١].

ولقد سأل النبي ﷺ عن رجل أسود، أو امرأة سوداء كان يقم[٢] المسجد فعلم أنه مات ودفن ليلًا فأتى قبره فصلى عليه[٣].

إن من أوائل الأعمال التي عملها النبي ﷺ لما قدم المدينة بناء المسجد،

---

(١) أبو داود (٥٢٤٢).

(٢) أي يجمع القمامة التي فيه.

(٣) البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) بمعناه.

وكانَ في بنائه خير كبير وعميم!.

إن الله سبحانه وتعالى أضاف المساجد لنفسه ونسبها إليه مع أن الله سبحانه له ملك السماوات والأرض وما بينهما فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨]. فشرفت المساجد بإضافتها لله عز وجل.

وكما قال تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] فنسب البيت إليه سبحانه وتعالى، وهذا مزيد تشريف للمساجد ومواطن الصلاة.

إن من مقاصد الجهاد في سبيل الله حماية المساجد وحفظها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

إن المساجد هي أحب البقاع إلى الله عز وجل. ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ البِلادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا، وأبْغَضُ البِلاَدِ إلى الله أسْوَاقُها**».

إن تواجد أهل الصلاح يكون في المساجد.

فقد ضرب الله مثلًا لأهل الإيمان وقلوبهم النيرة وما فيها من الخير والإيمان، وذلك المثل المضروب في سورة النور إذ الله قال ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ثم بيّن أماكن تواجد هؤلاء فقال: ﴿فِي

بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

فتواجد أهل الفضل في المساجد.

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل قلبه معلق بالمساجد كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ(١).

إن البشارات بالخير كثيرًا ما تأتي في الأماكن الطيبة ولقد نادت الملائكة زكريا عليه السلام وبشرته بيحيى وهو قائم يصلي في المحراب.

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وكذلك الأرزاق كانت تُدرُّ على مريم عليها السلام من عند الله تعالى، وهي في محرابها.

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

إن الماكثين في المسجد لا يشقى بهم جليسهم. فيغفر له معهم، ويستجاب له كذلك بإذن الله(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ١٤٢)، ومسلم (مع النووي ٧/ ١٢٠).
(٢) البخاري (٥٩٢٩)، ومسلم (٤٨٥٤).

إن الشخص في المسجد يتعرف على أهل الفضل وعلى أهل الصلاح وعلى الخائفين من ربهم والخاشعين والوجلين.

إنه بتواجده في المسجد يكثر سواد المسلمين الصالحين ويكثر سواد المصلين، فيكتب له بذلك مزيد الأجر وجميل الثواب.

إن شخصًا ما قد يهتدي بسببك ويتبع سبيلك ويعمر مساجد الله فيكتب لك أجر الدلالة على الخير.

إن المساجد ينبغي أن تُطيَّب وأن تُبخَّر وأن تُزال عنها الروائح الكريهة.

لقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل بعض الشيء أخرجه مسلم في صحيحه[(١)]. «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ، هَذَا الْبَصَلَ وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ، أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا»[(٢)].

ولا ينشد فيها ضالة، ولا يُباع فيها ولا يشترى.

عن بريدة، أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَجَدْتَ إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»[(٣)] وفي صحيح مسلم[(٤)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ

---

(١) مسلم (٥٦٧).
(٢) أي فليمت رائحتهما بالطبخ.
(٣) مسلم (حديث ٥٦٩).
(٤) مسلم (٥٦٨).

لَمْ تُبْنَ لِهَذَا».

إنْ أعظم شعائر الإسلام تقام في المساجد.

إنْ الحريص على الخير تتوالى عليه الحسنات منذ أن يسمع النداء ويخرج من بيته إلى بيت من بيوت الله عز وجل فيصلي فيه. فإذا سمع الأذان ورده كان له في ذلك أجر، وكان أرجى لإجابة دعائه

ففي سنن أبي داود[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو أن رجلًا قال: يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا فقال رسول الله ﷺ: «**قلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسلْ تُعْطَه**».

وعن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[(٢)].

وعن أمير المؤمنين[(٣)] عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: للَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ**

(١) سنن أبي داود بسند حسن لغيره (١/ ٣٦٠).
(٢) مسلم (٣٨٦).
(٣) مسلم (حديث ٣٨٥).

أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص[١] أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

إن الأذان له فضل كبير

عن جابر[٢] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ الرَّوْحَاءِ».

وعن أبي هريرة[٣]، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ[٤] لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ[٥]، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ»[٦] وفي رواية أخرى: «إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ حُصَاصٌ»[٧].

---

(١) مسلم حديث (٣٨٤).
(٢) مسلم (٣٨٨).
(٣) رواية مسلم (٣٨٩).
(٤) أحال: أي ذهب هاربًا.
(٥) أي حتى لا يسمع صوت المؤذن كما أوضحته رواية مسلم.
(٦) البخاري (٥٧٣، ١١٤٦، ١١٥).
(٧) حصاص: أي ضراط، وقيل الحصاص شدة العدو أي «شدة الجري» وهذه الرواية =

وفي رواية عند مسلم [1] من طريق سهيل: قَالَ أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، قَالَ: وَمَعِي غُلَامٌ لَنَا «أَوْ صَاحِبٌ لَنَا» فَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ، قَالَ وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَ هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ**».

أما إذا كان هو نفسه مؤذنا فهنيئًا له ثم هنيئًا.

ففي الصحيح [2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المؤذِّنُون أطولُ النَّاس أعْناقًا يومَ القِيامة**» [3].

وعن أنس بن مالك [4]، قال: قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ

= الثانية المشار إليها عند مسلم أيضًا.

(١) في طرق حديث (٣٨٩).

(٢) البخاري (حديث ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤)، ومسلم (مع النووي) (٤/ ١٥٧).

(٣) مسلم (حديث ٣٨٧).

(٤) مسلم (حديث ٣٨٢)، وانظر البخاري مع الفتح (٢/ ٨٩).

رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًى.

وعند البخاري[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن أبي صعصعة: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وعند ابن حبان في موارد الظمآن[(٢)] بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعجب ربنا من راعي غنم في رأس الشظية للجبل يؤذن بالصلاة ويصلي، فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي هذا، يؤذن ويقيم يخاف مني؛ غفرت لعبدي وأدخلته الجنة»».

إن الشخص في طريقه للذهاب إلى المسجد، وكذا وهو في المسجد يُلقي السلام على عشرات ممن يلتقي بهم، وكذا يُلقى عليه السلام منهم، وفي ذلك أجر وثواب.

ويا حبذا إذا تطهر في بيتك ثم اتجه إلى المسجد.

فقد أخرج مسلم[(٣)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) البخاري (مع الفتح) (٢/ ٨٧).
(٢) موارد حديث (٢٦٠)، وأبو داود (١٢٠٣) وغيرهما.
(٣) مسلم حديث (٦٦٦).

«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً» .

ولما أراد بنو سلمة - وكانت ديارهم بعيدة عن المسجد - أن ينتقلوا قريبًا من المسجد قال لهم النبي ﷺ: «يا بَنِي سَلَمَة ألاَ تحْتسِبُونَ آثارَكُم؟»[(١)] وأورد البخاري من طريق مجاهد «معلقًا» في قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢] قال: خطاهم، وقال أيضًا: والمشي في الأرض بأرجلهم.

وفي صحيح مسلم[(٢)] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا فَنَقْتَرِبَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً». وعند مسلم[(٣)] أيضًا من حديث جابر كذلك قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ! دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»[(٤)].

(١) أخرج هذا القول الأخير البخاريُ من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا (٦٥٥). وعند البخاري (٦٥٦) معلقًا من حديث أنس أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم فينزلوا قريبًا من رسول الله ﷺ قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة فقال: «ألاَ تحْتَسِبونَ آثارَكُم».
(٢) مسلم حديث (٦٥٤).
(٣) مسلم حديث (٦٦٥).
(٤) المعنى: الزموا ديَاركم فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد.

وأخرج مسلم[١] من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ، لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ[٢]، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَوْ قُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ».

وفي رواية أخرى عند مسلم أيضًا[٣]: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ! لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ! قَالَ: أَمَ وَاللَّهِ! مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ».



(١) مسلم (حديث ٦٦٣).
(٢) لا تخطئه: أي لا تفوته.
(٣) مسلم (حديث ١٠٦٦).

إنَّ المنازل وأنواع الضيافات تعد وتهيأ لمن غدا إلى المسجد أو راح:

فعن أبي هريرة[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا[(٢)] إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ[(٣)] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَه[(٤)] مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ».

إن الذي يسمع النداء عليه أن يجيب لقد قالت الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾.

وأخرج مسلم[(٥)] من حديث أبي هريرة، قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» فقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ».

ولقد أخرج البخاري[(٦)] من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ».

---

(١) البخاري حديث (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).
(٢) غدا: ذهب، والغدو يطلق أيضًا على المضي من بكرة النهار.
(٣) راح: رجع، والرواح أيضًا يطلق على الرجوع بعد الزوال.
(٤) أعد له نزله: أي هيأ له منزله ومكان ضيافته.
(٥) مسلم (حديث ٦٥٣).
(٦) البخاري حديث (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١).

وعن أبي هريرة[١] قال: قال النبي ﷺ: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُقِيمَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدُ».

ولقد قال تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

- إن ملائكة كرامًا كثيرًا ما تقف على أبواب المساجد تسجل الداخل أولًا فأول.
- إنها تحف مجالس الذاكرين.
- إنها تحمل صلاة المصلين على رسول الله ﷺ وتبلغها الرسول ﷺ.
- إن السكينة تتنزل على الذاكرين في المساجد.
- إن الرحمة تغشاهم.
- إن الدرجات ترتفع بتعلم آية من كتاب الله عز وجل وكذلك تثبت الأجور.
- وعلامة خير للعبد إذا وفق للذهاب إلى المساجد وتفقه هنالك في دينه فقد قال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢].
- هنيئًا لمن ذهب إلى المسجد فتعلم القرآن أو علمه، ففي الحديث:

---

(١) البخاري (٦٥٧)، ومسلم (١٠٤١).
(٢) البخاري (٦٩، ٢٨٨٤، ٦٧٦٨)، ومسلم (١٧١٩، ١٧٢١، ٣٥٤٩).

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

- إن هذه الدقائق أو الساعات التي يمكثها الشخص في المسجد تثبت في سجل حسناته وأعماله يوم يلقى ربه تبارك وتعالى.
- إنه ينكف عن الشر بتواجده في المساجد مع الصالحين.
- إنه يسمع في المسجد كل طيب وجميل، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].
- إن الشخص إذا دخل المسجد فهو في صلاة ما دام ينتظر الصلاة.
- إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فيحظى الذاهب إلى المسجد مبكرًا بفضيلة ألا وهي إجابة الدعاء.
- إن أجوره تتضاعف أضعافًا كثيرة بصلاته مع الجماعة.

أخرج البخاري[٢] ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صلاةُ الجمَاعَةِ تفْضُلُ صَلاَةَ الفذِّ بسَبْعٍ وعِشْرينَ درَجَة».

وأخرج البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَفْضُلُ صَلاَةُ الْجَمِيعِ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا[٤]، وَتَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ» ثُمَّ يَقُولُ

(١) البخاري (٤٦٣٩).
(٢) البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).
(٣) البخاري حديث (٦٤٨).
(٤) اختلاف الروايات «خمس وعشرون وسبع وعشرون» وغير ذلك يختلف باختلاف

أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾».

وأخرج البخاري [(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ».

وأخرج البخاري [(٢)] من حديث أبي سعيد الخدري، أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «صلاةُ الجَماعة تفضُلُ صلاةَ الفَذِّ بخَمسٍ وعشرين درجةً»».

وفي الصحيح عن أبي موسى [(٣)]، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ».

وفي الصحيح [(٤)] كذلك من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= حسن الصلاة وعدد المصلين واستواء الصفوف وغير ذلك.

(١) البخاري حديث (٦٤٧).

(٢) البخاري حديث (٦٤٦).

(٣) البخاري (٦٥١)، ومسلم حديث (٦٦٢).

(٤) مسلم حديث (٦٤٩).

«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ، مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ! ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ! تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ».

وأخرج مسلم[1] من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ».

إن النبي ﷺ في مرض موته لما وجد في نفسه خفة قام كي يشارك المسلمين في صلاتهم.

ففي الصحيح[2] من طريق الأسود قال: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَأُذِّنَ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ

(١) مسلم (حديث ٦٥٦).
(٢) البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٦٣٤).

مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ. قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ بِرَأْسِهِ: «نَعَمْ».

وعند البخاري[(١)] من أوجه آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فذكرت ذلك لابن عباس ما قالت عائشة فقال لي: وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب.

إن صلاة الجماعة من سنن الهدى

أخرج مسلم[(٢)] من طريق أبي الأحوص قال: قال عبد الله[(٣)]: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ، أَوْ مَرِيضٌ، إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةَ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى[(٤)] الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ.

---

(١) البخاري (٦٦٥).
(٢) مسلم (٦٥٤).
(٣) عبد الله هو ابن مسعود.
(٤) من سنن الهدى أي من طرائق الهدى.

وفي رواية أخرى عن عبد الله، قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ.

وفي صحيح البخاري[١] من طريق أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدَّرْداء وهُوَ مُغضبٌ فَقُلت: مَا أغْضَبكَ؟ فقال: والله مَا أعْرِفُ من أمَّةِ مُحَمد ﷺ شيْئًا إلا أنَّهم يُصلُّون جميعًا.

إن ملائكة تشهد المصلين في صلاة الفجر والعصر وتشهد لهم عند ربهم بذلك

ففي الصحيحين[٢] عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

(١) البخاري (٦٥٠).
(٢) البخاري (٥٢٢، ٦٨٧٨، ٦٩٣٢)، مسلم (٦٣٢).

وكذلك فثمَّ ملائكة كرام يشهدون قرآن الفجر وينصتون له، فقد قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

إن من صلى الصبح فهو في ذمة الله

أخرج الإمام مسلم[١] رحمه الله تعالى من حديث جندب القسري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ[٢] ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

- إن المسلمين في صلاة الجماعة يصفون صفوفًا غنيهم يجاور فقيرهم، وصاحب المنصب بجوار من لا منصب له، وذو الجاه بجوار من لا وجاهة له.

- وهذا كله يبين محاسن ديننا.

- وهذا كله يورث التواضع وخفض الجناح.

- إنهم يؤمنون على دعاء إمامهم فيحظون بفضيلة تأمين الملائكة معهم، ومن ثم مغفرة الذنوب وإجابة الدعوات.

- إن الصلاة إذا انقضت ومكث الشخص في مصلاه يذكر الله فإن الملائكة تصلي عليه وتدعو له ما لم يؤذ ما لم يحدث.

---

(١) مسلم حديث (٢٦٢).
(٢) أي أن الله عز وجل لا يهرب منه هارب.

أخرج البخاري[١] من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ[٢] مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ».

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



---

(١) البخاري (٦٥٩)، ومسلم (١٠٦٠).

(٢) أي ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فهكذا سمعتم شيئًا عن فضل المساجد وعمارتها والنداء وإجابته والجماعة وشهودها جعلنا الله وإياكم من عمار بيوته وممن أجاب ندائه ومن شهود الجمع والجماعات.

ثم اعلموا بارك الله فيكم.

أن التخلف عن الجماعة علامة نفاق، فقد تقدم قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق».

كذا فاعلموا أن المتخلف عن الجماعة محروم من الأجر والثواب فأين الواحد من سبعٍ وعشرين؟

إن المتخلف عن الجماعة مخالف لأمر رسول الله ﷺ.

إن التخلف عن الجماعة والمساجد والصلوات يستجلب لصاحبه الثناء السيء والتشبه بالكفار فلقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾[1] [التوبة: ١٣].

ولقد قال ﷺ: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[2].

(١) ليس معناه بحال أن الذي لا يشهد الجماعة يكفر.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١١٦/٥)، والنسائي (١٠٦/٢- ١٠٧) وغيرهما.

إن المتخلف عن الجماعة والجمعة يحرم نفسه من أن يسجل في صحائف الملائكة الكرام البررة الذين يكتبون الداخل أولًا بأول.

إنه يحرم نفسه من صلاة الملائكة عليه ودعائهم لهم.

إنه يحرم نفسه من أجر الخطا إلى المساجد، وكذا يحرم نفسه من رؤيا أهل الصلاح، ومن نزول السكينة وغشيان الرحمة وأن تحفه الملائكة.

ثم إنه لم يركع ولم يمتثل أمر رب العالمين.

اللهم أعنا على إقامة الصلوات في جماعة على الوجه الذي ترضى به عنا يا رب العالمين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم اجعلنا من عمار بيوتك.

اللهم اجعلنا ذاكرين لك شاكرين لنعمائك مثنين بها عليك يا أرحم الراحمين.

اللهم ألحقنا بالذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأقم الصلاة.

❀ ❀ ❀

الزكاة

إنْ الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذْ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فالحديث اليوم - بمشيئة الله - عن ركن عظيم من أركان الإسلام إنه الزكاة.

لقد تكررت الأوامر بها في كتاب الله عز وجل . وكذا في سنة رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٣] .

وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨] .

- لقد أوحى الله فعلها إلى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه.

قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٧٣] .

- ولقد أثنى الله عز وجل على نبيه إسماعيل عليه السلام بقوله : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريَم: الآية ٥٥] .

- لقد قال المسيح عيسى عليه السلام، وهو يتكلم في المهد: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريَم: الآية ٣١] .

- ولقد قال تعالى لبني إسرائيل وقد أخذ عليهم الميثاق: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المَائدة: الآية ١٢] .

❑ ولقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيّنة: الآية ٥] .

ولقد قال تعالى لأزواج نبيه ﷺ: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣] .

❑ فحقًّا! إنها ركن عظيم من أركان الإسلام لا يجادل في ذلك ولا يمارى، وكيف لا ونبي الله ﷺ يقول. «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وتقيم الصَّلَاةِ، وتؤتي الزَّكَاةِ، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»[١] .

❑ وكيف لا؟ ونبي الله ﷺ يقول: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[٢] .

❑ وكيف لا، وهي من أوائل ما أمر به النبي ﷺ. ففي سؤالات هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ ماذا يأمركم؟ قال يقول: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركو ما يقول آباؤكم» ويأمرنا بالصلاة والصدقة** والعفاف والصلة وفي رواية: «والصدقة»، وفي ثالثة: «والزكاة».

❑ ولقد أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ

(١) مسلم (حديث رقم ٨).
(٢) البخاري (حديث ٨)، ومسلم (حديث ١٦).
(٣) البخاري (١٣٩٥)، ومسلم حديث (؟؟).

بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ».

❑ وكيف لا، والنبي ﷺ كان يأخذ البيعة عليها من بعض أصحابه.

قال جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[(١)].

لقد جاء رجل[(٢)] إلى النبي ﷺ يسأله عن عمل يدخله، الجنة فأوصاه النبي ﷺ في جملة ما أوصاه بالزكاة. ففي الصحيحين من حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال للنبي ﷺ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ. مَا لَهُ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وكذا في الصحيحين[(٣)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

---

(١) البخاري حديث (١٤٠١) ومسلم حديث (٥٦).
(٢) البخاري (١٣٩٦).
(٣) البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

لقد قاتل عليها أبو بكر رضي الله عنه المرتدين. ففي الصحيح[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ**» فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ».

❑ إن الزكاة طهرة للأموال والقلوب والأنفس، فلقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: الآية ١٠٣] .

❑ إن بقاءها في وسط الأموال يلوث تلك الأموال، فإنما الصدقة في أوساخ الناس، يعني إذا بقيت في الأموال وسختها.

قال ﷺ: «**إِنَّ الصَّدَقَة لا تَنْبَغي لآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّما هِيَ أَوْسَاخُ النَّاس**»[(٢)] .

❑ إن إخراج الزكاة بركة في الأموال ونماء لها خلافًا لما قد يتوهمه متوهم، أو يظن ظان. فلقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩] .

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم حديث (٢٠).
(٢) مسلم (حديث ١٠٧٢).

ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٩] .

ولقد قال تعالى: «ابن آدم، أنفق أُنفِق عليك»[(١)] .

إن ملكًا يدعو كل صباح قائلًا: «اللهم أعط منفقًا خلفًا»[(٢)] .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَت صدَقَةٌ مِنْ مال»[(٣)] .

- إن رحمة الله تكتب لمن يؤدي الزكاة.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦].

- وكذلك مؤدي الزكاة له أجر عظيم.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُوْلَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٢] .

- إن الفلاح يصاحب من أدى الزكاة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: الآيات ١-٤] .

أيها الأخوة: إن النار تتقى ولو بشق تمرة، قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا

(١) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٣) مسلم (٢٥٨٨).

النَّار، ولَوْ بشِقِّ تَمْرَة»[١] .

ولقد قال تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ١٧-١٨].

- إن الزكاة - بارك الله فيكم - نوعٌ من أنواع التكافل والمواساة بين أهل الإسلام.

- إنها تجلب التواد والتراحم وتقوي أواصر الإخاء والمحبة.

- إنها حق يجب أن يؤدى لأهله.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: الآيتان ٢٤،٢٥] .

أيها الأخوة، لقد توالت نصوص الوعيد لمن منع الزكاة وأي وعيد؟!! إنه وعيد تقشعر منه الأبدان، وترجف له القلوب! ويكاد الفؤاد منه أن يتصدع!!

لقد قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا

(١) البخاري (حديث ١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦).

كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥] .

ولقد قال ابن عمر[١] رضي الله عنهما في تفسيرها : من كنزها فلم يؤد زكاتها فويلٌ له .

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٢] : قال النبي ﷺ : «تَأْتِي الْإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا . وَتَأْتِي الْغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا تَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا . وَقَالَ : وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى الْمَاءِ قَالَ : وَلَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ وَلَا يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ» .

وأخرج البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا[٤] أَقْرَعَ[٥] لَهُ زَبِيبَتَانِ[٦] يُطَوَّقُهُ[٧] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ[٨] - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - يَقُولُ :

---

(١) البخاري (حديث ١٤٠٤).
(٢) البخاري (١٤٠٢).
(٣) البخاري (١٤٠٣).
(٤) الشجاع : الحية الذكر.
(٥) الذي تقرع رأسه أي تمعط لكثرة السم، قيل : سمي الأقرع لأن شعر رأسه يتمعط لكثرة السم فيه، وقيل ذهب جلد رأسه من شدة السم، وقيل أبيض رأسه
(٦) قيل الزبيبتان : نقطتان سوداوان فوق العينين، وقيل : نقطتان حول الفم، وقيل : نابان يخرجان من فيه .
(٧) يطوقه : أي يصبح له طوقًا .
(٨) وقيل في معناها العظمان الناتئان في اللحيين تحت الأذنين، وقيل : لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان .

أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٠]» الْآيَةِ.

وعند مسلم(١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وفي رواية أخرى(٢): «و مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ. كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ. فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى

(١) مسلم ص (٦٨٢) في طرق حديث (٩٨٧).
(٢) مسلم (٩٨٧).

الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» .

وأخرج البخاري[١] من حديث عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، أَوْ كَمَا حَلَفَ - مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ أَوْ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أُتِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنَهُ، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ» .

وعند مسلم[٢] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ قَطُّ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا[٣]، وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا، إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ. وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ. تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِقَوَائِمِهَا. وَلَا صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا. إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ. وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ. تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ[٤] وَلَا مُنْكَسِرٌ قَرْنُهَا. وَلَا صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ. إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ[٥].

(١) البخاري (١٤٦٠)، ومسلم (٩٩٠).
(٢) مسلم (٩٨٨).
(٣) «تستن عليه بقوائمها وأخفافها» أي ترفع يديها وتطرحهما معًا على صاحبها.
(٤) «جماء» هي الشاة التي لا قرن لها، كجلحاء. مذكرة أجمّ.
(٥) «شجاعًا أقرع» الشجاع الحية الذكر. والأقرع الذي تمعّط شعره لكثرة سمه. وقيل: الشجاع الذي يواثب الراجل والفارس ويقوم على ذنبه. وربما بلغ رأس الفارس. ويكون في الصحاري.

يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ. فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ فَيُنَادِيهِ[(١)]: خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ. فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ. فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ[(٢)] فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ[(٣)]».

وأخرج البخاري[(٤)] من طريق الأحنف بن قيس قال: «جَلَسْتُ إِلَى مَلَإٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعَرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ، حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: بَشِّرْ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ[(٥)] يُحْمَى عَلَيْهِ[(٦)] فِي نَارِ جَهَنَّمَ ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ[(٧)]، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ يَتَزَلْزَلُ. ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ. وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ، فَقُلْتُ لَهُ: لَا أُرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرِهُوا الَّذِي قُلْتَ. قَالَ إِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا».

قَالَ لِي خَلِيلِي قَالَ قُلْتُ: مَنْ خَلِيلُكَ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَتُبْصِرُ أُحُدًا؟ قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنْ النَّهَارِ، وَأَنَا أُرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ. وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا. لَا وَاللَّهِ، لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ».

---

(١) «فيناديه» أي ينادي الشجاع صاحب الكنز.
(٢) «سلك» يده معنى سلك أدخل.
(٣) «فيقضمها قضم الفحل» يقال: قضمت الدابة شعيرها تقضمه، إذا أكلته.
(٤) البخاري (١٤٠٧، ١٤٠٨)، ومسلم (٩٩٢).
(٥) «الرضف»: الحجارة المحماة.
(٦) «يحمى عليه» أي يوقد عليه.
(٧) «نفضه كثيفة النغض» هو العظم الرقيق الذي على طرف الكتف.

نسأل الله عز وجل أن يعيننا وإياكم على أداء الزكاة، وعلى أداء عموم ما افترضه علينا وأنْ يسهِّل علينا أمر الطاعات.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة على رسول الله، وبعد . . .

فقد سمعتم - بارك الله فيكم - ما ورد في شأن الزكاة وفضلها، والترهيب من منعها، ثم ها هي مصارفها على وجه الإجمال والإيجاز - بارك الله فيكم، وشكر الله مسعاكم، وتقبل الله زكواتكم- .

لقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: الآية ٦٠] فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ [التوبة: الآية ٦٠] فالمراد بها هنا الزكوات المفروضة ثم بين مصارفها بقوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ وهم معروفون وهم الذين لا يملكون قوتهم ولا كفايتهم.

أما ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ فهم الذين لهم دخول ولكنها لا تكفيهم.

وأشدهم مسكنة هم الذين لا يسألون الناس شيئًا، ولا يجدون غنى يغنيهم، ولا يتفطن لهم فيتصدق عليهم، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «لَيسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ» قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا».

﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ فهم السعاة والجباة، الذين يسعون في جمع الزكوات، وتوزيعها، وتسليمها لبيت المال ونحو هذه الأعمال.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ فهم أقسام منهم: من يعطي ليُسْلِمَ، ومنهم من يعطى لدفع شره عن المسلمين، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد.

أما قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ أي لتحرير الرقاب أي لإعتاق العبيد والإماء وتحريرهم.

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ أقسام منهم: من تحمل حمالة أو ضمن دينًا فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه، أو المدينون.

أما قوله: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد ولوازمه.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ فهم المسافرون الذين انقطعت بهم الحبال، ولم يتمكنوا من الرجوع إلى أهاليهم وذويهم، فهؤلاء يعطون ما يمكنهم من الوصول إلى بلادهم.

هذا، وليعلم أن المذكورين يجب أن يكونوا من أهل الإسلام وهم الفقراء والمساكين....

اللهم إلا أن المؤلفة قلوبهم فيها بعض الاتساع.

هذا، نسأل الله أن يفقهنا وإياكم في ديننا، وأن يوفقنا وإياكم لاتباع أمره وأمر رسوله ﷺ

اللهم قنا شح أنفسنا.

اللهم وفقنا لفعل الخيرات وجنبنا المنكرات. يا سميع الدعاء، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه. وأرنا الباطل باطلًا، وارزقنا اجتنابه.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم، والحمد لله رب العالمين.



الحث على الصدقة والإنفاق

إنَّ الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

أيها الأخوة:

إن نصرة هذا الدين لا تتأتى فقط بالأماني ولا بالظنون.

بل لابد من بذل مزيد من الجهد والوقت والنفس والمال لنصرة هذا الدين.

لابد من الإنفاق لنصرة هذا الدين بارك الله فيكم.

لقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: الآية ١١١].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: الآية ٨٨].

ومن ثم - وكذلك فلاتقاء فتنة من أعظم الفتن ألا وهي فتنة المال - فلابد من بذله في أوجه المعروف والخير التي ذكرها الله في كتابه وذكرها النبي ﷺ في سنته ولذا فقد توالت الأوامر بالإنفاق والحث عليه والترغيب فيه وتعددت بذلك النصوص.

قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: الآية ٧].

قال تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [التغابن: الآية ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٧] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطَّلَاق: الآية ٧] .

وقال تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] .

ولقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المُنَافِقون: الآية ١٠] .

لقد صدرت صفات المتقين بالإنفاق.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ .

ولقد قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البَقَرَة: الآيات ١-٣] .

لقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾

لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

ثم تأمل هذه الآيات.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرّعد: ٢٢ - ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشّورى: الآية ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحَجّ: الآية ٣٥].

. وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧].

لقد أثنى الله على عباد الرحمن، وكان من الثناء عليهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٦٧].

وكذلك فاستمع إلى هذه الآيات.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التّغَابُن: الآية ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: الآية ٢٠].

واستمع أيضًا لقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥].

ولقد قال النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: **«تصدَّقي وَلَا توعِي فَيُوعَى عَلَيْك»**[١] وفي رواية: **«وَلَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْك»**.

لقد قال تعالى[٢] **«أنْفِقْ أُنفِقْ عليك»**.

إن الملائكة تدعو للمنفق بالخلف، وتدعو على الممسك بالتلف، أخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»**.

ولقد وعد الله تبارك وتعالى المنفق بأن يخلف عليه ويزيده فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وانظر إلى هذا الفضل الذي تفضل الله به على المنفق من بين سائر الناس.

---

(١) البخاري (٢٥٩٠)، ومسلم (١٠٢٩).
(٢) وذلك في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).
(٣) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

أخرج الإمام مسلم[(١)] رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِن تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

فلا تظن أبدًا أيها المسلم أن الصدقة تنقص المال بل تزيده وتنميه ويبارك لك فيه. ففي صحيح مسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».

إن الأجر الكبير مدخر يوم القيامة للمنفق.

قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [الحديد: الآية ٧].

وكذا العاقبة الحسنة يوم القيامة للمنفق.

(١) مسلم حديث (٢٩٨٤).
(٢) مسلم (حديث ٢٥٨٨).

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرّعد: الآية ٢٢].

وكذا المغفرة والرزق الكريم.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٣-٤].

وفي الصحيحين[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ. وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ. فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

وعن أبي هريرة[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ

(١) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) مسلم (حديث ١٠٢٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

إن ما تنفقه هو الذي سيبقى لك يوم لا ينفع المرء إلا ما قد قدَّم، وانظر إلى هذا المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ للمتصدق والممسك، وذلك فيما أخرجه البخاري[١] من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

إن الصدقة كفارة للذنب.

ففي الحديث[٢] عن رسول الله ﷺ: «فتنَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ ومَالِهِ وجَارِه تُكَفِّرَها الصَّلاة والصَّدَقَة..» الحديث.

إن الصدقة تُظلُّ صاحبها يوم القيامة

ولقد صح[٣] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ».

وفي حديث السبعة[٤] الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. «رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

---

(١) البخاري (٦٤٤٢).
(٢) البخاري (٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤).
(٣) أحمد في «المسند» (٤/١٤٧-١٤٨).
(٤) البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

لقد صح[١] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُه».

إن الصدقة تدفع العذاب

أخرج البخاري[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ فَوَعَظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ تَصَدَّقُوا» فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ» ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ جَاءَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ زَيْنَبُ. فَقَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟» فَقِيلَ: امْرَأَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ: «نَعَمْ. ائْذَنُوا لَهَا» فَأُذِنَ لَهَا. قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّكَ أَمَرْتَ الْيَوْمَ بِالصَّدَقَةِ، وَكَانَ عِنْدِي حُلِيٌّ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ، فَزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «صَدَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ».

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ

---

(١) ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٣٢).

(٢) البخاري (١٤٦٢)، وانظر صحيح مسلم لذلك (٦٠٣) في طرق حديث (٨٨٥).

﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: الآيات ١٧-٢١].

إن النار قد تتقى ولو بشق تمرة

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث عدي بن حاتم قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، قَالَ شُعْبَةُ أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلَا أَشُكُّ ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

إن محبة الخالق تنال بالإنفاق والبذل والإحسان قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمران: الآية ١٣٤].

إن محبة الخلق تنال بعد توفيق الله بالإنفاق عليهم وإعطائهم وإكرامهم.

ومن ثَمَّ شرع للمؤلفة قلوبهم نصيبٌ حتى من الزكوات.

إن المفلح من وقي شح نفسه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: ٩].

إن الإمساك تهلكة

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥] فأحد الوجوه في تفسيرها - وإن كان في تفسيرها عدة وجوه - أن الإمساك تهلكة.

(١) البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).

إن البخيل لا يحسد على بخله، إنما الذين يحسدون الكرماء الفضلاء الذين ينفقون مما رزقهم الله سرًّا وعلانية.

ففي الصحيحين [(١)] من حديث عبد الله بن مسعود قال النبي ﷺ «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**».

إن ثواب البر لا ينال إلا بالإنفاق مما تحب. قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ٩٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال [(٢)]: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَى [(٣)]. وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَ طَيِّبٍ.

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: الآية ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَى، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَيْثُ شِئْتَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ. ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ. قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا. وَإِنِّي أَرَى أَنْ**

(١) البخاري (٧٣)، ومسلم حديث (٨١٦).
(٢) البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).
(٣) في رواية بيرحاء.

تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.

وهذه بشارة حسنة لمن تصدق فتأسى الناس به وتصدقوا

أخرج مسلم[١] من حديث جرير رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ. قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ. فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: الآية ١] وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحشر: الآية ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ[٢] كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

---

(١) مسلم (١٠١٧).

(٢) يتهلل: أي يستنير.

ولا تستقل الصدقة أيها المسلم بل تصدق ولو بالقليل فقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦].

وفي الصحيح[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْني امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا فَسَأَلَتْنِي فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، وَاحِدَةٍ فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا. فَأَخَذَتْهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا. وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا شَيْئًا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ وَابْنَتَاهَا. فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنْ النَّارِ».

إن صغير النفقة وكبيرها يكتب

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: الآية ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠].

وفي الصحيح[(٢)] من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «منِ اسْتَطاعَ منْكُم أن يسْتَتِرَ من النَّارِ، ولوْ بِشِقِّ تَمرة فلْيَفْعَل[(٣)]».

وفي رواية أخرى في الصحيح كذلك قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُم من

---

(١) مسلم (١٤١٨).
(٢) البخاري (١٤١٧)، ومسلم حديث (١٠١٦).
(٣) شق تمرة: أي نصف تمرة.

أَحَدٍ[(١)] إلا وَسَيُكلِّمهُ الله. لَيْسَ بيْنَهُ وبيْنَه ترْجَمَانٌ[(٢)] فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النَّار تلقاء وجهه، فاتقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرة».

وفي رواية: «ولو بكلمة طيبة».

وفي الصحيحين[(٣)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال. «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ[(٤)] بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً. فَتَرْبُو[(٥)] فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ. كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»[(٦)].

وفي «الصحيحين»[(٧)]. عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ قَالَ: كُنَّا نُحَامِلُ[(٨)]. قَالَ: فَتَصَدَّقَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ. قَالَ: وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْهُ. فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخَرُ إِلَّا رِيَاءً، فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٩]. وَلَمْ يَلْفِظْ

(١) أي ما أحد منكم.
(٢) ترجمان يعني مترجمًا.
(٣) البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤).
(٤) في رواية إلا أخذها الله بيمينه.
(٥) تربوا أي تزداد.
(٦) الفلو هو المهر الصغير «الفرس الصغير»، والفصيل: ولد الناقة الذي فصل عن الرضاع.
(٧) البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).
(٨) أي نحمل على ظهورنا بالأجرة.

بِشْرٌ: بِالْمُطَّوِّعِينَ.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ[٢]، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ[٣]، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

لقد ضرب للمنفقين في سبيل الله أجمل المثل في تضعيف أجورهم، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦١].

وهذا مثلٌ ضُرب للمنفق والبخيل.

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ».

و حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ

(١) مسلم (١٠٣٦).
(٢) «أن تبذل الفضل خير لك» معناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه. وإن أمسكته فهو شر لك.
(٣) «ولا تلام على كفاف» معناه أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه.
(٤) البخاري حديث (١٤٤٣)، ومسلم حديث (١٠٢١).

فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ -أَوْ وَفَرَتْ- عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ[١]، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ. وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ».

وفي «الصحيح»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ. كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ. قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا[٣]. فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تَغْشَى أَنَامِلَهُ[٤]، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ[٥]. وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ، قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ بِمَكَانِهَا» قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا فِي جَيْبِهِ. فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَوَسَّعُ.

قدِّموا حمدًا وشكرًا لله يا من أغناكم الله، ويا من آتاكم من فضله، ويا من أعانكم ربكم على فعل الخير؛ فاليد العليا خير من اليد السفلى كما قال النبي ﷺ

ففي «الصحيح»[٦] من حديث عبد الله بن عمر؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) البنان: أطراف الأصابع، وقيل: الأصابع، والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يستر الثوب الذي يجر على الأرض أثر صاحبه.
(٢) البخاري (٥٧٩٧)، مسلم حديث (١٠٢١).
(٣) أي قد ألجئت إليها ولصقت بها كأنها مغلولة إلى أعناقهما.
(٤) تغشى أنامله: أي تغطيها وتسترها.
(٥) تعفو أثره: أي تمحو أثر مشيته وتطمسه، يعني أن الصدقة تستر خطايا المتصدق كما يستر الثوب الذي يجر على الأرض أثر مشي لابسه بمرور الذيل عليه.
(٦) البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣).

قَالَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ**».

وعن حكيم بن حزام (١) أن رسول الله ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَوْ خَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى (٢)، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**».

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم للبذل في طاعته، والإنفاق في مرضاته، وأن يغنينا وإياكم من فضله. ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٠).

(٢) «عن ظهر غنى» معناه: أفضل الصدقة ما بقى صاحبها بعدها مستغنيًا بما بقي معه. وتقديره: أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

أما وقد سمعتم بعض الوارد في فضل الإنفاق، وهو غيضٌ من فيضٍ، وقليلٌ من كثيرٍ، ألا فاعلموا أن الإنفاق له فقه،كما أن سائر القُربات والعبادات لها فقهٌ.

وحتى تحظى بأعظم الأجور ؛ ينبغي أن تدرك شيئًا من فقه الإنفاق.

فالفقيه يعمل قليلًا ويُؤجر كثيرًا.

فهذه بعض اللفتات التي نلفت النظر إليها ؛ لتضعيف الأجور ونيل أعظم الدرجات.

أولًا: يلزمنا - بارك الله فيكم - أن نخلص النية ونحن نتصدق، ونبتغي الأجر والثواب من الله عز وجل.

فلقد قال أهل الإيمان: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: الآية ٩].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: الآيات ١٨-٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: الآية ١١٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[(١)].

ثانيًا: ينبغي أن نطيب المال الذي نتصدق به، ونأتي به من وجوه الخير، ونأكل طيبًا، ونشرب طيبًا، ونلبس الطيب من الثياب، ونتغذى بالحلال.

وفي «الصحيح»[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ. إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٥١]. وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ[(٣)] بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

ثالثًا: وابدأ في الصدقة بنفسك، ثم بالأقربين الفقراء.

---

(١) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) مسلم (١٠١٥).
(٣) غُذي بضم الغين وتخفيف الزال.

ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ[٢] فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟». فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟» فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا. فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ. فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ. فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا**» يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ[٤]. وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ. وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ. أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**».

وفي «صحيح مسلم»[٥] من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ. دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ[٦]. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: - وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ -. ثُمَّ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا

---

(١) مسلم (٩٩٧).
(٢) قيل في معناها، أنه علق عتقه بموته، أي أنه قال له: أنت حرٌّ يوم أموت.
(٣) مسلم (٩٩٥).
(٤) أي في عتق رقبة، أي في شراء عبدٍ أو أمةٍ وعتقه.
(٥) مسلم حديث (٩٩٤).
(٦) قوله على عياله، أي من يعوله ويلزمه مؤنته من نحو زوجة وخادم وولد.

مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ. يُعِفُّهُمْ، أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ وَيُغْنِيهِمْ.

وفي «الصحيح»(١) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ؟ أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ. وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا. إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ. فَقَالَ: «نَعَمْ لَكِ فِيهِمْ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ».

وفي «الصحيحين»(٢) عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ».

قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ.

قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: بَلْ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ.

قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ.

قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا؟» فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ.

---

(١) البخاري (١٤٦٧)، مسلم (١٠٠١).

(٢) البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟». قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

والصدقة على القريب صدقة، وصلة لها أجران، والصدقة على البعيد صدقة

أخرج النسائي[١] بسند صحيح لغيره من حديث سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».

واحرص على أن تقع الصدقة في يد من هم أشد احتياجًا إليها

فقد قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٤-١٦].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ. وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ. إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ. وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣].

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ

(١) النسائي (٥/ ٩٢).
(٢) البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩).
(٣) البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢).

رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ. فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ. قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ. لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ. فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ. فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ. أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا. وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ. وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ».

وهذه حال فيها تعظم الصدقة

في «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟. فقَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ[٢]. تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى[٣]. وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢).
(٢) «وأنت صحيح شحيح» قال الخطابي: الشح أعم من البخل، وكأن الشح جنس، والبخل نوع. وأكثر ما يقال البخل في أفراد الأمور، والشح عام كالوصف اللازم، وما هو من قبل الطبع.
قال: فمعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة. فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره. بخلاف من أشرف على الموت وأيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة، بالنسبة إلى حالة الصحة، والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر.
(٣) «وتأمل الغنى» أي تطمع فيه.

الْحُلْقُومَ[١] ». قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ.

وتجزئ الصدقة عن الميت

عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا[٢] وَلَمْ تُوصِ. وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ. أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ».

نسأل الله العلي الكريم أن يعيننا وإياكم على الصدقة، وأن يقينا وإياكم شحَّ أنفسنا.

اللهم اجعلنا من المنفقين في طاعتك. الباذلين في مرضاتك يا أرحم الراحمين.

اللهم وسع أرزاقنا وسلطنا على إهلاك ما رزقتنا في الحق.

اللهم اجعلنا من عبادك المحسنين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.



---

(١) «حتى إذا بلغت الحلقوم» أي بلغت الروح. والمراد قاربت بلوغ الحلقوم. إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصيته ولا صدقته ولا شيء من تصرفاته.

(٢) معناها ماتت فجأة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رمضان وفضل الصيام

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فهذا شهرٌ كريمٌ قد أهلَّ علينا هلاله أو كاد، جعله الله هلال خير ورشد علينا وعليكم وعلى المسلمينَ أجمعين.

قد أظلنا هذا الشهر المبارك الكريم شهر الصيام، شهر القرآن، شهر القيام، شهر الصبر، شهرٌ فيه ليلة القدر. ليلة خيرٌ من ألف شهر.

لقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تُبين فضل هذا الشهر، وفضل صيامه وقيامه:

من هذه الأحاديث ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ».

وفي رواية في «الصحيح»: «فُتِّحتْ أبوابُ الجَنَّةِ».

وما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وفي رواية في «الصحيح»: «مَنْ قَامَ رمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ

---

(١) البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).
(٢) البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٥٩).
(٣) البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

ومنها: ما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ».

وهذه طائفة من الأحاديث في فضل الصيام عمومًا:

من هذه الأحاديث ما يلي:

١- ما أخرجه البخاري ومسلم [(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

٢- ما أخرجه البخاري ومسلم [(٢)] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟

---

(١) البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١ ص٨٠٧).

(٢) البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

٣- ونحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري ومسلم[(١)]: وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ».

٤- وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ...».

٥- وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

٦- وأخرج البخاري ومسلم[(٤)] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

أما لماذا خُصَّ الصوم من بين سائر العبادات أنه لله، وذلك في الحديث

---

(١) البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) البخاري (١٨٩٥)، ومسلم (١٤٤).
(٣) البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).
(٤) البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠).

القدسي: «إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»(١).

فللعلماء في ذلك أقوال:

قال الماوردي في «تفسيره»: وإنما اختص الصوم بأنه له وإن كان كل العبادات له لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات:

أحدهما: أن الصوم منع ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

والثاني: أن الصوم سرٌّ بين العبد وبين ربه، لا يظهر إلا له فلذلك صار مختصًا به، وما سواه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصنُّعًا ورياءً، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره.

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ففيه حثٌّ وترغيبٌ في قراءة القرآن في هذا الشهر الكريم، ولذلك كان جبريل عليه السلام يُدارس رسول الله ﷺ القرآن في هذا الشهر من كل عام، كما ورد في «الصحيحين»(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

(١) صحيح: وقد تقدم قريبًا.
(٢) سبق تخريجه.

هذا؛ وقد يتساءل شخص قائلًا: ما وجه قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومعلوم أن نزول القرآن على رسول الله ﷺ كان على مدار ثلاث وعشرين سنة؟

وللعلماء على ذلك أجوبة:

منها: أن ابتداء الإنزال كان في رمضان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، ثم توالى بعد ذلك.

ومنها: أن القرآن نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان: ٣].

وكما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ثم نزل مفرقًا على رسول الله ﷺ بعد ذلك بحسب الوقائع.

ومما يؤيده نزوله مفرقًا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، وهذا شيء من المسلمات أي: كون القرآن نزل على رسول الله ﷺ مفرقًا بحسب الوقائع -.

فقد نزلت العلق على رسول الله ﷺ بمكة، ونزلت براءة والبقرة بالمدينة... إلى غير ذلك.

وقد رُوي ذلك من طرق عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1]

وقال القرطبي رحمه الله: ولا خلاف أن القرآن أُنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر على ما بيناه جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم كان جبريل ينزل به نجمًا نجمًا في الأوامر والنواهي والأسباب، وذلك في عشرين سنة.

أما قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فمعناه أن هذا القرآن أُنزل هداية وإرشادًا للناس إلى سبيل الحق.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: ودلالات واضحات وحجج ظاهرات من دلالات الهدى وحجج الحق التي يُفرِّق الله بها بين الحق والباطل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمعناه أن من حضره

---

(١) أخرجها الطبري من طرق صحيحة وحسان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما رقم (٢٨١٢)، (٢٨١٣)، (٢٨١٦)، (٢٨١٧)، (٢٨١٨)، ومن ألفاظها بإسناد صحيح عن ابن عباس كما ذكرنا: «أُنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه».
وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى. وأما قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فإنه ذكر أنه نزل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم أُنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه.
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: وأما القرآن فإنما نزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، كان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ثم نزل بعد مفرقًا بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ.

هذا الشهر وهو في بلده فليصم من الشهر الذي شهد منه وهو مُقيمٌ، فإذا كان مُسافرًا فله أن يُفطر، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أُعيد ذكر ذلك حتى لا يُظن أن التخيير في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ لما نُسخ نُسخت معه الرخصة للمريض والمسافر في الفطر فأُعيد الترخيص للمريض والمسافر في الفطر لدفع هذا الظن، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ فبيانٌ لرحمة الله بالمؤمنين، وأنه يريد بهم يسير الأمور وأسهلها، ومن إرادته اليسر بالمؤمنين: أن رخَّص لهم في الفطر في المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أي: ولا يريد بكم المشقة والشدة.

وهذه الآية إحدى آيات رفع الحرج عن أمة محمد ﷺ، تلك الآيات التي ينبغي أن يستحضرها كل من يُفتي الناس ويُرشدهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ فمعناه - والله أعلم -: ولتعظموا الله بالذِّكر له بما أنعم به عليكم من الهداية، تلك الهداية التي حُرمها غيركم فأُخذ من ذلك التكبير عند الأمر المحمود.

وقد دلَّت على ذلك جملة أدلة منها: تكبير الصحابة رضي الله عنهم لما قال لهم نبيهم ﷺ: «أنَّه يطمع أن يكونوا شطر أهل الجنة»[1].

(١) البخاري (مع الفتح ٨/ ٤٤١)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٩٧).

أما قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فقد قال الطبري في تفسيره:

يعني تعالى ذكره بذلك: ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق وتيسير ما لو شاء عسَّر عليكم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فهذه آية كريمة تحث على الدعاء وتُرغِّب فيه، تخللت آيات الصيام وكأنها والله أعلم توجِّه وتلفت نظر الصائم إلى الإكثار من الدعاء، فالصائم له دعوةٌ لا تُرد حتى يُفطر، كما ورد بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ

وهكذا ينبغي أن يتخلل الدعاء سائر العبادات، فالصلاة تحتوي على دعاء في جملة من أركانها، والصوم كذلك كما هاهنا، والحج كذلك، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وفي ذكره تعالى هذه الآيات الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة وعند كل فطر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ فمعناه: وإذا سألك عبادي عني: أقريب أم بعيد؟ فإني قريب ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أسمع الداعي إذا دعان، وأعطيه ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ أي: فليجيبوني

وليطيعوني ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ وليصدقوني فيما أخبرهم به ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: لعلهم يهتدون.

وفقنا الله وإياكم لكل خير، وأعاننا الله وإياكم على ذكره، وشكره، وحُسنْ عبادته.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

فقد سمعتم شيئًا من أحكام الصيام وفضائله وتفسير بعض آياته.

أما عن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أي أُبيح لكم ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ في الليلة التي ستصبحون بعدها صائمين ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ أي: جماع نسائكم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي سكنٌ لكم، ولحاف لكم، ﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي غطاءٌ لهن يعني بذلك الجماع والمواقعة [(١)].

فإن سأل سائل: هل كان الجماع ممنوعًا ليلة الصيام قبل هذه الآية، ومن ثَمَّ قيل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾؟

فجواب ذلك: إن إباحة الجماع كانت مقيدةٌ، ففي أول فرض الصيام كان الصائم إذا حان وقت الإفطار أفطر، فأكل وشرب، وجامع زوجته إن شاء، وتستمر هذه الإباحة إلى أن ينام، سواء نام أول الليل أو آخره، حتى الفجر.

فعلى سبيل المثال: إذا كان أذان المغرب الساعة السادسة مساءً، والفجر موعده الساعة الرابعة صباحًا مثلًا فله أن يأكل ويشرب ويُجامع ما

---

(١) وله موطن فُسرت فيه باتساع.

بين الساعة السادسة مساءً إلى الرابعة صباحًا، ما لم يكن نام بينهما، فإذا نام الساعة الثامنة مساءً مثلًا ثم استيقظ من الليل قبل الفجر فليس له أن يأكل، ولا أن يشرب، ولا أن يجامع حتى تغرب شمس اليوم التالي، أي أن المباح لهم كان الأكل والشرب والجماع ما لم يناموا، فإذا ناموا فقد مُنعوا من ذلك حتى يأتي وقت المغرب من اليوم التالي، كان أول فرض الصيام، ثم رخص لهم بهذه الآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ فأُبيح لهم الجماع، وكذا الأكل والشرب في الليلة بكاملها.

أخرج البخاري في «صحيحه»(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا فَحَضَرَ الْإِفْطَارُ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وللحديث رواية أخرى(٢) ولفظها: «لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

---

(١) البخاري (١٩١٥).
(٢) البخاري (٤٥٠٨).

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أما قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تخونونها، وكانت خيانتهم لها في شيئين:

أحدهما: جماع النساء في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الجماع.

الثاني: المطعم والمشرب في الوقت الذي حظر الله عليهم فيه الطعام والشراب.

وحاصل ذلك: أن أحدهم إذا كان صائمًا وأذَّن المغرب أكل وشرب وجامع النساء إن شاء، وأُبيح له ذلك ما لم ينم، فإذا نام أو نامت زوجته منعًا من الأكل والشرب والجماع إذا استيقظا حتى تغرب شمس اليوم التالي، فكان أقوامٌ منهم يختانون أنفسهم فيأكلون ويشربون ويُجامعون نساءهم إن استيقظوا قبل الفجر، والله تعالى أعلم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فرجع فضله عليكم بعد أن امتثلتم

---

(١) هذا؛ وقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٩٤٧) قال: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وكان بدءُ الصيام أمروا بثلاثة أيام من كل شهر، وركعتين غدوة وركعتين عشية، فأحل الله لهم في صيامهم في ثلاثة أيام، وفي أول ما افترض عليهم في رمضان إذا أفطروا، وكان الطعام والشراب وغشيان النساء لهم حلالًا ما لم يرقدوا، فإذا رقدوا حُرِّم عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة. وكانت خيانة القوم أنهم كان يُصيبون أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء بعد الرقاد، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم، ثم أحل الله لهم بعد ذلك الطعام والشراب وغشيان النساء إلى طلوع الفجر.

أمره، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ومحا عنكم ما صدر منكم من تخوين للأنفس، ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ وبعد نزول الإباحة في هذه الآية ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: جامعوا نساءكم إن شئتم، ﴿وَٱبْتَغُوا۟﴾ اطلبوا والتمسوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: ما قدره الله وقضاه لكم من الذرية والولد، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: أبحنا لكم الأكل والشراب والجماع طول الليل، حتى يظهر بياض النهار من سواد الليل.

هذا وقد ورد في الخيط الأبيض والأسود من الخبر عن رسول الله ﷺ:

ما أخرجه البخاري[1] من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ، وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ».

هذا؛ وقد قال الطبري رحمه الله:

وكلوا بالليل في شهر صومكم واشربوا، وباشروا نساءكم مبتغين ما كتب الله لكم من الولد من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده.

ومما ورد أيضًا في ذِكر الخيط الأبيض من الخيط الأسود وصفته:

(١) البخاري (١٩١٦).

ما أخرجه مسلم وغيره من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَا يَغُرَّنَّ أَحَدَكُمْ نِدَاءُ بِلَالٍ مِنَ السَّحُورِ، وَلَا هَذَا الْبَيَاضُ حَتَّى يَسْتَطِيرَ»[(١)]. يعني: معترضًا أي: أنه باتجاه العرض ويكون ذلك ناحية طلوع الشمس.

وصحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «هما فجران، فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئًا، ولكن الفجر الذي يستبين على رءوس الجبال هو الذي يحرم الشراب»[(٢)].

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن أبي مجلز: «الضوء الساطع في السماء ليس بالصبح، ولكن ذاك - الصبح الكاذب - إنما الصبح إذا انفضح الأفق»[(٣)].

وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن مسلم بن صبيح قال: «لم يكونوا يعدُّون الفجر فجركم هذا، كانوا يعدون الفجر الذي يملأ البيوت والطرق»[(٤)].

وفي رواية عنه[(٥)]: ما كانوا يرون إلا أن الفجر الذي يستفيض في السماء.

---

(١) مسلم (١٠٩٤ ص٧٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (أثر ٢٩٩٤).

(٣) قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري: فضحه الصبح: دهمته فضحة الصبح، وهي بياضه، فكشفه وبينه للأعين بضوئه، والأفضح الأبيض ليس شديد البياض، والأثر أخرجه الطبري (٢٩٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٧).

(٥) وهي صحيحة أيضًا عند الطبري (٢٩٩٣).

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» بإسناد صحيح عن مسلم بن صبيح قال: «جاء رجل إلى ابن عباس يسأله عن السحور فقال له رجل من جلسائه: كُل حتى لا تشك، فقال له ابن عباس: إن هذا لا يقول شيئًا، كُل ما شككت حتى لا تشك»(١).

وفي رواية بإسناد صحيح عن عبد الرزاق في «المصنف» عن ابن عباس: «أحل الله لك الشراب ما شككت حتى لا تشك»(٢).

وقال عبد الرزاق في «مصنفه»(٣): أخبرنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: أتكره أن أشرب وأنا في البيت لا أدري لعلّي قد أصبحت؟ قال: لا بأس بذلك، هو شكٌّ.

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ له فائدة، وهي دفع الإشكال الذي قد يتوهمه متوهم فيفهم أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما خيط الحائك، وقد توهم ذلك بعض الصحابة رضي الله عنهم، فأخرج البخاري(٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أُنزِلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَلَمْ يَنْزِلْ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ

(١) أخرجها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٥- ٢٦)، وعبد الرزاق (٧٣٦٨) بإسناد صحيح كما ذكرنا، ومعناه: كُل وإن تسرب إليك الشك، وإن كان في نفسك شك حتى ينتفي هذا الشك تمامًا، والله تعالى أعلم.
(٢) أخرجها عبد الرزاق «المصنف» (٧٣٦٧).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٧٣٧١) بإسناد صحيح إلى عطاء.
(٤) البخاري (١٩١٧).

الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

قلت: فائدة التقييد بـ(الفجر) حتى يعلم أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل، والله تعالى أعلم.

وهنا تتأتى مسألة السحور، واستحبابه:

فالسحور مُستحب كما هو معلوم لديكم، ويُستحب تأخيره كما قد ورد في الأثر.

أما استحباب السحور فلقول النبي ﷺ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً»(١).

أما استحباب تأخيره:

فلما في «الصحيح» أيضًا من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قُلْتُ: (القائل أنس الذي روى عن زيد) كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً»(٢).

وفي «الصحيح»(٣) كذلك من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَتَسَحَّرُ فِي أَهْلِي، ثُمَّ تَكُونُ سُرْعَتِي أَنْ أُدْرِكَ السُّجُودَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وفي «صحيح مسلم»(٤) من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥).
(٢) البخاري (١٩٢١)، ومسلم (١٠٩٧).
(٣) البخاري (١٩٢٠).
(٤) مسلم (١٠٩٦).

قال: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ».

أما عن وصال الصيام وحكمه:

فقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (الوصال) هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد، فيخرج من أمسك اتفاقًا ويدخل من أمسك جميع الليل أو بعضه.

وقال الصنعاني في «سبل السلام» في تعريف الوصال: هو ترك الفطر بالنهار وفي ليالي رمضان بالقصد.

أما حكمه: فأكثر أهل العلم على تحريمه.

قال الحافظ في «الفتح»: وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال.

قلت: والأدلة التي استدل بها بعض أهل العلم على تحريمه في البخاري وغيره.

ففي «صحيح البخاري» من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَا تُوَاصِلُوا»، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى - أَوْ - إِنِّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وَأُسْقَى»[١].

ومن حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرادَ أَنْ يُواصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ»، قالوا: فإِنَّك تُواصل يا رسول الله، قال: «إِنِّي لستُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطعِمٌ يُطعِمُني وسَاقٍ

(١) البخاري (١٩٦١).

يَسْقِينِي»[١].

وأخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ».

قلت: فهذه أصول الأدلة التي استدل بها من ذهب إلى تحريم الوصال فقالوا: إن النهي يقتضي التحريم[٢].

ومن العلماء من قال: إن الوصال يُكره فقط، والنهي محمولٌ على الكراهية، وذلك لما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ. فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ»، كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا[٣].

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾، فالمراد به إلى ابتداء الليل وإقباله، وذلك يكون بغروب الشمس؛ لحديث رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٣).

(٢) ومن أحب أن يمسك بعد غروب الشمس إلى وقت السحر فله ذلك؛ لقول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُواصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ».

(٣) البخاري (١٩٦٦).

اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

وليس المراد حتى تطلع النجوم، فالصائم يفطر إذا تحقق غروب الشمس[١]؛ وذلك لما في «الصحيح»[٢] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

وأخرج البخاري[٣] كذلك من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ: «يَا فُلَانُ، قُمْ فَاجْدَحْ لَنَا»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ. قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَوْ أَمْسَيْتَ. قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا. قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا»، فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ، فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

فالمُستحب أن يُعجل الصائم فطره:

وذلك لما في «الصحيح»[٤] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ... واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عدل واحد في الراجح.

(٢) البخاري (١٩٥٤).

(٣) البخاري (١٩٥٥).

(٤) البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بخيرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ».

ولما في «الصحيح»[(١)] أيضًا من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كُنتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَصَامَ حتَّى أمسَى، قال لرجلٍ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَي»، قَالَ: لَو انتَظَرْتَ حَتَّى تُمسِي، قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَي، إِذَا رَأَيْتَ اللَّيلَ قدْ أَقْبَل مِنْ هَاهُنا؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

أما عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ ففيه نهي عن مباشرة النساء في أثناء الاعتكاف في المساجد.

أما بالنسبة للمراد بالمباشرة:

فمن العلماء من قال: إن المراد بالمباشرة الجماع ودواعيه من تقبيل ومعانقة ونحو ذلك.

والأكثرون على أنه الجماع.

بل نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح»[(٢)] عن ابنِ المنذر الإجماع على أن المراد بالمباشرة في الآية الجماع[(٣)].

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] هل يفيد جواز الاعتكاف في عموم المساجد أم أن هناك أدلة تحمله على مساجد مخصوصة؟

---

(١) البخاري (١٩٥٨).
(٢) فتح الباري (٤/ ٣١٩).
(٣) الذي يبدو لي: أن مراده أن الجماع يدخل في المباشرة بالإجماع، والله أعلم.

الجواب: بل يُفيد قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ جواز الاعتكاف في كل مسجد من المساجد، وإلى هذا ذهب البخاري رحمه الله تعالى وجمهور أهل العلم.

فقد بوَّب البخاري في «صحيحه» بباب الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

وقال الجمهور بعمومه من كل مسجد، إلا لمن تلزمه الجمعة، فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لأن الاعتكاف عندهما ينقطع بالجمعة.

قلت: وقد استدل البعض بحديث: «لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ»(١) على منع الاعتكاف فيما سواها من المساجد، ولكن هذا حديث ضعيف واهٍ لا يثبت عن رسول الله ﷺ، والصواب أنه من قول حذيفة رضي الله عنه.

وهو محمول كذلك على نفي تمام الفضيلة.

والمعنى: لا اعتكاف أفضل ولا أكمل من الاعتكاف في المساجد الثلاثة، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ معناه: تلك محارم الله

(١) وهي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

وشروطه، فلا تقربوها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما بينا لكم أحكامًا أُخر في هذه السورة وفي غيرها ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فأيضًا بينا لكم الصيام وما يتعلق به من أحكام لعلكم تحذرون غضب الله وعقابه، وتتقون عذابه وناره، ولعل التقوى تحصل في القلوب، فتمنع من اقتراف المحارم وارتكاب الآثام.

جعلنا الله من المتقين وحشرنا في زُمرة الأنبياء والصالحين والشهداء.

اللهم وفقنا لصيام رمضان وقيامه.

اللهم غنمنا قيام ليلة القدر.

اللهم أعنا على عمل الصالحات في رمضان وفي غير رمضان.

اللهم أصلح قلوبنا، وأعنا على الطيب من القول والعمل.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تأملات في آيات الصيام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وبعد:

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.

أما وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين».

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُكم مَنْ تَعلمَ القُرْآنَ وعَلَمهُ» نتناول هذه الآيات، آيات الصيام بالتأويل والبيان واستنباط ما فيها من فقه، وآداب، وأحكام، سائلين الله عز وجل أن يوفقنا جميعًا إلى كل ما يرضيه عنا وأن يصحح لنا أمر عبادتنا فأقول - وبالله التوفيق -:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فاستفيد منه أن الأمر بالصوم موجه لأهل الإيمان.

وأيضًا فلكون الخطاب يُوجه للبالغين ففرضيته على البالغين، أما الذين هم دون البلوغ فيستحب في حقهم[1] - إن كان بمقدورهم - الصيام، ولكنه ليس بفرض عليهم، وذلك لحديث رسول الله ﷺ: «رُفِعَ القلمُ عَنْ ثَلاثٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حتَّى يُكْبُر، وَعَنِ المَجْنُونِ حتَّى يَعْقِلَ - أَوْ يَفِيقَ -، وعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيقِظَ»[2].

(١) ودليل الاستحباب ما أخرجه البخاري (حديث ١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦) عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ: غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ» قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ.

(٢) صحيح لشواهده: أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٦/ ١٥٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، =

❑ وكذلك فالخطاب موجهٌ للعقلاء إذ المجنون ليس بمحلٍّ للخطاب، وللحديث السابق أيضًا: «رُفِعَ القلمُ... وعَنِ المَجنُونِ حَتَّى يَفِيقَ».

❑ وكذلك ففرضيته على المقيم دون المسافر.

❑ وأيضًا فهو على القادر، أما غير القادرين من المرضى ونحوهم فرخٌص لهم في الفطر، وهذا والذي قبله لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

❑ وأيضًا فالأمر بالصيام موجهٌ لمن انتفت في حقهم الموانع، فالمرأة الحائض مثلًا، وإن كانت مسلمة بالغة عاقلة مقيمة صحيحة (ليست بمريضة) إلا أنها لا يجوز لها الصوم في أثناء فترة حيضها كما هو معلوم[1] وكذا النفساء.

فعليه، من يجب عليهم الصيام (صيام رمضان) يلزم توافر هذا فيهم:

- الإسلام.
- البلوغ.
- العقل.
- الإقامة.
- القدرة.

= وله طرق عن النبي ﷺ.

(١) وهذا أمر مجمع عليه، وعند البخاري (١٩٥١)، ومسلم (١١٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال في المرأة: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضت لم تُصَلِّ وَلَم تَصُم».

- انتفاء الموانع.

❑ أما قوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ فمعناه: فُرِض.

ففيه دليل على فرضية الصيام، (والمراد، الذي استقر عليه الأمر، شهر رمضان).

والأدلة على فرضية الصيام ووجوبه كثيرة جدًّا، منها:

❑ الآية المذكورة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

❑ ومنها قول رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ...» فذكر الحديث وفيه: «وَصِيَامِ رَمَضَانَ»(١).

❑ وكذلكَ الإجماع منعقد على فرضية صوم رمضان.

❑ وقوله تعالى: ﴿الصِّيَامُ﴾ فالصيام معناه لغة: الكفُّ والامتناع، فتقول إبتدائ: صُمتُ عن كذا أي: امتنعت عنه، وكففت عنه، وقد قالت مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] أي: امتناعًا عن الكلام.

هذا من ناحية المعنى اللغوي.

❑ أما المعنى الشرعي فالمراد الكفُّ عمَّا أمر الله بالكفِّ عنه، وهو هنا من الناحية الشرعية: (الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع

(١) أخرجه البخاري (حديث ٨)، ومسلم (حديث ١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

الفجر إلا غروب الشمس ويكون ذلك مصحوبًا بالنية)[١]:

❑أما النية: فلقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾.

ولقول النبي ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٢].

فلو امتنع شخص عن الطعام والشاب، ولم ينو صيامًا لم يُكتب له الأجر.

وهذا مزيدٌ من القول فيما يتعلق بالنية:

عقد النية للصيام: فيه بعض التفصيل بالنسبة لصوم النُفل والفرض:

أما صوم النفل: فقد ذهب جمهور العلماء إلى أن النية يجوز عقدها من النهار، فمثلًا إذا طلع النهار على شخص لم يكن ينوي صيامًا من الليل ولم يأكل ولم يشرب ولم يجامع بعد طلوع الفجر، فله أن ينوي صيام ذلك اليوم من النهار.

❑واستدلوا بما أخرجه مسلم في صحيحه[٣] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يَا عَائِشَةُ، هَل عِندَكُم شَيءٌ؟».

---

(١) قال القرطبي رحمه الله تعالى: وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات، لقوله ﷺ «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».
قلت (مصطفى): أخرجه البخاري (حديث ١٩٠٣)، وفي الباب أيضًا قول رسول الله ﷺ «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ».
أخرجه البخاري (١٩٠٤)، وسيأتي إن شاء الله.
(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (حديث ١٩٠٧).
(٣) مسلم (١١٥٤).

قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عندنا شيء. قال: «فَإِنِّي صَائِمٌ» قالت: فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية (أو جاءنا زور)[١] قالت: فلما رجع رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أهديت لنا هدية (أو جاءنا زور) وقد خبّأتُ لك شيئًا، قال: «مَا هُوَ؟» قلت: حيسٌ، قال: «هَاتِيهِ» فجئتُ به فأكل ثم قال: «قَد كُنتُ أَصبَحتُ صَائِمًا».

وفي رواية عند مسلم أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ ذات يوم فقال: هَل عِندَكُم شَيءٌ؟» فقلنا: لا. قال: «فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ» ثم أتانا يومًا آخر فَقلنا: يا رسول الله، أُهدِيَ لنا حيسٌ، فقال: «أَرِينِيه فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا» فأكل.

أما صوم الفرض: فقد ذهب الجمهور إلى اشتراط تبييت النية من الليل، قالوا: ولا يجزؤه صيام فرض حتى ينويه، أي وقت كان من الليل،[٢] واستدل بعضهم بحديث: «لَا صِيَامَ لِمن لَم يُبَيِّتِ النِّيَّةَ»[٣].

قلت: وهذا الحديث معل بالوقف، ووقفه أصح من رفعه[٤].

واستدل القائلون باشتراط النية من الليل في صوم الفرض أيضًا بحديث: «إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّياتِ».

بينما ذهب أبو حنيفة، رحمه الله تعالى، إلى جواز عقد النية للفرض

(١) تعني: أضيافًا.
(٢) انظر المغني لابن قدامة (٤/ ٣٣٣).
(٣) انظر طرقه بتوسع في سنن النسائي.
(٤) أي أن الصحيح فيه أنه من قول الصحابي، ليس من قول رسول الله ﷺ

والنفل على السواء نهارًا.

واستدل لذلك بحديث الرُّبيع بنت معوذ رضي الله عنها[١]، وفيه أن النبي ﷺ قال في شأن يوم عاشوراء: «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَومِهِ».

«وفي الصحيحين»[٢] من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، نحوه، وفيه أن النبي ﷺ بعث رجلًا من أسلم[٣] يوم عاشوراء فأمره أن يُؤذِّن في الناس: «مَنْ كَانَ لَم يَصُم فَلْيَصُم، وَمَن كَانَ أَكَلَ فَليُتِمّ صِيَامَهُ إِلَى اللَّيلِ».

وهذه مسألة أخرى:

فيمن نوى الإفطار: ولكنه لم يأكل ولم يشرب ولم يجامع.

ذهب كثيرٌ من العلماء إلى أن من نوى الإفطار فقد أفطر، وحجتهم قول رسول الله ﷺ: «إنَّمَا الأَعمَالُ بِالنِّياتِ»[٤].

أما الامتناع عن الطعام والشراب:

فلقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فمفاده أنه إذا تبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر امتنعنا عن الطعام، وذلك إلى غروب الشمس، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾.

---

(١) وقد تقدم تخريجه قريبًا.
(٢) البخاري (١٩٢٤)، ومسلم (١١٣٥).
(٣) أي من قبيلة (أسلم).
(٤) انظر المغني لابن قدامة (٤/ ٣٧١).

وفي الحديث القدسي في شأن الصائم: «يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهوتَهُ مَن أَجلِي».

وتقدم الحديث كذلك، وفيه: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

والإجماع منعقدٌ على أن الصائم لا يتعمد الأكل والشرب.

وكذلك الجماع فمفطّرٌ بالكتاب والسنة والإجماع:

أما كتاب الله، ففيه:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾ فمفاده: أن نهار الصيام لا يحل فيه الرفث (الجماع).

وفي الحديث القدسي في شأن الصائم: «يَترُك طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهوتَهُ مَن أَجلِي»[1].

وأما السنة:

فقد أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكتُ! قال: «مَا لَكَ؟!» قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائمٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: «هَل تَجدُ رَقَبةً تَعتِقُهَا؟ ...» الحديث، وهو دالٌّ على منع الصائم من الجماع كما لا يخفى.

---

(١) البخاري (١٨٩٤)، ومسلم في طرق حديث (١١٥١).
(٢) البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

أما الإجماع:

فقد قال النووي رحمه الله[١]: أجمعتِ الأمة على تحريم الجماع في القُبل والدبر على الصائم، وعلى أن الجماع يُبطل صومه.

أما كونه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فلقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وسيأتي مزيدُ بيان، إن شاء الله تعالى، حول هذه الآية الكريمة وما فيها من أحكام.

هذا ويتصل بالطعام والشراب والشهوة أمورٌ يلزم بيانها:

فمما يتصل بالطعام ما يلي:

أولًا: الحقن:

ابتداءً فالحقن بوضعها الحالي لم تكن موجودةً زمن رسول الله ﷺ فيما علمت، فعليه فأمرها أنها من المسائل النازلة، والمسائلُ النازلةُ كثيرًا ما تتعدد فيها الأقوال لعدم ورود نصٍّ في شأنها، وللعلماء في الحقن أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنها تُفطِّر لأنها دخلت الجسم كما دخله الطعام والشراب.

القول الثاني: أنها لا تفطر لكونها لم تدخل من مدخل الطعام

---

(١) المجموع (٦/ ٣٢١).

والشراب، ولم تسد جوعًا ولا ظمأ كما يسد الطعام والشراب، ولا تسمى طعامًا ولا شرابًا.

القول الثالث: التفصيل بين الحقن المُغذِّيَّة والحق غير المغذية، فقال فريقٌ من أهل العلم: إن الحقن المغذية تُفطر، وغير المغذية لا تفطر، بناءً على أن المغذية سدت ما يسده الطعام والشراب.

هذا مجمل القول في الحقن.

فعليه، فالأحوط للشخص أن يتقي الحقن في نهار رمضان، وإن اضطر إليها تناولها وأتم صيامه، وإن أعاد يومًا مكانه فهو حسنٌ، والله تعالى أعلم.

❑ **أما عن الحقن الشرجية**: التي تستعمل لإزالة الإمساك والديدان وغير ذلك، وتتناول من فتحة الشرج، فالظاهر لي عدم نقضها للصيام، لأنها بعيدة تمامًا عن الطعام والشراب صفةً ومدخلًا ومسدًّا، والله أعلم.

ثانيًا: الحجامة:

لأهل العلم قولان في الحجامة (وهي استخراج الدم من الجسم بالمحجم أو ما يقوم مقامه): قول بأنها تفطر، وآخر أنها لا تفطر.

أما عن الأدلة الواردة فيها، فأشهرها ما يلي:

❑ قول النبي ﷺ: «أَفطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُومُ»[(١)].

(١) صحيح: وله عدة طرق عن النبي ﷺ وانظر سنن أبي داود (حديث ٢٣٦٧)، وحديث (٢٣٦٩)، ومسند أحمد (٥/ ٢٨٢، و ٢٨٣)، والسنن الكبرى للنسائي (٣١٣٥، ٣١٣٦، =

وقد ورد أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم، وقد ورد لفظان لهذه الواقعة:

أحدهما: أنَّ النبي ﷺ احتجم وهو محرم(١).

والثانية: أنَّ النبي ﷺ احتجم وهو صائم(٢).

ومخرج الروايتان واحد.

فرجَّح فريقٌ من أهل العلم رواية (احتجم النبي ﷺ وهو محرم) ووهموا رواية (احتجم وهو صائم).

بينما ذهب فريق من العلماء إلى الجمع بين الروايتين.

فقالوا: وما المانع من أن يكون النبي ﷺ احتجم وهو محرم صائمٌ في نفس الوقت، وذلك بناءً على أن سند كل من الروايتين صحيح، وكلاهما في صحيح البخاري.

هذا وثمَّ شيء ثالث في الباب، ألا وهو أن أنسًا رضي الله عنه سُئل: أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا، إلا من أجل الضعف(٣). وهو صحيح الإسناد.

هذا، وهناك أخبارٌ أُخر أعرضْنا عن ذِكرها لضعف أسانيدها.

فعليه فقد ذهب فريقٌ من أهل العلم، ومنهم الحنابلة(٤) إلى أن الحجامة

= (٣١٣٧) وغير ذلك.

(١) البخاري (حديث ١٩٣٨)، ومسلم (١٢٠٢).

(٢) البخاري (١٩٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٩٤٠).

(٤) انظر: «عون المعبود» (٦/ ٤٩٤) فما بعدها.

تفطر الصائم لحديث: «أَفطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُومُ»، ووهَّم الإمام أحمد[١] رواية: (احتجم النبي ﷺ وهو صائم).

وقال: صوابه: (وهو محرم).

❑ بينما ذهب جمهور العلماء[٢] إلى أن الحجامة لا تفطر الصائم لكون النبي ﷺ احتجم وهو صائم، ولحديث أنس المذكور.

وأجاب هؤلاء عن حديث أفطر الحاجم والمحجوم بأنه منسوخٌ.

وساعدهم على النسخ أن ابن عباس رضي الله عنهما صحب النبي ﷺ مُحرمًا في حجة الوداع، قالوا: وحديث أفطر الحاجم والمحجوم، كما في بعض الطرق، كان عام الفتح، وحجة الوداع بعد الفتح بلا شك.

❑ وقال آخرون معنى «أَفطَرَ الحَاجِمُ والمَحْجُومُ» أي ذهب ثواب صيامهما لأنهما كانا يغتابان الناس.

❑ وقال آخرون: تعرض الحاجم للفطر لكون الدم قد يتسرب إلى جوفه، وتعرض المحجوم للفطر بكونه قد يضعف عن إتمام الصيام.

فأرجع وأقول، وبالله التوفيق: إن الأحوط والأبعد عن الخلاف أن يتقي الشخص الحجامة في نهار رمضان، وإن اضطر إليها فعلها وأتم صيامه، وإن أدى يومًا مكانه فهو حسن، والله أعلم.

---

(١) انظر: «عون المعبود» (٦/ ٤٩٤) فما بعدها.

(٢) أنظر: «عون المعبود» (٦/ ٤٩٤) فما بعدها.

هذا ويلحق بالحجامة، ويأخذ حكمها التبرع بالدم، وأخذ عينات من الجسم، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: القيء:

وقد ورد فيه أن النبيﷺ: (قَاءَ فَأَفطَرَ)[١].

وورد حديثٌ به علةٌ ألا وهو حديث: «مَنِ استَقَاءَ فَليَقضِ، وَمَن ذَرَعَهُ القَيء فَلاَ شَيء عَلَيهِ»[٢].

أما الحديث الأول وهو: أن النبيﷺ قاء فأفطر، فليس بصريح في أن النبيﷺ أفطر من أجل القيء، فمحتملٌ أن يكون أفطر من أجل الضعف الذي اعتراه لما قاء، أما حديث «مَنِ استَقَاءَ فَلْيَقضِ ...» ففي سنده ضعف وبِه علةٌ.

أما عن أقوال العلماء:

فقد نُقل الإجماع[٣] على أن مَن تعمَّد القيء فقد أفطر، كشخص مثلًا وضع إصبعه في فمه حتى قاء، أو استعمل أية وسيلة أخرى لإخراج الطعام من فمه.

إلا أن هذا الإجماع المنقول منتقضٌ بما ورد عن ابن عباسرضي الله عنهما من القول

(١) أخرج ذلك أبو داود (٢٣٨١)، والترمذي (حديث ٨٧)، والنسائي في السنن الكبرى (حديث ٣١٢٠) بسند صحيح.

(٢) إسناده معل، وأخرجه أبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (حديث ٧٢٠)، والنسائي (في السنن الكبرى ٢/ ٢١٥).

(٣) نقله ابن المنذر في كتاب الإجماع (ص ١٥) فقال: وأجمعوا على إبطال صيام ن استقاء عامدًا.

وضع إصبعه في فمه حتى قاء، أو استعمل أية وسيلة أخرى لإخراج الطعام من فمه. إلا أن هذا الإجماع المنقول منتقضٌ بما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من القول بأن الفطر مما دخل وليس مما خرج[1]، وورد نحوه عن صحابة آخرين أيضًا. هذا، وقد نُقل الإجماع[2] أيضًا على أن من ذرعه القيء فلا شيء عليه، وصومه صحيح، والله تعالى أعلم.

رابعًا: السواك.

لا مانع من استعمال الصائم للسواك، سواءً كان رطبًا أم كان يابسًا، فقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لَولاَ أَن أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرتُهُم بِالسِّوَاكِ عِندَ كُلِّ صَلاَةٍ**»[3].

وهذا نصٌّ عامٌّ يشمل الصائم وغير الصائم، وكذا يشمل السواك الرطب والسواك اليابس، والسواك ذا النكهة وغيره أيضًا.

هذا، وقد ورد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما لا أُحصي يستاك وهو صائم»[4].

إلا أن هذا الخبر فيه كلام، وفيما سبق أولًا غنيةٌ وكفايةٌ، والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٣٩)، عن عكرمة، وابن المنذر في الأوسط (١/ ١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) نقله ابن المنذر في «الإجماع» (ص ١٥)، واستثنى الحسن البصري رحمه الله.
ونقل الإجماع أيضًا ابن عبد البر في الاستذكار (١٠/ ١٨٤).

(٣) البخاري (حديث ٨٨٧)، ومسلم (حديث ٢٥٢).

(٤) إسناده ضعيف، وأخرجه أبو داود (٢٣٦٤) من حديث عامر بن ربيعة، وفي إسناده عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف، وأخرجه أيضًا الترمذي حديث (٧٢٥).

هذا . ويلحق بالسواك معجون الأسنان: فلا بأس به ما لم يصل إلى الجوف، وإن كان الأولى تركه احتياطًا لما ورد من النهي عن المبالغة في الاستنشاق للصائم[1]، والله أعلم.

خامسًا: تذوق المرأة الطعام، تعلم أبه مِلحٌ أم لا؟

لا بأس بذلك ما لم يصل شيءٌ من ذلك إلى جوفها، فقد شُرع لها ولغيرها من الصائمين أن تتمضمض، فسواء تمضمضت بماء البحر أو بماء عذب فلا حرج ولا جناح، وماء البحر يشعر الصائم بطعمه، ولكن لا يُفطر بسببه، فعليه إن تذوقت الطعام ما لم يصل إلى الجوف فلا بأس، والله أعلم.

سادسًا: تشرع المضمضة ويشرع الاستنشاق بلا مبالغة في ذلك، وفي الحديث: «**وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»[1]، وهذا فيما يبدو، والله أعلم من باب سد الذرائع.

سابعًا: الكحل للصائمة:

ولا بأس باكتحال الصائمة إذ لم يرد نهي في خبر ثابت عن استعمالها الكحل، ثم إن الكحل ليس بطعام ولا بشراب ولا بجماع.

ثامنًا: القطرة:

التي تقطر في الأنف أو العين أو الأذن إن كانت تصل إلى الجوف فتتقى ولا تستعمل، وإن كان الشخص متأكدًا من عدم وصولها فلا مانع إذن من استعمالها، والله أعلم.

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٢٣٦٦)، والترمذي (٧٨٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وإن أطعم مكان كل يوم مسكينًا فهو حسن، وإنْ شُفي بعد ذلك واستطاع القضاء قضى، والله أعلم.

س: هل يجوز للصائم أنْ يستعمل البخور والطيب؟

ج: لا بأس باستعمال الصائم للبخور والطيب، وقد كان البخور والطيب موجودين زمن رسول الله ﷺ، ولم يرد أن النبي ﷺ نهى عن شيء من ذلك أو أفاد أن ذلك يُفطر، ثم إن البخور والطيب ليسا بطعام ولا بشراب ولا بجماع.

هذا ومما له صلةٌ بالجماع ويُراد بيان حكمه ما يلي:

١- القبلة والمباشرة:

أما القُبلةُ فمعروفة، وأما المباشرة فأصلها التقاء البشرتين، والمراد هنا ما دون الجماع، فتشمل المباشرة الضمَّ والمُفاخذة، ونحو ذلك. فلا بأس أن يقبل الصائمُ زوجته وأن يباشرها (دون الجماع) إلا إذا خُشي أن يفضي ذلك إلى الجماع، فعليه أن يترك وأن يبعد سدًّا للذرائع، وابتعادًا عن المحظور.

أما الأدلة على جواز القبلة للصائم في حال الأمن من الوقوع في الجماع فمنها ما يلي:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي

(١) البخاري (حديث ١٩٢٧)، ومسلم (ص ٧٧٧).

ﷺ يُقبِّل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لأربه»[١].

وأخرج أبو داود[٢] من حديثها أيضًا بسندٍ صحيح على شرط البخاري قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم وأنا صائمة».

ففيه دليل على أنها كانت صائمة أيضًا.

وفي صحيح مسلم[٣] عن حفصة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ وهو صائم».

وعند البخاري[٤] من حديث أم سلمة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يُقبِّلها وهو صائمٌ».

❑ وليس الرسول ﷺ فحسب، بل وقد صح[٥] عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يباشر امرأته في نصف النهار وهو صائم.

❑ هذا، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رخَّص في القبلة للشيخ ومنع منها الشاب[٦]، وقد رُوي ذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ، إلا أن المرفوع ضعيفُ الإسناد، والصحيح الموقوف على ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) أربه أي حاجته، أي شهوته.
(٢) أبو داود (حديث ٢٣٨٤).
(٣) مسلم (١١٠٧).
(٤) البخاري (٤/ ١٥٢ مع الفتح).
(٥) عند عبد الرزاق في المصنف (٨٤٤٢).
(٦) أخرجه مالك في الموطأ بسند صحيح (١/ ٩٣) من طريق عطاء بن يسار، أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما سُئل عن القبلة للصائم؟ فأرخص فيها للشيخ وكرهها للشاب.

والأمر كما أسلفنا، من أنه إذا خُشي على الشخص الوقوع في الجماع الامتناع، شابًا كان أو شيخًا.

وإذا لم يخْش عليه الوقوع في الجماع فلا بأس بالقبلة له.

وقد حثت عائشة رضي الله عنها أخاها عبد الرحمن على تقبيل زوجته إذ قالت له: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها؛ فقال: أقبلها وأنا صائم؟! قالت: نعم[(١)].

❑ قال ابن حزم في المحلى[(٢)]:

عائشة بنت طلحة (زوجة عبد الرحمن بن أبي بكر) كانت أجمل نساء أهل زمانها، وكانت أيام عائشة هي وزوجها فتيين في عنفوان الحداثة.

أما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد بني على غالب الأحوال، إذ غالب الأحوال أن داعي الجماع في الشاب أقوى منه في الشيخ الكبير، والله تعالى أعلم.

خروج المني يقظة عن عمدٍ بالاستمناء وغيره، كالضَّمِّ ونحوه:

إذا خرج المني عن عمدٍ وقصدٍ في اليقظة فإن ذلك يُفطِّر عند الجمهور[(٣)]،

---

(١) مالك في الموطأ (١/ ٢٩٢).

(٢) المحلى (٦/ ٢١١).

(٣) قال النووي في المجموع (٦/ ٣٢٢): (إذا استمنى بيده، وهو استخراج المني، أفطر بلا خلاف).

وقال ابن قدامة في المغني (٤/ ٣٦٣): ولو استمنى بيده فقد فعل محرمًا ولا يفسد صومه به إلا أن يُنزل، فإن أنزل فسد صومه.

=

ويُلزم بقضاء يوم مكانه، وذلك لحديث رسول الله ﷺ في شأن الصائم: «يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهوَتَهُ مِن أَجْلي»[(١)].

ولكنه لا يلزم بالكفارة عند الجمهور إلا أن مالكًا ألزمه بالقضاء مع الكفارة[(٢)]، ومن المعلوم أن المستمني يكون قد قضى شهوته، وهذا رأي جمهور العلماء.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك لا يُفطر، وحملوا الشهوة في الحديث: «يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهوَتَهُ» على الجماع، والأول أولى، فلم يُنص في الحديث على أن الشهوة هي الجماع فقط، والله أعلم.

أما إذا نام الصائم في النهار واحتلم، فلا يؤثر ذلك على سلامة صومه بل صومه صحيح، فالقلم مرفوعٌ عن النائم حتى يستيقظ، ونقل النووي في «المجموع» الإجماع على أن الشخص إذا احتلم لا يفطر.

❑ هذا وإذا جامع الرجل زوجته من الليل وطلع عليه الفجر ولم يغتسل فصومُهُ صحيح، ففي الحديث: «كان النبيُّ ﷺ يُصبح جُنُبًا من جماع، غير

= وقال السرخسي في المبسوط (٣/ ٦٥): رجل قبَّل امرأته في شهر رمضان فأنزل، عليه القضاء ولا كفارة عليه.

(١) صحيح وقد تقدم.

(٢) ففي المدونة (١/ ١٧٥) قلت: أرأيت من قبَّل فأنزل، أيكون عليه الكفارة في قول مالك؟ قال: نعم، والقضاء كذلك.

وذهب مالك إلى أن المرأة إذا أنزلت أيضًا، وكانت مطاوعة زوجها أن عليها مثل ما على الرجل. انظر الحاوي للماوردي (٣/ ٢٩٧).

أما ابن حزم فخالف في ذلك كله، فقال في المحلى (٦/ ٢٠٣): ولا ينقص الصومَ حجامةٌ ولا احتلام ولا استمناء تعمد الإمناء أم لم يُمن . . .

احتلام، ثم يُتمّ صومهُ»(١)صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن المفطرات بالنص والإجماع: الحيض والنفاس:

أخرج البخاري ومسلم(٢)من طريق معاذة قالت: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟(٣)فقلت: لست بحرورية، ولكن أسأل. قالت: كان يُصيبنا ذلك فنُؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في شأن المرأة: «**أليسَت إِذَا حَاضَت لَمْ تُصَلِّ وَلَم تَصُمْ؟**»(٤).

❑ومما ذكره العلماء من المفطرات بالإجماع الردة عن الدِّين.

سلمنا الله وإياكم من كل سوء، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) البخاري (١٩٣١)، ومسلم (٢٦٤٨).
(٢) البخاري (٣٢١)، ومسلم (٣٣٥).
(٣) قولها: أحرورية؟! تنسبها إلى بلدة يُقال لها: حروراء، وهي بلدة الخوارج أصحاب الآراء الشاذة.
(٤) البخاري (١٩٥٠)، ومسلم (١١٤٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

ولنرجع إلى تفسير الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾.

هل المشابهة هنا عامة في كل الوجوه؟ أم أن المشابهة في أصل الفرضية؟

بمعنى: هل كان على من كان قبلنا من الأمم صوم رمضان كما علينا؟ وهل كان صيامهم كصيامنا في الامتناع عن الطعام والشراب والجماع؟ وهل كان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس؟ إلى غير ذلك من صور المشابهة؟!

أم أنه كان عليهم صيام كما أن علينا صيامًا، بغض النظر عن المشابهة في الوجوه المذكورة؟

الظاهر الثاني، والله تعالى أعلم، بمعنى أنه كان عليهم صيام كما أنه كان علينا صيام، وذلك على وجه الإجمال، إذ لم يرد أنه كان عليهم رمضان كرمضاننا، والله تعالى أعلم.

والذي وقفت عليه في هذا الصدد فقط أن اليهود كانوا يصومون

عاشوراء ولكن كيف كان صومهم، الله أعلم بذلك.

وفي الحديث [١] في شأن عاشوراء، أن رسول الله ﷺ لمَّا قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال: «مَا هَذَا؟» قالوا: هذا يوم صالح، يوم نجَّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ» فَصامه وأمر بصيامه.

أما من الذين من قبلنا؟

فهذا عامٌّ في كل من كان قبلنا، أما قصره على اليهود أو النصارى فحسب فيحتاج إلى دليل، فعليه يبدو أن الشرائع التي أنزلها الله كان فيها الصيام، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: يبين الحكمة والغاية من الصيام، ألا وهي حدوث التقوى. قال بعض العلماء: لعلكم تتقون المعاصي، وقال آخرون: لعلكم تتقون بصيامكم النار، وقال غيرهم: لعلكم تتقون الطعام والشراب.

والأقوال بينها تلازم، وتقارب في المعنى، فمن صام فقد راقب ربَّه، وقوَّى وازع المراقبة في نفسه، فيحمله هذا، بإذن الله، على اتقاء المعاصي.

وكذا من صام فقد قلَّ جريان الدم في جسمه، ومعلوم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما قال رسول الله ﷺ [٢]، ومن ثم يضعف عمل

---

(١) البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٢) البخاري (مع الفتح ٤/ ٢٧٨)، ومسلم (١٤/ ١٥٦).

الشيطان بإذن الله، ثم بقلة الطعام، ولذا فقد أرشد النبي ﷺ من لم يستطع الزواج إلى الصوم، فقال في الحديث: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[١].

أما تفسير الوجاء فهو رض الخصيتين، وقيل: رض عروقها، ومن يَفعل به ذلك تنقطع شهوته.

وثمَّ وجهٌ آخر في حدوث التقوى بالصيام، ألا وهي أن الصائم يشعر بالجوع والعطش، ومن ثم يشعر ببؤس البائسين، وضُرِّ المتضررين، فيحمله ذلك على الإحسان إليهم والصدقة عليهم فيجعل بذلك بينه وبين النار وقاية.

هذا، وكما هو معلوم أن أعمال البر تقي من النار، فالتوحيد وقايةٌ من النار، والصلاةُ وقايةٌ من النار، والصدقةُ وقايةٌ من النار، وكذا فالصوم وقاية من النار، والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ فالمراد أيامًا قليلات يأتي عليها العدُّ والحصر، فالصيام أيامه قليلة، والتعبير بمعدودات يدل على ذلك، كما قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث: «كان رسول الله ﷺ يتكلَّم كلامًا لو عدَّه العادّ لأحصاه»[٢]، تعني، رضي الله عنها، أن كلامه كان قليلًا.

أما قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ ففيه مقدرٌ

(١) البخاري (حديث ١٩٠٥)، ومسلم (حديث ١٤٠٠).
(٢) البخاري (حديث ٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

محذوف لكنه مفهوم من السياق ألا وهو (فأفطر) فالمعنى: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعدةٌ من أيام أُخر.

وهذا التقدير لابد منه، وذلك لأن من كان مريضًا وصام أو كان مسافرًا فصام لا يُلزم بإعادة الأيام التي صامها في أثناء مرضه أو في أثناء سفره.

وهذا التقدير كالتقدير في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فالتقدير: فمن كان منكم مريضًا أو به أذًى من رأسه فارتكب محظورًا كأن حلق أو غطّى رأسه أو ارتكب محظورًا آخر من محظورات الإحرام فعليه فديةٌ من صيام أو صدقة أو نُسُك.

أما من كان مريضًا أو به أذًى من رأسه فلم يرتكب محظورًا فلا شيء عليه، والله تعالى أعلم.

أما عن المرض الذي يسوّغ الفطر، فهو المرض الذي يزداد بالصيام أو يتأخر بُرؤه بالصيام، ويُقال عن صاحبه: إنه مريضٌ عُرفًا.

أما السفر فما يطلق عليه السفر عُرفًا فيسوغ له الفطر، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فعليه صيام عدد الأيام التي أفطرها وذلك في أيام أُخر.

وقوله: ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يستفاد منه فائدةٌ، ألا وهي أن أَمَد القضاء موسعٌ، بمعنى: أننا لم نُلزم بالقضاء في أيام بعينها دون ما سواها، وإن كان

استباق الخيرات محمودًا، والمبادرةُ إلى الصوم مستحبة، لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

إلا أنه إذا تأخر الشخص - حتى ولو دخل عليه رمضان آخر ولم يكن صام ما عليه من رمضان الماضي - فلا دليل فيما علمت - على إلزامه بالكفارة مع الصيام، بل قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يعافيه من تلك الكفارة، والله أعلم.

أما الوارد عن أم المؤمنين عائشةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أنها كان يكون عليها الأيام من رمضان فلا تستطيع أن تقضيها إلا في شعبان[(١)].

فغاية ما يُستفاد منه أنها كانت لا ترغب أن تتراكم عليها أيام جديدة لم تضمها من رمضان جديد إضافة إلى ما عليها من أيام سالفة، بل تبادر بالقضاء قبل أن يدخل عليها رمضان الجديد، وليس في خبرها هذا ما يدل على أنها تُلزِمُ نفسها بالكفارة مع القضاء، بل وليس للكفارة في الخبر ذِكرٌ، والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: وعلى الذين يستطيعون الصيام إن أرادوا أن يُفطروا فأفطروا ﴿فِدْيَةٌ﴾ مقابل هذا اليوم الذي أفطره، وقدرها ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: ما يُطعم به مسكين وتُسد به جوعته.

---

(١) وفي زيادة مُدرجة (للشغل برسول اللهﷺ) ؛هذه الزيادة من قول يحيى القطان رحمه الله، .
وأثر عائشةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيه: كان يكون عليَّ الصيام من رمضان فلا أستطيع قضاءه إلا في شعبان (للشغل برسول اللهﷺ) أخرجه البخاري (١٩٥٠).

وهذا كانَ في أول أمر فرض الصيام، فقد كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مكان كل يوم مسكينًا، إلى أن جاء الإلزام بالصيام ونُسخ هذا التخيير بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وهذا الذي ذكرناه رأي جمهور العلماء، وخالفهم في ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[1] فرأى أن الآية محكمة وليست منسوخة، وهي باقية في حق الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمرضع والحامل، فهؤلاء الذين يشق عليهم الصيام لهم أن يفطروا وأن يطعموا مكان كل يوم مسكينًا، فهذه وجهة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾.

أي: فمن أطعم أكثر من مسكين بدلًا من مسكين واحد: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: فذلك الصنيع خيرٌ له عند ربه.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فالمراد به، والله أعلم، وصيامكم خيرٌ لكم من الفطر والإطعام.

وبإيضاح آخر: أن المسلم، في أول فرض الصيام، كان مُخيَّرًا بين أن يصوم، وبين أن يُفطر ويُطعم مكان كل يوم مسكينًا، فبيَّن الله سبحانه وتعالى أن هذا، وإن كان جائزًا أول الأمر، إلا أن الصيام خيرٌ من الفطر والإطعام.

(١) انظر الطبري (٢٧٥٢)، (٢٧٥٣).

هذا، وليس قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ متعلقًا بالصوم في المرض والسفر، وإنما الصوم والفطر في المرض والسفر لهما شأنٌ آخر وفقهٌ آخر، هذا حاصله:

أن الفطر في السفر قد يُفضَّل أحيانًا، وأن الصوم في السفر قد يُفضَّل أحيانًا أخرى[(١)]، وذلك يرجع إلى حال المسافر وقوته، فإذا كان الصوم يشق عليه أو يعوقه عن فعل خيرٍ فالفطر أولى له، ومن هذا قول النبي ﷺ للرجل الذي ظلِّل عليه والتفَّ الناسُ حوله وسأل عنه النبي ﷺ فقالوا: صائم، فقال: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيامُ فِي السَّفَرِ»[(٢)].

وقول النبي ﷺ، لما صام بعض أصحابه في سفر وأفطر آخرون وقام المفطرون بخدمة إخوانهم الصائمين،: «ذَهَبَ المُفْطِرُونَ بِالأجر»[(٣)]

وقول النبي ﷺ لأصحابه، وكانوا في غزوة: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ»[(٤)].

---

(١) تنبيه: الحديث الوارد في هذا الصدد: «الصَّائمُ في السَّفرِ كالمُفطرِ في الحَضَر» حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ، وقد أخرجه ابن ماجه (١٦٦٦) وغيره.

(٢) البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ في سفرٍ فرأى زحامًا ورجلًا قد ظلِّل عليه فقال: «مَا هَذَا؟» فقالوا: صائم. فقال: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيامُ فِي السَّفَرِ».

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر قال: فنزلنا منزلًا في يوم حار، أكثرنا ظلًّا صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصُّوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب. فقال رسول الله ﷺ: «ذَهَبَ المُفطِرُونَ اليومَ بِالأجْرِ».

(٤) أخرجه مسلم (حديث ١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سافرنا مع رسول =

أما إذا كان الصوم لا يعوق عن فعل خيرٍ(١) ولا يشق على صاحبه تلك المشقة، فللصائم حينئذٍ أسوة في رسول الله ﷺ، فقد صام النبي ﷺ في سفره أيضًا(٢)، والله تعالى أعلم.

= الله ﷺ: «إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ» فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا» وَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَصُومُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ.

(١) قال ابن العربي: رحمه الله، في تأويل قوله، عز وجل: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والصحيح أن الصوم أفضل لعموم قوله، تبارك وتعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وأما فطر النبي ﷺ فإنه روي في الصحيح أنه قيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينتظرون فطرك، فأفطر. ولا خلاف في أن من شق عليه الصوم فله الفطر، وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر.
فمن وجد قوةً فصام فذلك حسن، ومن وجد ضعفًا فأفطر فذلك حسن، فأما عند القرب من العدو فلا ينبغي أن يكون في استحباب الفطر اختلاف، قاله ابن حبيب، وبه أقول.
قلت (مصطفى): وأخرج الطبري (٢٨٦٩) من طريق ابن بشار قال: حدثنا عبد الوهاب قال: حدثنا أيوب قال: حدثنا عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أمير على المدينة فتذاكروا الصوم في السفر، قال سالم: كان ابن عمر لا يصوم في السفر، وقال عروة: وكانت عائشة تصوم في السفر، فقال سالم: إنما أخذت عن ابن عمر، وقال عروة: إنما أخذت عن عائشة، حتى ارتفعت أصواتهما، فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم عفوًا! إذا كان يسرًا فصوموا، وإذا كان عسرًا فأفطروا.
وأخرج الطبري (٢٨٩٤) بإسناد صحيح إلى أبي حمزة قال: سألت ابن عباس عن الصوم في السفر؟ فقال: يُسرٌ وعُسرٌ، فخذ بيسر الله.
وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (٢٨٩٦) قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم.

(٢) أخرج البخاري (حديث ١٩٤٥)، ومسلم (١١٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حارٍّ حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة.

=

هذا ونسأل الله أن يفقهنا وإياكم في الدين، ويرزقنا وإياكم إتباع سنة سيد المرسلين .

اللهم أعنا على صيام شهر رمضان وقيامه.

اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر وتقبل منا أعمالنا بقبول حسن.

اللهم اشرح صدورنا لعبادتك ووفقنا للعمل لما ننال به مرضاتك.

اللهم يسر لنا أمورنا واغفر لنا ذنوبنا واستر عوراتنا وآمن روعاتنا وتقبل دعواتنا.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى أهله وأصحابه وسلم، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين .

وأقم الصلاة.



= هذا وقد أخرج البخاري (حديث ١٩٤٣)، ومسلم (حديث ١١٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ أأصوم في السفر؟ وكان كثير الصيام، فقال «إنْ شِئتَ فَصُم، وإنْ شِئتَ فَأفطر» .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

العمرة وأعمالها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فإن من أجل القربات التي نتقرب بها إلى الله عز وجل الاعتمار، خاصة في هذا الشهر النفيس شهر رمضان؛ فلقد قال النبي ﷺ «إِنَّ عُمْرَةً فِي

رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّة».

فهنيئًا لمن يسر الله له أمره واعتمر.

هنيئًا لكم.. أيها المعتمرون!!.

هنيئًا لكم..يا مَنْ وُفِّقتُم لطاعة الله، وحرصتم على مرضاته!!.

هنيئًا لكم.. يا مَنْ يَسَّر الله لكم أمركم وحبَّب طاعته إلى نفوسكم!!.

هنيئًا.. لمن حبَّب الله إليهم الإيمان وزيَّنه في قلوبهم!!.

هنيئًا.. لمن بذل ماله في طاعة الله يبتغي بذلك مرضاة الله!.

□ قد علمتم - بارك الله فيكم - قول ربكم عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

كذلك فاعلموا قول نبيكم ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

ألا فأبشروا بزوال الفقر ومغفرة الذنوب.

أما علمتم - بارك الله فيكم، وتقبل الله منا ومنكم - أن الله يعلم صنيعكم ويشكره لكم.

قال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

---

(١) النسائي (٥/ ١١٥) بسندٍ حسنٍ.

هنيئًا لكم أيها المعتمرون.. ترطيب اللسان بذكر الله عز وجل.

هنيئًا لكم.. التلبية والتوحيد.

ألا فأكثروا - بارك الله فيكم - من قول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

ألا فأكثروا من ذِكْر الله عز وجل.

ألا فاحفظوا ألسنتكم من القيل والقال واللغو واللغط والإثم والفسوق.

فقد قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: ١ - ٣].

ألا فاحفظوا أسماعكم وأبصاركم، فربكم يعلم خائنات الأعين وما تخفيه الصدور.

- إنكم مقدمون على خير البقاع، مقدمون على مكة البلد الأمين.

مقدمون على بلدة لها حرمتها ولها قدسيتها ومكانتها، لا تلتقط لقطتها ولا يختلى خلاها...

مقدمون على خير المساجد، مسجدٍ صلاةٌ فيه تعدل مائةَ ألف صلاة فيما سواه من المساجد.

فهنيئًا لكم.. بصلواتكم في هذا المسجد.

وحذار.. ثم حذار.. من انتهاك حرمة هذا البيت فقد قال تعالى:

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

هنيئًا لكم تلبيتكم.. هنيئًا لكم إهلالكم.. هنيئًا لكم طوافكم.. هنيئًا لكم اتخاذكم مقام إبراهيم مصلى.. هنيئًا لكم تقبيل الحجر الأسود ومسحه..

ألا فتابعوا بين العمرة والعمرة، ألا فأكثروا من الاعتمار فقد قال ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**»(١).

هنيئًا لكم.. يا من اعتمرتم في رمضان ثم هنيئًا.. هنيئًا لكم.. فقد قال نبيكم ﷺ: «**فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً**»(٢).

هنيئًا لكم شُربكم من ماء زمزم وتضلعكم منها!!.

هنيئًا لكم سعيكم بين الصفا والمروة!.

تقبل الله دعاءكم عند طوافكم، وعند الملتزم، وعلى الصفا، وكذا على المروة، وبينهما كذلك.

تقبل الله عمرتنا وعمرتكم، ومسعانا ومسعاكم بقبول حسنٍ.

وإلى العمرة وأعمالها ومقدماتها.

بارك الله لنا ولكم.



(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) البخاري (١٧٨٢)، ومسلم(١٢٥٦).

ابتداءًا فهذه أمورٌ يجب أن تراعيها أيها المعتمر:

عليك أولًا: أن تُخلص في عمرتك لله:

فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

❑ التحلل من المظالم:

عليك أيها المعتمر: أن تتحلل من المظالم، فيقينًا أنك لا تريد أن يأخذ أحدٌ سواك ثواب عمرتك، ولا تريد أيضًا أن تُردَّ عليك عمرتُك ولا تُقبل، وهذه وصية نبيك محمد ﷺ فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(٢).

❑ وكذا قوله: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ

---

(١) مسلم (٢٩٨٥).

ولا مانع أن تتاجر أيها المعتمر في أثناء عمرتك، فالحج الذي هو أعظم من العمرة تجوز فيه التجارة، فقد قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

(٢) البخاري (٢٤٤٩).

لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»(١).

❑ وأخرج البخاري(٢) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

وفي الحديث: «أن الشهيدَ يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(٤).

❑ التزود للسفر:

❑ عليك أيها المعتمر: أن تتزود بالقدر الكافي من الطعام والشراب ومؤنة السفر، ولا تذهب تتسول الناس هنالك فقد أخرج البخاري(٥) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧](٦)

(١) البخاري (٢٤٤٠).
(٢) البخاري (٢٤٤٨).
(٣) مسلم (١٨٨٦).
(٤) مسلم (٢٥٨٢).
(٥) البخاري (١٥٢٣).
(٦) وقد رُوي هذا الخبر مرسلًا.

□ اختيار الرفقة الصالحة:

فيستحب للمعتمر وللمسافر عمومًا أنْ يصطحبَ رفقةً صالحةً في سفره، وكذا يحرص على اصطحاب أهل عِلْمٍ يذكرونه بالله ويعلمونه ما جَهِل من أمر دينه وأمر عمرته، فالجليس الصالح إما أن يُحْذِيَك، وإمَّا أن تَبْتَاعَ منه، وإمَّا أن تَجِدَ منه ريحًا طيبةً.

□ الوصية:

فيستحب لك أيها المعتمر أن توصي؛ فإنك لا تدري ماذا تكسب غدًا، ولا تدري بأيِّ أرضْ تموت، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»[(١)].

□ واحرصي أيتها المعتمرة: على اصطحاب محرمٍ في سفرك:

فقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تنهى المرأة عن السفر بلا محرم، منها:

حديث ابن عباس المتفق عليه[(٢)] عن رسول اله ﷺ «لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ».

وحديث ابن عمر المتفق عليه[(٣)] أيضًا مرفوعًا: «لاَ تُسَافِرُ المَرأةُ ثَلَاثًا إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ».

---

(١) البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).
(٢) البخاري (٤/ ١٧٢)، ومسلم (صـ٩٧٨).
(٣) البخاري (١٠٨٧)، ومسلم (صـ٩٧٠).

وحديث أبي هريرة[١] عن النبي ﷺ قال: «لايَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ».

وأحاديث كثيرة جدًا في هذا الصدد.

❑ عليك أيها المعتمر: أن تتحرى المال الحلال الطيب الذي ستعتمر به، وذلك حتى تُتقبَّل منك عمرتُك ويُستجاب لدعائك:

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم[٢] في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]،

وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

❑ **واعلم أيها المعتمر: أن أجرك على قدر نفقتك، وعلى قدر التعب والمشقة، فمن ثَمَّ فلا تندم على مالٍ أنفقته، ولا على نَصَبٍ حلَّ بك، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «..وَلَكِنَّهَا (اي: العمرة) عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ»**[٣].

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٦٦)، ومسلم (صـ٤٨٧).
(٢) مسلم (١٠١٥).
(٣) البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١)، والنصب: التعب.

□ وعلى المعتمر: أن يلزم سنة رسوله محمد ﷺ في عمرته، وأن يتأسَّى به فيها، وأن يتعلم أحكامها فقد قال رسول الله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»[١].

وليحذر المعتمر من البدع ومحدثات الأمور، فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[٢].

وقال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[٣].

أعمال العمرة

وبعد هذه التقدمة أستعين بالله، وأُبين أعمال العمرة بشيء من التفصيل، مُدلِّلًا على ما أقول بالأدلة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، فأقول وبالله التوفيق:

إن العمرة والحج لهما مواقيت وقَّتها رسول الله ﷺ، فهذه المواقيت هي:

□ ذو الحليفة[٤]: لأهل المدنية.

□ وقرن المنازل[٥]: لأهل نجد.

---

(١) مسلم (١٢٩٧).
(٢) مسلم (١٧١٨).
(٣) البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).
(٤) وهي المسماة الآن بأبيار علي، ولا أدري سبب هذه التسمية.
(٥) وهي في طريق السيل، ويحاذيها ميقات الهدي.

❑ ولأهل الشام: الجحفة[١].

❑ ولأهل اليمن: يلملم[٢].

أخرج البخاري[٣] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «يُهِلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ الشَّأْمِ مِنَ الْجُحْفَةِ، وَيُهِلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ».

قال عبد الله: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «وَيُهِلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمَ».

❑ هذا وقد وَرَد أن النبي ﷺ وقَّت لأهل العراق[٤]: ذات عرق، لكن أعلَّ ذلك بعض العلماء، وبيَّنوا أن الذي وقَّت ذات عرق لأهل العراق هو عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أخرج البخاري[٥] من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا فُتِحَ هَذَانِ الْمِصْرَانِ أَتَوْا عُمَرَ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّ لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنًا، وَهُوَ جَوْرٌ عَنْ طَرِيقِنَا، وَإِنَّا إِنْ أَرَدْنَا قَرْنًا شَقَّ عَلَيْنَا، قَالَ: فَانْظُرُوا حَذْوَهَا مِنْ طَرِيقِكُمْ فَحَدَّ لَهُمْ ذَاتَ عِرْقٍ.

فهذه المواطن لا يجوز لمريد الحج أو العمرة أن يتجاوزها بلا إهلال،

(١) وهي قريبة جدًا من بلدة رابغ.
(٢) وهو ميقات معروف لأهل اليمن.
(٣) البخاري (١٥٢٥)، مسلم (١١٨٢).
(٤) انظر: سنن أبي داود (١٧٣٩).
(٥) البخاري (حديث ١٥٣).

وكذا لا يتقدمها بالإهلال.

صحيح أنه يجوز له أن يرتدي الملابس قبلها، ولكن لا يهلُّ (قائلًا: لبيك اللَّهم لبيك..) إلا عندها.

فإن تجاوزها بلا إهلال لزمه - عند الجمهور - أن يُقدِّم دمًا[١].

ما يُفعل عند الميقات

هذا وعند الميقات يفعل مريد العمرة ما يأتي:

▢ **الاغتسال**: وهذا أمر مستحب، فيستحب لمريد العمرة أن يغتسل عند الميقات، وهذا الاغتسال عند الجمهور مستحب، وليس بواجب[٢].

وقد ورد عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: من السُّنَّة أن يغتسل الرجل إذا أراد

---

(١) ولم أقف على دليل مرفوع إلى النبي ﷺ في ذلك، ولكن ثَمَّ أمرٌ ألا وهو أن الذي يتخطى الميقات عامدًا عالمًا بلا إحرام يأثم لمخالفته أمر النبي ﷺ بالإهلال من المواقيت، ثم كيف يرتفع هذا الإثم عنه، فالجمهور ذهبوا إلا أن هذا الإثم لا تكفيه كلمة «أستغفر الله» فقط، بل يُلزم معها بدم، فليست كلمة «أستغفر الله» بكافية ككفارة لكل الأعمال الخاطئة التي تُعمل - إلا إذا شاء الله - فهناك - مثلًا - كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة قتل الخطأ.. إلى غير ذلك، ولا تكفيها فقط «أستغفر الله»، ثم إن من أهل العمل من يلحظ في فتياه قدر الذنب، وعلى إثر ذلك يُقدِّر الكفارة، وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فيبحث المفتي حينئذٍ عن حسنات تكفي لتغطية السيئات فتراه يفتي بقدرٍ من الصدقة والصيام أو الذكر إلى غير ذلك، وذلك - إذا لم يكن في المسألة نص خاص - من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ومن باب إتباع السيئة بالحسنة إذا ارتكبت السيئة، والله أعلم.

(٢) وقد نقل ذلك عنهم: ابن عبد البر في «الاستذكار» (١١/ ١١).

أنْ يُحْرِم[١]

□ التطيب: وذلك بعد الغسل، وقبل الإهلال[٢]، أي: قبل قوله: لبيك اللّهم لبيك، وذلك لحديث[٣] أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ، وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ.

وفي رواية عنها[٤] قالت: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِي مَفْرِقِ النَّبِيِّ صَلَّى ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ.

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى منع استدامة الطيب بعد الإحرام، بل يزال ويُمحي أثره، وذلك لحديث يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] وفيه: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ - وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، فَجَاءَهُ الْوَحْيُ فَأَشَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى - وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ - فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحْمَرُّ الْوَجْهِ وَهُوَ يَغِطُّ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ: «أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ الْعُمْرَةِ؟» فَأُتِيَ بِرَجُلٍ فَقَالَ: «اغْسِلِ الطِّيبَ الَّذِي بِكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَانْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجَّتِكَ».

(١) البزار «كشف الأستار» (١٠٨٤) بسندٍ صحيح.
(٢) والمراد بالإهلال: رفع الصوت بالتلبية، لكن المراد هنا قبل التلبية عمومًا، سواء رفع بها الصوت أم خفضه.
(٣) البخاري (١٥٣٩) ومسلم (١١٨٩).
(٤) البخاري (١٥٣٧).
(٥) البخاري (١٥٣٦)، ومسلم (١١٨٠).

□ إلا أنه، وكما هو معلوم، يلزمنا أن نجمع بين حديث يعلى وحديث عائشة رضي الله عنها، ومن أمثل ما جُمع به بين الحديثين: أن النهي في حديث يعلى يُحمل على طيبٍ مخصوصٍ ألا وهو الزعفران[١].

□ أما عن الثياب التي يرتديها: فقد سئل[٢] النبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا يَلْبَسُ الْقُمُصَ، وَلَا الْعَمَائِمَ، وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ، وَلَا الْبَرَانِسَ، وَلَا الْخِفَافَ، إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ، وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ»**.

والنهي عن لبس القمص (جمع قميص - وهو الثوب في زماننا الذي يطلق عليه أهل مصر الجلبية) هذا النهي خاص بالرجال كما هو معلوم وواضح.

فالمُحرم إذن يلبس إزارًا ورداءً ونعلين لا يغطيان الكعبين، والمراد بالكعبين هنا: العظمتان الناتئتان اللتان هما منتهى الغسل عند الوضوء، وقد قال الله فيهما: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

فإذا لم يجد الشخص نعلين ووجد خفين فليقطع الخفين حتى يكونا أسفل الكعبين.

□ هذا؛ وإذا قُدِّر ولم يجد الشخص إزارًا يأتزر به جاز له أن يلبس السراويل.

(١) وانظر الحديث الآتي.
(٢) البخاري (٢/٤١٥)، ومسلم (١١٧٧).

ففي الحديث[١] عن رسول الله ﷺ «مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ»[٢].

ركعتي الإحرام

أما عن الركعتين اللتين يُصليهما المرء قبل إحرامه فلا أحفظ فيهما شيئًا خاصًا عن رسول الله ﷺ أما ما أخرجه البخاري[٣] من طريق فُلَيْحٍ عَنْ نَافِعٍ، قَالَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ ادَّهَنَ بِدُهْنٍ لَيْسَ لَهُ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، ثُمَّ يَأْتِي مَسْجِدَ ذِي الْحُلَيْفَةِ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَرْكَبُ وَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً أَحْرَمَ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُ.

فلا أرى إلا أن فليحًا وهم فيه، وقد أخرجه البخاري[٤] من وجه آخر أثبت، وذلك من طريق أَيُّوبُ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا صَلَّى بِالْغَدَاةِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ رَكِبَ فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ قَائِمًا، ثُمَّ يُلَبِّي حَتَّى يَبْلُغَ الْحَرَمَ، ثُمَّ يُمْسِكُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَا طُوًى بَاتَ

(١) البخاري (١٨٤٢)، ومسلم (١١٧٨).

(٢) فمثلًا: إذا كان الشخص في الطائرة ونسي ملابس الإحرام فله أن ينزع ثيابه عنه ويُبقي البنطلون إلى أن يتيسر له الحصول على إزار عند نزوله.
والله أعلم.
هذا وقد اشترط بعض العلماء أن يفتق السراويل (أي: حتى لا تكون مخيطة محيطة بالجسم) قياسًا على قطع الخفين إلى أسفل الكعبين، لكن لم أقف على دليل يُلزم بفتق السراويل، والأولى عدمه، لعدم ورود الفتق - فيما علمت - عن رسول الله ﷺ

(٣) البخاري (١٥٥٤).

(٤) البخاري (١٥٥٣).

بِهِ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ اغْتَسَلَ، وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ.

فعلى كل حال إن صلى الشخص هاتين الركعتين كسنةٍ للوضوء فسنة الوضوء مستحبة، أما تخصيص ركعتين للإحرام، فكما سلف لا أحفظ فيهما شيئًا عن رسول الله ﷺ.

ويهل المعتمر بقوله: «لَبَّيْكَ عُمْرَةً»، وإن شاء زاد: «لا رِيَاءَ فِيهَا ولا سُمْعَةً».

وإن شاء اشترط فقال: «اللَّهم مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي».

وهذا الاشتراط يستحب لمن خشي أن لا يتم حجه أو عمرته.

وقد ورد في هذا الصدد الحديث السابق المتفق عليه[1] من حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا: «لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ» قَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً فَقَالَ لَهَا: «حُجِّي وَاشْتَرِطِي وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»، وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ.

ما يتقيه المُحرِم

هذا وبعد أن يُحرم الشخص ويهل بالتلبية عليه أن يتقي أمورًا:

❑ **فمن ذلك:** لبس المخيط المُفَصَّل على قدر الجسم من الثياب،

(١) البخاري (٥٠٨٩)، ومسلم (١٢٠٧).

كالقميص ونحوه، وكذلك لا يغطي رأسه بشيء يباشرها كالعمامة ونحوها، ولا يلبس السراويلات (إلا مضطرًا إليها) ولا البرانس ولا الخفاف (وهي التي تغطي الكعبين - وهما العظمتان الناتئتان عن يمين الرِّجْل وشمالها) إلا إذا اضطر إليها فليقطعها حتى تكون أسفل الكعبين.

❑ وكذلك لا يمس طيبًا بعد إحرامه:

ففي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] : أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَلْبَسُ الْقُمُصَ، وَلَا الْعَمَائِمَ، وَلَا السَّرَاوِيلَاتِ وَلَا الْبَرَانِسَ، وَلَا الْخِفَافَ، إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ، وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ، أَوْ وَرْسٌ».

❑ وعليه أن يعتزل النساء: فلا يخطب ولا ينكح ولا يجامع؛ فالجماع يفسد العمرة، ولا يُباشر، ولا يتكلم في حضرتهن برفثٍ.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾[(٢)] [البقرة: ١٩٧].

والرَّفَثُ هنا عام يشمل الجماع ومقدماته.

❑ وكذا كما هو واضح في الآية الكريمة: أن لا جدال في الحج - اللَّهم إلا جدالًا بالتي هي أحسن لإيصال معلومةٍ، أو لإقرارِ حقٍّ، ونحو

(١) البخاري (١٥٤٢)، ومسلم (١١٧٧).
(٢) والعمرة تأخذ حكمه.

...لك مما هو بالحسنى والله أعلم.

❑ وكذا فعليه أن يتقي السباب والشتم، ونحو ذلك مما يتسبب له في ...وصف بالفسوق.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ، وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا ...خْطُبُ»[(١)].

ومما يُلفت النظر إليه في هذا المقام: أنه قد ورد من حديث ابن عباس[(٢)] ...عند البخاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ.

❑ ولا يحلق شعرًا، ولا يُقلِّم ظُفُرًا.

❑ ولا يجوز للمحرم أن يصطاد، ولا أن يُعاوِنَ من يصطاد: وذلك ...قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم ...مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ...أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا ...سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] في صحيحيهما من حديث أَبِي قَتَادَةَ: أَنَّ ...رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجُوا مَعَهُ، فَصَرَفَ طَائِفَةً مِنْهُمْ فِيهِمْ أَبُو ...قَتَادَةَ فَقَالَ: «خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى نَلْتَقِيَ»، فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا

---

(١) مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (١٨٣٧).
(٣) البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).

انْصَرَفُوا أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلَّا أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمُرَ وَحْشٍ، فَحَمَلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى الْحُمُرِ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، فَنَزَلُوا فَأَكَلُوا مِنْ لَحْمِهَا وَقَالُوا: أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ الْأَتَانِ فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا، وَقَدْ كَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِمْ، فَرَأَيْنَا حُمُرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا، فَنَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا، ثُمَّ قُلْنَا: أَنَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ؟ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا، قَالَ: **«أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟»**، قَالُوا: لَا، قَالَ: **«فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا»**.

وعند البخاري ومسلم[(١)] أيضًا من حديث الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ - أَوْ بِوَدَّانَ - فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: **«إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ»**.

ماذا تفعل الحائض والنفساء عند الميقات؟

والحائض والنفساء إذا وصلتا الميقات، وكانتا تريدان العمرة؛ فإنهما تهلان من الميقات شأنهما شأن سائر الحجيج في كل شيء إلا أنهما لا تطوفان بالبيت حتى تطهرا من الحيض أو النفاس، ويستحب لهما بين يدي هذا الإهلال أن تغتسلا تنظفًا وإن كانت الحيضة ما زالت باقية.

وذلك لما أخرجه مسلم[(٢)] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: نُفِسَتْ أَسْمَاءُ

---

(١) البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).

(٢) مسلم (١٢٠٩).

بِنْتُ عُمَيْسٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِالشَّجَرَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ يَأْمُرُهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتُهِلَّ.

وعند مسلم[١] من حديث جابر أيضًا . . . فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي».

❑هذا ويستمر المعتمر مُلبيًا إلى أن يصل إلى الحرم؛ فإذا بلغ الحرم، فللحرم آدابٌ وأحكامٌ فمكة بلدٌ حرام لها حرمتها التي يجب أن تُراعى، ففي الصحيحين[٢] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا»، قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ؛ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ».

❑ويجوز للمُحرم: أن يستعمل الشمسية، وأن يلبس الساعة، وأن يستظل بحائطٍ أو بخيمة أو بأي شيء لا يلامس رأسه، وإن استظل جاهلًا بما يلامس الرأس أو تطيب جاهلًا أو ناسيًا فلا شيء عليه، وذلك لما

---

(١) مسلم (١٢٠٨).

(٢) البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

أخرجه البخاري من حديث يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ[١] أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ، وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلُوقِ - أَوْ قَالَ: صُفْرَةٌ - فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَسُتِرَ بِثَوْبٍ، وَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ عُمَرُ: تَعَالَ أَيَسُرُّكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ قُلْتُ: نَعَمْ، فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: كَغَطِيطِ الْبَكْرِ - فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ؟ اخْلَعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ، وَاغْسِلْ أَثَرَ الْخَلُوقِ عَنْكَ، وَأَنْقِ الصُّفْرَةَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ**».

□ ويجوز للمحرم[٢] أن يغتسل وأن يدلك رأسه:

أخرج البخاري[٣] من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُنَيْنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ اخْتَلَفَا بِالْأَبْوَاءِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، وَقَالَ الْمِسْوَرُ لَا يَغْسِلُ الْمُحْرِمُ رَأْسَهُ، فَأَرْسَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ، وَهُوَ يُسْتَرُ بِثَوْبٍ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُنَيْنٍ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ أَسْأَلُكَ: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ؟ فَوَضَعَ أَبُو أَيُّوبَ يَدَهُ عَلَى الثَّوْبِ فَطَأْطَأَهُ حَتَّى بَدَا لِي رَأْسُهُ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ اصْبُبْ، فَصَبَّ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ حَرَّكَ رَأْسَهُ

---

(١) البخاري (١٧٨٩).

(٢) وليتق الصابون المطيب، احترازًا من الطيب الممنوع.

(٣) البخاري (١٨٤٠).

بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، وَقَالَ هَكَذَا رَأَيْتُهُ ﷺ يَفْعَلُ.

ما يُقتل من الدواب في الحرم

وهناك دوابٌّ تقتل في الحرم، وليس على المحرم جناح في قتلهن: ففي الصحيحين[(١)] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: قَالَتْ حَفْصَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسٌ مِنْ الدَّوَابِّ لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ: الْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ».

❑ هل ويُشرع الاغتسال عند دخول مكة لمن استطاعه، ومن لم يفعل فلا شيء عليه.

أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من طريق نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما إِذَا دَخَلَ أَدْنَى الْحَرَمِ أَمْسَكَ عَنِ التَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَبِيتُ بِذِي طِوًى، ثُمَّ يُصَلِّي بِهِ الصُّبْحَ وَيَغْتَسِلُ، وَيُحَدِّثُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ.

أبواب في الطواف

❑ ويتوضأ لطوافه:

وذلك لأن النبي ﷺ توضأ لطوافه، فقد أخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت في شأن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ

---

(١) البخاري (١٨٢٨)، ومسلم (١١٩٩).
(٢) البخاري (١٥٧٣)، ومسلم (١٢٥٩).
(٣) البخاري (١٦٤١)، ومسلم (١٢٥٨).

قَدِمَ أَنَّهُ تَوَضَّأَ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ... الحديث.

وقد رأى بعض أهل العلم أن الوضوء للطواف شرطٌ لصحةِ الطواف، واستدل بعضهم بحديث: «الطواف بالبيت صلاةٌ إلا أنكم تتكلَّمون فيه، فمن تكلَّم فيه فلا يتكلَّمَنَّ إلا بخيرٍ».

لكن الصواب فيه: الوقف على ابن عباس.

وعلى كلٍّ، فأدنى الأحوال استحباب الوضوء.

❑ ثم يدخل الحرم من أيِّ بابٍ شاء؛ ذاكرًا الله عز وجل بالأذكار الواردة عند دخول المسجد، كقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»[(١)].

وكالوارد أيضًا عن رسول الله ﷺ عند دخول المسجد أيضًا: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(٢)].

❑ ويشرع للطائف أن يضطبع، والاضطباع: هو تغطية الكتف الأيسر، وكشف الكتف الأيمن؛ وذلك لأن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم قد قذفوها على عواتقهم اليسرى[(٣)].

❑ وفيما يظهر لي: أن هذا الاضطباع في أثناء الطواف فقط.

---

(١) مسلم (٧١٣).

(٢) إسناده حسن، وقد أخرجه أبو داود (٤٦٦) بسندٍ حسن.

(٣) أخرجه أبو داود بسند حسن (١٨٨٤) ففي سنده: عب الله بن عثمان بن خيثمة، وحديثه لا يرتقي للصحة، بل ينزل لدرجة الحسن.

وذلك لما أخرجه أحمد في مسنده بسندٍ حسنٍ[١] أيضًا، وبإيضاح للحديث السابق ففيه: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَقَعَدَتْ قُرَيْشٌ نَحْوَ الْحِجْرِ فَاضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ... الحديث.

☐ هذا ويبتدئ الطائف طوافه باستلام الحجر الأسود وتقبيله إن استطاع، فإن لم يستطع أشار إليه وكبَّر.

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَقْدَمُ مَكَّةَ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْأَسْوَدَ أَوَّلَ مَا يَطُوفُ يَخُبُّ[٣] ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ مِنَ السَّبْعِ.

ولحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ[٤] أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ[٥].

ولحديث جَابِرِ[٦] بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ مَشَى عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا.

☐ أما عن تقبيل الحجر: ففي الصحيحين[٧] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَبَّلَ الْحَجَرَ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ

---

(١) أحمد (١/ ٣٠٥).

(٢) البخاري (١٦٠٣)، ومسلم (١٢٦١).

(٣) ومعنى (يخب): أي يرمل، والرمل: هو المشي السريع المتتابع.

(٤) والمراد بالركن: الركن الذي فيه الحجر الأسود.

(٥) البخاري (١٦١٣).

(٦) مسلم (حديث ١٢١٨).

(٧) البخاري (حديث١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ.

❑ ولا ينبغي أن يزاحم ويؤذي الناس كي يقبِّل الحجر، فإن أذى المسلمين لا يجوز، والله يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

❑ أما عن الحجر الأسود نفسه: فقد ورد بإسناد يُحسَّن: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا أَهْلِ الشِّرْكِ»[(١)].

وكذلك بإسنادٍ حسنٍ عند الترمذي في فضل استلام الحجر: «وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ»[(٢)].

❑ وإذا كان مع الطائف عصًا واستطاع - بلا إلحاق ضرر بأحد - أن يستلم الحجر بها استلمه بالعصا، وقبَّلها.

وقد أخرج مسلم[(٣)] في صحيحه من طريق أبي الطفيل قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَيَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ مَعَهُ، وَيُقَبِّلُ الْمِحْجَنَ.

وعند مسلم أيضًا[(٤)] من طريق نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: مَا تَرَكْتُ اسْتِلَامَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧).
(٢) الترمذي (٩٦١).
(٣) مسلم (١٢٧٥).
(٤) مسلم (١٢٦٨) والبخاري (١٦٠٦).

هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيَ وَالْحَجَرَ، مُذْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا فِي شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ.

الرَّمَل في الطواف

ثم يبدأ الطائف في طوافه، الذي هو طواف القدوم - راملًا [(١)] - إن استطاع - والرَّمَلُ: هو المشي السريع المتتابع، وذلك في طواف القدوم فقط [(٢)]، وفي الثلاثة الأشواط الأُوَل فقط، ويكون مضطبعًا كما بينا.

والاضطباع: أن يكشف الكتف الأيمن، ويغطي الكتف الأيسر.

---

(١) وليس على النساء رَمَلٌ.
هذا وقد ورد (البخاري ١٦٠٥) عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أنه قَالَ لِلرُّكْنِ: أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ، فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ قَالَ: فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ؟ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ.
وأخرج مسلم في «صحيحه» (١٢٦٤) من طريق أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّمَلَ بِالْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ، وَمَشْيَ أَرْبَعَةِ أَطْوَافٍ أَسُنَّةٌ هُوَ؟ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ، قَالَ: فَقَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قَالَ: قُلْتُ: مَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مَكَّةَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ مِنَ الْهُزَالِ، وَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ، قَالَ: فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثًا وَيَمْشُوا أَرْبَعًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رَاكِبًا أَسُنَّةٌ هُوَ؟ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ، قَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، هَذَا مُحَمَّدٌ، حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ مِنَ الْبُيُوتِ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ، وَالْمَشْيُ وَالسَّعْيُ أَفْضَلُ.

(٢) ومما يدل على أن الرمل في طواف القدوم فقط: ما أخرجه أبو داود (حديث ٢٠٠١) بسندٍ صحيح عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْمُلْ فِي السَّبْعِ الَّذِي أَفَاضَ فِيهِ.

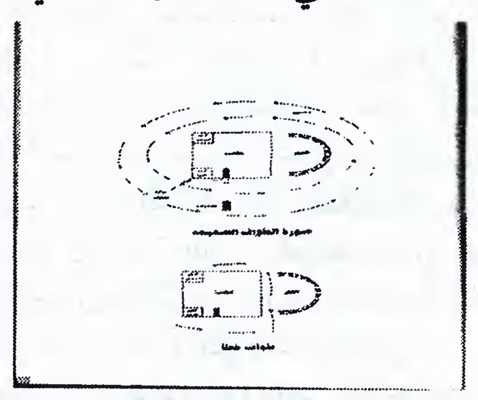


هذا ويستحب للطائف أن يدعو عند الملتزم (وهي المسافة بين الركن الذي به الحجر الأسود، وباب الكعبة).

- أما ما ورد من لصق الخدود والصدور بالملتزم، فذاك ضعيف الإسناد.

- هذا ويجدر التنبيه على أمرٍ هو في غاية الأهمية: ألا وهو أن الطائف يجب عليه وجوبًا أن يطوف من خلف الحجر (الذي يسميه الناس حِجْر إسماعيل[١]) فالحجر من الكعبة، فالذي يختصر الطواف ويطوف من داخل الحِجْر فطوافه لهذا الشوط غير صحيح؛ وذلك لأنه لم يطف بالكعبة (التي منها الحِجْر).

وقصة ذلك الحِجْر: أن قريشًا لما أرادوا بناء الكعبة قصرت بهم النفقة (أي: لم يجدوا نفقة) عن بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، فبنوها من ثلاثة أركان على قواعد إبراهيم، والباقي صنعوا له ما يحيط به ليُعلم أنه من الكعبة. فعليه فصورة الكعبة التي يطاف حولها كالتالي:



(١) ولا أعلم دليلًا صحيحًا على تسميته بحجر إسماعيل.

❑ ومما يدل على ما ذكر من عدم إتمام بناء الكعبة على قواعد إبراهيم: ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ: أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «نعَمْ»، قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ»، قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ».

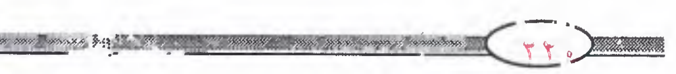
وقد أخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا.

❑ هذا وأما عن الأذكار في الطواف: فلم يصح ذكرٌ بعينه في أثناء الطوف، اللَّهم إلا أن من العلماء من يُحسِّن حديثًا، وفيه أيضًا - فيما أرى - ضعف، وهو قول: «اللَّهم رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بين الركن اليماني والحجر الأسود.

❑ أما ما سوى ذلك فلم يصح أي دعاء عن رسول الله ﷺ في أثناء الأشواط، وعليه فالكتب التي تباع حول الحرم فيها: ذِكْر الشوط الأول، وذِكْر الشوط الثاني، . . . إلى غير ذلك؛ كل ذلك لا يصح عن النبي ﷺ

❑ ويجوز للطائف أن يطوف على بعير أو راكبًا عمومًا: قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

(١) البخاري (١٥٨)، ومسلم (١٣٣).
(٢) مسلم (١٢٦٢).



رضي الله عنها: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي قال: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ، وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ»[١].

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ.

وأخرج مسلم[٣] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْبَيْتِ، وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِيَرَاهُ النَّاسُ، وَلِيُشْرِفَ وَلِيَسْأَلُوهُ فَإِنَّ النَّاسَ غَشُوهُ.

❑ أما عن الركن اليماني: فيستحب استلامه أيضًا عند كل مرورٍ عليه، ولكن إذا لم يستطع الطائفُ استلامه لم يُشر إليه، فالإشارة إلى الركن اليماني لم ترد عن رسول الله ﷺ.

❑ أما عن استلام الركن اليماني أيضًا: فقد أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: مَا تَرَكْتُ اسْتِلَامَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ فِي شِدَّةٍ، وَلَا رَخَاءٍ مُنْذُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا، قُلْتُ لِنَافِعٍ: أَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَمْشِي بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ؟ قَالَ: إِنَّمَا كَانَ يَمْشِي لِيَكُونَ أَيْسَرَ لِاسْتِلَامِهِ.

❑ ولا استلام للأركان غير الركنين اليمانيين (الركن اليماني، والركن الذي به الحَجَر الأسود).

---

(١) البخاري (١٦١٩)، ومسلم (١٢٧٦).
(٢) البخاري (١٦٠٧)، ومسلم (١٢٧٢).
(٣) مسلم (١٢٧٣).
(٤) البخاري (١٦٠٦)، ومسلم (١٢٦٨).

وعند البخاري[١] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : «أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ»، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ : «لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَفَعَلْتُ».

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ[٢] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا أُرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَرَكَ اسْتِلَامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحِجْرَ إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يُتَمَّمْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ.

❑ **أما عن الأجر في مسح الحجر الأسود والركن اليماني:** فقد أخرج النسائي[٣] وغيره من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! مَا أَرَاكَ تَسْتَلِمُ إِلَّا هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **«إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطَّانِ الْخَطِيئَةَ»**، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : **«مَنْ طَافَ سَبْعًا فَهُوَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ»**.

❑ **ويجوز للطائف أن يتكلم:** فلا مانع للطائف من الكلام، ولكن إذا تكلَّم يتكلَّم بخير، ولا يشوش على داعٍ وسائلٍ وتالٍ، والله أعلم.

وقد ورد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلَّم في أثناء الطواف : فعند البخاري[٤] من

---

(١) البخاري (حديث ١٥٨٣).
(٢) عبد الله : هو ابن عمر، كما هو واضح في سياق الأحاديث.
(٣) أخرجه النسائي (٥/ ٢٢١)، والترمذي (٣/ ٣٨٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٨٣٠) وفي سنده بعض الكلام.
(٤) البخاري (حديث ١٦٢٠).

حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ، أَوْ بِخَيْطٍ، أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ فَقَطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «قُدْهُ بِيَدِهِ».

❑ ولا يمنع الطائف من الطواف في أي وقتٍ شاء: وذلك لقول النبي ﷺ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! لَا تَمْنَعُنَّ أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ، وَصَلَّى أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ»(١)(٢).

❑ فإذا انتهى الطائف من طوافه اتجه إلى مقام إبراهيم(٣) تاليًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فيصلي خلف المقام ركعتين(٣) يقرأ في الأولى - بعد الفاتحة - سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية - بعد الفاتحة - سورة (قل هو الله أحد).

فإذا لم يستطع الصلاة خلف المقام مباشرة ويجعل المقام بينه وبين الكعبة، صلى في أي مكان خلف المقام، وإلا ففي أي مكان في المسجد.

❑ ويستحب للمرء(٤) بعد صلاة الركعتين خلف المقام أن يتجه إلى زمزم(٥) فيشرب منها ويصب على رأسه، ثم يرجع فيستلم الحجر ثانيةً، ثم

---

(١) النسائي (٥/٢٢٣)، وأبو داود (١٨٩٤).

(٢) وهل يشير في الشوط الأخير إلى الحَجر أم لا؟ في ذلك وجهان للعلماء، والأمر في ذلك واسعٌ، والله أعلم.

(٣) مسلم (حديث ١٢١٨).

(٤) انظر: «صحيح مسلم» (حديث ١٢١٨)، وأحمد (٣/ ٣٩٤).

(٥) وقد ورد في فضل ماء زمزم قول رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ» (مسلم ٢٤٧٣).

يتجه إلى الصفا.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن ييسر الله لنا ولكن الحج والاعتمار، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

فقد سمعتم عن بعض أعمال العمرة وها هي تتمتها.

❑ يتجه المُحْرِمُ إلى الصفا تاليًا - إذا دنا منها - قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ثم يقول: أبدأ بما بدأ الله به، أي: أبدأ عملي في السعي بالوقوف على الصفا.

ثم إذا صعد الصفا - ولا يلزم أن يكون على الأحجار التي هنالك في أعلاها، إنما يكون الصعود - شُرِع له إذا صعد أن يتجه إلى القبلة ويذكر الله بهذا الذِّكْرِ الذي سنورده قريبًا جدًّا إن شاء الله، ويرفع يديه، ويدعو بما شاء، ويكثر جدًّا من الدعاء والذِّكر إن استطاع، فقد جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار؛ لإقامة ذِكرِ الله عز وجل، ويكرر هذا الذِّكر والدعاء ثلاثًا.

وأما عن هذا الذِّكر المستحب فعله على الصفا: فهو ما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في بيان حجة النبي ﷺ ففيه: ثُمَّ خَرَجَ - أي: رسولُ الله ﷺ - مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا

وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

❑ أما عن استحباب رفع اليدين والدعاء مستقبل القبلة: فلما ورد في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ وفيه: فَلَمَّا فَرَغَ (أي: النبي ﷺ) مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا، فَعَلَا عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ[(١)].

❑ أما عن السعي بين الصفا والمروة: فإن الساعي يسعى داعيًا الله بما شاء من دعاءٍ، ذاكرًا أو تاليًا ما شاء من ذِكْرٍ أو تلاوةٍ، ما دام الشرع يقرها.

❑ أما عن تخصيص كل شوط بدعاء معين، فهذا غير وارد ولا مأثور عن النبي ﷺ.

❑ هذا ويُسرع الساعي[(٢)] في مسيره، بل ويجري جريًا خفيفًا بين الميلين

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

(٢) لكن النساء ليس عليهن إسراع في الوادي.

الأخضرين.

ففي سنن النسائي[١] من طريق صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ عَنِ امْرَأَةٍ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْعَى فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ، وَيَقُولُ: «لَا يُقْطَعُ الْوَادِي إِلَّا شَدًّا».

❑ ويجوز للساعي بين الصفا والمروة أن يسعى راكبًا: وقد تقدم ذلك في أبواب الطواف.

هذا وليُعلم أن:

الشوط الأول: يكون من الصفا إلى المروة.

والشوط الثاني: يكون من المروة إلى الصفا.

والشوط الثالث: من الصفا إلى المروة، وهكذا حتى ينتهي على المروة بعد الشوط السابع.

وكثيرًا ما يُخطئ الناس في ذلك فيجعلون الذهاب والإياب شوطًا واحدًا، والصحيح أن الذهاب (أي: من الصفا إلى المروة) شوط، والإياب (الذي هو من المروة إلى الصفا) شوط ثانٍ من الأشواط السبعة.

وكما هو واضح فإنه كلما أتى إلى بداية الميلين الأخضرين أسرع في السعي.

وذلك للحديث المتقدم: «لَا يُقْطَعُ الْوَادِي إِلَّا شَدًّا».

❑ أما النساء فليس عليهن هذا الشَّد.

(١) سنن النسائي (٥/ ٢٤٢).

فإذا انتهى من أشواطه السبعة، فحينئذٍ تكون عمرته قد انقضت تمامًا، فليتحلل بحلق شعر رأسه، وإن قصَّره فقط جاز له، لكن الحلق في حقه أفضل، أما النساء فتأخذ من الشعر قدر أنملة (عقلة إصبع).

❑ هذا وقد حلق النبي ﷺ، والمراد بالحلق: إزالة شعر الرأس تمامًا بالموسى.

❑ أما عن الأفضل، فبلا شك أن الحلق أفضل في هذا المقام، وذلك لأمرين.

أولهما: أن النبي ﷺ حلق ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: حَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ[1].

والثاني: لكون النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثًا ودعا للمقصرين مرةً واحدةً، ففي الصحيحين[2] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَالْمُقَصِّرِينَ»، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ»، مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «وَالْمُقَصِّرِينَ».

❑ وقد يضاف وجه ثالثٌ؛ ألا وهو: أن الله عز وجل ذَكَر المحلقين أولًا في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، لكن على كلٍّ

---

(١) البخاري (١٧٢٦).
(٢) البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

حال فالتقصير: (وهو تعميم الرأس بأخذ بعض الشعر منه سواء بالآلة (الماكينة) أو بالمقص) جائز بلا خلاف، والله أعلم.

❑ هذا ومما يُلفت النظر إليه أن النساء ليس عليهن حَلْقٌ، ولا يجوز لهن الحلق، بل يلزمهن التقصير فقط، وهو أخذ شيء يسير من شعورهن، قَدْرَ الأنملة (أنملة الإصبع) فحسب.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ الْحَلْقُ، إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ»**.

❑ هذا وبالنسبة لطواف الوداع للمعتمر:

فقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المعتمر ليس عليه طواف وداع، وحملوا حديث رسول الله ﷺ: **«لا يَنْفِرَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ الطَّوَاف»** على الحاج دون المعتمر.

ومنهم من حمل الحديث على عمومه بالنسبة للحاج والمعتمر، ولكن القول بعدم الوجوب بالنسبة للمعتمر أظهر وأصحُّ، والله تعالى أعلم.

❑ هذا وبالنسبة لطواف الوداع، (عند من يرى وجوبه على المعتمر، ولا نرى وجوبَه) فهو سبعة أشواط كسائر أنواع الطواف، وليس فيه رَمَلٌ ولا اضطباع، بل يجوز في ثيابه، وبعد الطواف يُصلى ركعتين كتلك الركعتين اللتين يصليهما مع أي طوافٍ، يقرأ في الأولى - بعد الفاتحة - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ثم ينصرف

راشدًا راجعًا إلى أهله، مغفورًا ذنبه إن شاء الله، مثبتًا أجره بإذن الله، وليسأل ربه القبول كما هو شأن أهل الفضل والصلاح يعملون صالحًا ويرجون من الله القبول.

❑ هذا ولا يجوز له أن يبيت بعد طواف الوداع، ولكن إن اشترى شيئًا على وجه السرعة فلا بأس بهذا الشراء اليسير، ولا بذاك الزمن اليسير.

دعاء الرجوع من السفر

❑ ثم إذا اقترب الحاج من بلاده فليقل: تائبون آيبون عابدون لربنا حامدون، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ فقد كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[(١)].

وهذه مسائل تتعلق بالنساء وعمرتهن

وهل ترفع المرأة صوتها بالتلبية أم لا؟

ففي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، واستدلوا على ذلك بأن المرأة مأمورة بالستر؛ فيكره لها رفع

(١) البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).

الصوت مخافة الافتتان بها أو افتتانها هي، واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ قال: «التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ». فدلَّ ذلك على أنها لا ترفع صوتها بالتلبية إلحاقًا بحالها في الصلاة.

ويجوزُ للمحرمة أن تلبس الحُلي:

أخرج الإمام الشافعيُ بسندٍ صحيحٍ[١] من طريق صفية بنت شيبة أنها قالت: كُنتُ عندَ عائشةَ رضي الله عنها إذْ جاءَتْها امرأةٌ من نساءِ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يُقالُ لها: تَمْلُك، قالت لها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فُلانةُ حَلَفَتْ أَلَّا تلْبَسَ حُلِيَّهَا فِي الْمَوْسِمِ، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: قُولِي لَهَا: إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تُقْسِمُ عَلَيْكِ أَلَّا لَبِسْتِ حُلِيَّكِ كُلَّه.

المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين.

وذلك للحديث: «لَا تَتَنَقَّبِ الْمُحْرِمَةُ وَلَا تَلْبَسِ الْقُفَّازَيْنِ»[٢].

❑ ولكن لها أن تغطي وجهها عن الرجال بالسدل الخفيف على وجهها، وذلك لما صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما قالت: كُنَّا نُغَطِّي وُجُوهَنَا مِنَ الرِّجَالِ، وكُنَّا نَتَمْشطُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الإِحْرَامِ[٣].

ولأثر عائشة رضي الله عنها قالت: تَسْدِلُ الْمرأة جلبابها من فوق رأسها على

---

(١) المسند (١١٩).

(٢) هذا الخبر اختلف في رفعه إلى رسول الله ﷺ ووقفه على ابن عمر رضي الله عنه وانظر «صحيح البخاري» (١٥٤٢) وكتابي «جامع أحكام النساء»، ولكن عليه عمل الأكثرين.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٥٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وجهها[١].

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أثرٌ آخر في سنده بعض الضعف، لكنه يصحُّ بما قبله، ألا وهو قولها: كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ[٢].

❑ زيارة مسجد رسول الله ﷺ:

أما عن زيارة مسجد رسول الله ﷺ فليس لها تعلُّق بالحج، لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يفضل ويستحب للحاج أن يزوره وأن يكثر من الصلاة فيه، لقول رسول الله ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»[٣].

❑ وختامًا: فليسأل المعتمر ربَّه عز وجل أن يتقبل منه؛ فهذا شأن أهل الصلاح دائمًا يعملون الصالحات ويسألون ربَّهم القبول، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقال تعالى في شأن خليله إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) صحيح: أخرجه سعيد بن منصور (نقلًا عن الحافظ في «الفتح» (٣/٤٠٦).
(٢) أخرجه أحمد (٦/٣٠)، وأبو داود (١٨٣٣).
(٣) البخاري (حديث ١١٩٠)، ومسلم (١٠١٣).

- وها هم عباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ومع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

- وها هو القانت آناء الليل يصلي ويدعو ويرجو، يسأل ربه أن يتقبل منه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩]. تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال..

تقبل الله منا ومنكم العمرة بقبولٍ حسن.. وجعلها عمرةً مبرورةً.. وذنبنًا مغفورًا.. وسعينا مشكورًا.

وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.



فرض الحج

إنْ الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

الحجُّ ركنٌ عظيم من أركان الإسلام، ثم هو حقٌّ مؤكَّدٌ لله تبارك وتعالى علينا، إن استطعنا إليه سبيلًا، ولقد قال تعالى لخليله إبراهيم. ﴿وَأَذِّن فِى

ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ [الحج: ٢٧].

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام؟ فقال: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...» فذكر الحديث، وقال فيه: «وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»(١).

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه فيما أخرجه البخاري(٢) من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

الحجُّ مرةً واحدةً

• هذا؛ وليُعلم أن فرضَ الحج إنما هو مرة واحدة في العمر، وذلك لما أخرجه مسلم(٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ. لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».

---

(١) مسلم (حديث ٨).

(٢) البخاري (حديث ٨)، ومسلم بنحوه (حديث١٦).

(٣) مسلم (١٣٣٧).

فضل الحج

إن هذا الركن له فضلٌ عظيم:

• فلقد قال النبي ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»(١).

• وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٢).

• وقال صلوات الله وسلامه عليه، وقد سئل: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٣).

• ولقد حَثَّ النبي ﷺ(٤) على الحجِّ ورغَّب فيه؛ إذ قال: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

• ولقد قالت عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٥).

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).
(٢) البخاري (١٥٢١).
(٣) البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).
(٤) النسائي (٥/ ١١٥) بسندٍ حسنٍ.
(٥) البخاري (١٥٢٠).

• وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ثلاثةٌ في ضَمَانِ الله عز وجل: رَجُلٌ خَرَجَ إلى مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ عز وجل، ورَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، ورَجَلٌ خَرَجَ حَاجًّا»(١).

هل الحج على الفَوْرِ أم يجوز فيه التراخي؟

والحج فرضُهُ على المستطيع كما سمعتم، ولكن هل ذلك على الفور أم على التراخي؟ فلأهل العلمِ في ذلك قولان:

أحدهما: أن ذلك على الفور لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

والثاني: أن ذلك على التراخي، بمعنى أنه قد يسوغ للرجل المستطيع أن يؤجِّل حجَّه عامًا أو عامين؛ وذلك لأن النبيَّ ﷺ وطائفة من أصحابه أخَّرُوا الحجَّ عامًا أو عامين بعد فرضِه.

إلا أنه يلتمس لرسول الله ﷺ عذرٌ في ذلك، وهو حيلولة الكفارة بينه وبين البيت العتيق، أو أي عذرٍ آخر.

فعلى ذلك: فمَن وَجَدَ سَعَةً، وتيسَّرت له أسبابُ الحج فلْيُبَادِرْ بذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) مسند الحميدي (٢/٤٦٦).

أمور يراعيها الحاج

الإخلاص لله:

فعلى مُريد الحج أنْ يُخْلِصَ في حَجِّه لله، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وتعلمون أن الرياء يُحبطُ الأعمال.

• وعليه فلا ينبغي أن تكون همة المرء أن يُقال عنه: حاجٌّ، بل عليه أنْ ينوي بذلك: امتثالَ أمر الله، والانقياد لشرعه، والترقي في أعالي الجنة، ومغفرة الذنوب والخطايا والأوزار.

وفي الحديث القدسي: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١].

وفي الحديث النبوي: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[٢].

التحلل من المظالم:

فعلى من أراد الحجَّ أن يتحلَّلَ من المَظَالِمِ، فإن الحجَّ وإن كان من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، إلا أن ذنوب العباد لها مُطالِبٌ يُطالِب بها، ولا يخفى عليكم في حديثُ المُفْلِسِ، وقد أخرجه مسلم[٣] في صحيحه من حديث أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا:

(١) مسلم (٢٩٨٥).
(٢) البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٣) مسلم (٢٥٨١).

الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وفي الحديث: أن الشهيدَ يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ[1].

وقد قدمنا شيئًا من ذلك في خطبة العمرة.

فمن ذلك التزوُّد للسفر:

- فعلى الحاج أن يتزود بالقدر الكافي من الطعام، والشراب، والملبس، والزاد الحلال.

ومن ذلك الحلال الطِّيب:

- فعليه أن يحجَّ من نفقةٍ اكتسبها من الحلال الطيب، وذلك حتى يُتقبل حَجُّه، وتُتَقَبَّل منه دعواته، وتُسْتَجابُ له.

ومن ذلك الرفقة الصالحة:

- فيستحب للحاج أن يصطحب رفقةً صالحةً في سفره ومن هم على علمٍ يذكرونه بالله، ويعلمونه ما جهل من أمر دينه.

- ويستحب للحاج أنْ يوصي، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «مَا حَقُّ

(١) مسلم (١٨٨٦).

امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»[١].

الْمَحْرَمُ لِلْمَرْأَةِ فِي السَّفَرِ:

• على المرأة أن تصطحب في حَجِّها مَحْرَمًا إن استطاعت[٢] إلى ذلك سبيلًا، فإن لم تجد محرمًا فلأهل العلم قولان في المسألة:

أحدهما: جواز السفر.

والآخر: المنع، ولكل قولٍ أدلته، وقد لخَّص الترمذي هذا الاختلاف فقال:

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَتْ مُوسِرَةً وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَحْرَمٌ هَلْ تَحُجُّ؟.

فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: لَا يَجِبُ عَلَيْهَا الْحَجُّ؛ لِأَنَّ الْمَحْرَمَ مِنَ السَّبِيلِ لِقَوْلِ اللهِ عز وجل: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] فَقَالُوا: إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَحْرَمٌ فَلَمْ تَسْتَطِعْ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ.

وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِذَا كَانَ الطَّرِيقُ آمِنًا، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مَعَ النَّاسِ فِي

---

(١) البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٢) فقد وردت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تنهى المرأة عن السفر بلا محرم، منها حديث ابن عباس المتفق عليه (البخاري ٤/ ١٧٢)، ومسلم (ص ٩٧٨) عن رسول الله ﷺ: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»، وحديث ابن عمر المتفق عليه أيضًا مرفوعًا: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثًا إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»، أخرجه البخاري (١٠٨٧)، ومسلم (ص ٩٧٠)، وحديث أبي هريرة عند البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٦٦)، ومسلم (ص ٤٨٧) عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ**»، وأحاديث كثيرة جدًّا في هذا الصدد.

الْحَجِّ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالشَّافِعِيِّ. انتهى كلامه رحمه الله.

والأجر على قدر التعب والنفقة:

فليعلم الحجاج والمعتمرون أن الله عز وجل لن يَتِرَهم أعمالَهم، ولن يُنْقِصَهم أجورِهم، ولن يُضَيِّعَ عليهم - إن شاء الله - ثوابُ نفقتهم وجهدهم.

وفي الأحاديث عن رسول الله ﷺ ما يفيد أن الأجر على قَدْرِ النفقة أو التعب، قد أخرج البخاري[1] ومسلم في صحيحيهما من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ؟ فَقِيلَ لَهَا: «انْتَظِرِي فَإِذَا طَهُرْتِ فَاخْرُجِي إِلَى التَّنْعِيمِ فَأَهِلِّي، ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ».

لزوم السنة واتباعها:

• هذا وينبغي على الحاج أن يتأسى في حجته برسوله محمد ﷺ في أعماله وحجته، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»[2].

تعلُّم الحجِّ وأحكامه:

فعلى الحاج أن يتعلم أحكام الحج، وأعماله، شأنه في ذلك الشأن في سائر العبادات، فالذي يريد الصلاة عليه أن يتعلَّم أحكامَها، وكذا مُريد

(١) البخاري (١٧٨٧)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).
(٢) مسلم (١٢٩٧).

الصوم والصدقة والأضحية والاعتكاف وسائر العبادات، وذلك حتى يحظى بأجزل الثواب وأعظم الأجور، وحتى يتقي البدعةَ؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)]، وقال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[(٢)].

وبعد هذه التقدمة التي ذُكرت، أستعين بالله وأُبين أعمالَ الحج بشيء من التفصيل مُدلِّلًا بالأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله ﷺ قدر استطاعتي.

مُراعيًا - بإذن الله - ترتيبَ أعمال الحج[(٣)].

وأورد ابتداءً حديثًا شاملًا جامعًا في بيان حجة النبي ﷺ إجمالًا، ألا وهو حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في هذا الصدد.

فهذا حديثه في بيان حجة النبي ﷺ على وجه الإجمال، وهو أطول حديثٍ وأوضحه في ذلك، وعليه عوَّل كثيرون من أهل العلم.

● أخرج مسلم[(٤)] في صحيحه من طريق محمد بن علي بن حسين أنه سأل جابرَ بنَ عبد الله رضي الله عنهما عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ[(٥)] فِي

(١) مسلم (١٧١٨).
(٢) البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).
(٣) إلا ما لزم تأخيره أو تقديمه بعض الشيء.
(٤) مسلم (حديث ١٢١٨).
(٥) (ثم أذن في الناس): معناه: أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا =

الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ. فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ. كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي[1] بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي»، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ[2]، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ. نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي[3] بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ، وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ[4]: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا[5] وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ

= المناسك، والأحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب وتشيع دعوة الإسلام.

(١) (واستثفري): الاستثفار: هو أن تشد في وسطها شيئًا، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم، وتشد طرفيها، من قدامها ومن ورائها، في ذلك المشدود في وسطها، وهو شبيه بثفر الدابة الذي يجعل تحت ذنبها.

(٢) (ثم ركب القصواء): هي ناقته ﷺ قال أبو عبيدة: القصواء المقطوعة الأذن عرضًا.

(٣) (ثم نظرت إلى مد بصري): معناه منتهى بصري.

(٤) (فأهل بالتوحيد): يعني قوله: لبيك لا شريك لك.

(٥) (استلم الركن): يعني الحجر الأسود، فإليه ينصرف الركن عند الإطلاق، واستلامه وتقبيله بالتكبير والتهليل، إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد، وإلا يستلم بالإشارة من بعيد، =

إِبْرَاهِيمَ(١) عَلَيْهِ السَّلَام فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ: (وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ): كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا.

فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٨]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ».

فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ (٢) فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا (٣) مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ،

= والاستلام افتعال، من السلام، بمعنى التحية.

(فرمل ثلاثًا): قال العلماء: الرمل هو إسراع المشي مع تقارب الخطا، وهو الخبب.

(١) (ثم نفذ إلى مقام إبراهيم) أي: بلغه ماضيًا في زحام.

(٢) (حتى إذا انصبت قدماه): أي: انحدرت، فهو مجاز من انصباب الماء.

(٣) (حتى إذا صعدتا): أي: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً».

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ»، مَرَّتَيْنِ «لَا، بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ»، وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ[(١)] النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها مِمَّنْ حَلَّ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَاكْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا.

فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ: فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ، فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرِّشًا[(٢)] عَلَى فَاطِمَةَ.

لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَ: «صَدَقَتْ صَدَقَتْ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ»، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً.

قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا. إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، وَالْعِشَاءَ، وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ[(٣)] فَسَارَ

---

(١) (ببُدْن): هو جمع بَدَنة، وأصله الضم، كخشُب في جمع خشبة.

(٢) (محرشًا): التحريش: الإغراء، والمراد هنا أن يذكر له ما يقتضي عتابها.

(٣) (بنمرة): بفتح النون، وكسر الميم، هذا أصلها، ويجوز فيها ما يجوز في نظيرها، وهو إسكان =

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ[(١)].

كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ[(٢)] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَرُحِلَتْ[(٣)] لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي[(٤)]، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا[(٥)]، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا، رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ[(٦)]،

= الميم مع فتح النون وكسرها، وهي موضع بجنب عرفات، وليست من عرفات.

(١) (ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام): معنى هذا: أن قريشًا كانت في الجاهلية، تقف بالمشعر الحرام كل المزدلفة، وكان سائر العرب يتجاوزون المزدلفة ويقفون بعرفات، فظنت قريش أن النبي ﷺ يقف في المشعر الحرام على عادتهم ولا يتجاوزه، فتجاوزه النبي ﷺ إلى عرفات؛ لأن الله تعالى أمره بذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٩٩]، أي: سائر العرب غير قريش، وإنما كانت قريش تقف بالمزدلفة لأنها من الحرم، وكانوا يقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه.

(٢) (فأجاز) أي: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، بل توجه إلى عرفات.

(٣) (فرحلت) أي: وضع عليها الرحل.

(٤) (بطن الوادي): هو وادي عُرَنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند الشافعيّ، والعلماء كافة، إلا مالكًا فقال: هي من عرفات.

(٥) (كحرمة يومكم هذا): معناه: متأكدة التحريم، شديدته.

(٦) (بكلمة الله): قيل: معناه قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقيل: المراد كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ إذا لا تحل مسلمة لغير =

وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ[(١)]، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[(٢)]، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ أَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ[(٣)]، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[(٤)].

وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ

= مسلم، وقيل: قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، وهذا الثالث هو الصحيح.

(١) (ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه): قال الإمام النووي: المختار أن معناه: أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلًا أجنبيًّا أو امرأةً، أو أحدًا من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء أنها لا يحل لها أن تأذن لرجل ولا امرأة، لا محرم ولا غيره، في دخول منزل الزوج إلا من علمت أو ظنَّت أن الزوج لا يكرهه.

(٢) (فاضربوهن ضربًا غير مبرح): الضرب المبرح: هو الضرب الشديد الشاق، ومعناه: اضربوهن ضربًا ليس بشديد، ولا شاق، والبرح: الشقة.

(٣) (الصخرات): هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات، فهذا هو الموقف المستحب.

(٤) (وجعل جبل المشاة بين يديه): رُوي حَبْل، ورُوي جَبَل، قال القاضي عياض رحمه الله: الأول أشبه بالحديث، وحبل المشاة أي: مجتمعهم.
وحبل الرمل: ما طال منه وضخم. وأما بالجيم، فمعناه طريقهم، وحيث تسلك الرجالة.

قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ [(١)]، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ [(٢)] الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ [(٣)]، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى [(٤)]: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ [(٥)]»، كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ [(٦)] أَرْخَى لَهَا [(٧)] قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ [(٨)] فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ، وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا [(٩)]، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ

(١) (حتى غاب القرص): قيل: صوابه: حين غاب القرص، هذا كلام القاضي، ويحتمل أن الكلام على ظاهره، ويكون قوله: حتى غاب القرص بيانًا لقوله: غربت الشمس وذهبت الصفرة، فإن هذه تطلق مجازًا على مغيب معظم القرص فأزال ذلك الاحتمال بقوله: حتى غاب القرص، والله أعلم.

(٢) (وقد شنق للقصواء): شنق: ضمَّ وضيَّق.

(٣) (مورك رحله): قال الجوهريّ: قال أبو عبيدة: المورك والموركة هو الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا ملّ الركوب، وضبطه القاضي بفتح الراء قال: وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة.

(٤) (ويقول بيده): أي: مشيرًا بها.

(٥) (السكينة السكينة) أي: الزموا السكينة، وهي الرفق والطمأنينة.

(٦) (كلما أتى حبلًا من الحبال): الحبال: جمع حبل، وهو التل اللطيف من الرمل الضخم، وفي النهاية: قيل: الحبال في الرمل كالجبال في غير الرمل.

(٧) (أرخى لها) أي: أرخى للقصواء الزمام وأرسله قليلًا.

(٨) (المزدلفة): معروفة سميت بذلك من التزلف والازدلاف، وهو التقرب؛ لأن الحجاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها، أي: مضوا إليها وتقربوا منها، وقيل: سميت بذلك لمجيء الناس إليها في زلف من الليل، أي: ساعات.

(٩) (ولم يسبح بينهما شيئًا) أي: لم يصل بينهما نافلة.

وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا[١]، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا[٢]، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ[٣]، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ. حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ[٤] فَحَرَّكَ قَلِيلًا، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى[٥] حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ[٦] رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى

(١) (حتى أسفر جدًّا): الضمير في أسفر يعود إلى الفجر المذكور أولًا.
وقوله: جدًّا، بكسر الجيم، أي: إسفارًا بليغًا.

(٢) (وسيمًا) أي: حسنًا.

(٣) (مرت به ظعن يجرين): الظُّعُن، بضم الظاء، والعين، ويجوز إسكان العين، جمع ظعينة، كسفينة وسفن، وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة، ثم تسمى به المرأة مجازًا لملابستها البعير.

(٤) (حتى أتى بطن محسّر) سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي: أعيا وكلَّ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

(٥) (الجمرة الكبرى): هي جمرة العقبة، وهي التي عند الشجرة.

(٦) (حصى الخذف): أي: حصى صغار بحيث يمكن أن يُرمى بأصبعين، والخذف، في الأصل، مصدر سمي به، يقال: خذفت الحصاة ونحوها خذفًا من باب ضرب، أي: رميتها بطرفي الإبهام والسبابة، قال النوويّ: وأما قوله: فرماها بسبع حصيات مثل حصى الخذف، قال: وكذلك رواه غير مسلم، وكذا رواه بعض رواة مسلم، هذا كلام القاضي.
قلت: والذي في النسخ من غير لفظة: «مثل» هو الصواب، بل لا يتجه غيره ولا يتم الكلام إلا كذلك، ويكون قوله: حصى الخذف متعلقًا بقوله: حصيات، أي: رماها بسبع حصيات حصى الخذف، يكبر مع كل حصاة، فحصى الخذف متصل بحصيات واعترض بينهما يكبر مع =

الْمَنْحرِ فَنَحرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطى عَلِيًّا فَنَحرَ مَا غَبَرَ[(١)]، وَأَشْرَكَه فِي هَدْيِهِ.

ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ[(٢)]، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ فَقَالَ: «انْزِعُوا[(٣)] بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ[(٤)] عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ» فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ.

أما عن مواقيت الحج فهي مواقيت العمرة سواء بسواء[(٥)]

قد وقَّت رسول الله ﷺ للحج مواقيتَ.

فكما أن الصلاة لها ميقات، فالحجُّ له ميقات.

= كل حصاة، وهذا هو الصواب.

(١) (ما غبر) أي: ما بقي.

(٢) (فأفاض إلى البيت): فيه محذوف تقديره: فأفاض فطاف بالبيت طواف الإفاضة ثم صلى الظهر، فحذف ذكر الطواف لدلالة الكلام عليه.

(٣) (انزعوا): معناه: استقوا الدلاء، وانزعوها بالرشاء.

(٤) (لولا أن يغلبكم الناس) أي: لولا خوفي أن يعتقد الناس ذلك من مناسك الحج، ويزدحمون عليه، بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن الاستقاء لاستقيت معكم؛ لكثرة فضيلة هذا الاستقاء، (هذه التعليقات من حاشية مسلم - ترتيب محمد فؤاد - وكثير منها مأخوذ من النووي رحمه الله تعالى).

(٥) وقد قدمنا ما يتعلق بالعمرة باستفاضة.

فهذه المواقيت هي:

ذو الحليفة[١]: لأهل المدينة.

وقرن المنازل[٢]: لأهل نجد.

ولأهل الشام: الجحفة[٣].

ولأهل اليمن: يلملم[٤].

فهذه المواطن لا يجوز لمريد الحج أو العمرة أن يتجاوزها بلا إهلال، وكذا لا يتقدمها بالإهلال.

صحيح أنه يجوز له أن يرتدي الملابس قبلها، ولكن لا يهلُّ (قائلًا: لبيك اللَّهم لبيك...) إلا عندها.

فإن تجاوزها بلا إهلال لزمه - عند الجمهور - أن يُقَدِّم دمًا[٥].

---

(١) وهي المسماة الآن بأبيار علي، ولا أدري سبب هذه التسمية.
(٢) وهي في طريق السيل، ويحاذيها ميقات الهدي.
(٣) وهي قريبة جدًّا من بلدة رابغ.
(٤) وهو ميقات معروف لأهل اليمن.
(٥) ولم أقف على دليل مرفوع إلى النبي ﷺ في ذلك، ولكن ثَمَّ أمرٌ ألا وهو أن الذي يتخطى الميقات عامدًا بلا إحرام يأثم لمخالفته أمرَ النبي ﷺ بالإهلال من المواقيت، ثم كيف يرتفع هذا الإثم عنه، فالجمهور ذهبوا إلى أن هذا الإثم لا تكفيه كلمة «أستغفر الله» فقط، بل يُلزم معها بدم، فليست كلمة «أستغفر الله» بكافية ككفارة لكل الأعمال الخاطئة التي تُعمل، - إلا إذا شاء الله - فهناك - مثلًا - كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة قتل الخطأ.. إلى غير ذلك، ولا تكفيها فقط «أستغفر الله» ثم إن من أهل العلم من يلحظ في فتياه قدر الذنب، وعلى إثر ذلك يُقَدِّر الكفارة، وذلك لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ومن باب إتباع السيئة بالحسنة إذا ارتكبت السيئة، والله أعلم.

ما يفعل عند الميقات في الحج هو ما يفعل في العمرة

هذا، فعند الميقات يفعل مريد الحج ما يأتي:

- **الاغتسال**: وهذا الاغتسال عند الجمهور مستحب، وليس بواجب[١].

- **التطيب**: وذلك بعد الغسل، وقبل الإهلال[٢]، أي: قبل قوله: لبيك اللَّهم لبيك، وذلك لحديث[٣] أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت أطيِّب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يُحرم، ولحلِّه قبل أنْ يطوفَ بالبيت.

- إلا أنه وكما هو معلوم، يلزمنا أن نجمع بين حديث يعلى وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن أمثل ما جُمع به بين الحديثين: أن النهي في حديث يعلى يُحمل على طيب مخصوص ألا وهو الزعفران.

فالمحرم يلبس إزارًا ورداءً ونعلين لا يغطيان الكعبين، والمراد بالكعبين هنا: العظمتان الناتئتان اللتان هما منتهى الغسل عند الوضوء، وقد قال الله فيهما: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

فإذا لم يجد الشخص نعلين ووجد خفين فليقطع الخفين حتى يكونا أسفل

(١) وقد نقل ذلك عنهم: ابن عبد البر في «الاستذكار» (١١/ ١١).
(٢) والمراد بالإهلال: رفع الصوت بالتلبية، لكن المراد هنا قبل التلبية عمومًا، سواء رفع بها الصوت أم خفضه.
(٣) البخاري (١٥٣٩)، ومسلم (١١٨٩).

الكعبين.

• هذا وإذا قُدِّر ولم يجد الشخص إزارًا يأتزر به جاز له أن يلبس السراويل.

ففي الحديث[١] عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ سَرَاوِيلَ لِلْمُحْرِمِ**»[٢].

• **أما عن تلبيد الشعر**: أي: ضم الشَّعر بعضه إلى بعض بما يشبه الصمغ، فقد فعله النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ **يُهِلُّ مُلَبِّدًا**[٣].

وكما في حديث[٤] حَفْصَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا شَأْنُ النَّاسِ حَلُّوا بِعُمْرَةٍ وَلَمْ تَحْلِلْ أَنْتَ مِنْ عُمْرَتِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي لَبَّدْتُ رَأْسِي وَقَلَّدْتُ هَدْيِي، فَلَا أَحِلُّ حَتَّى أَنْحَرَ**».

ولكن فيما يبدو لي أن النبي ﷺ إنما فعل ذلك لعلةٍ، وهي عدم تساقط الشعر أو تسرُّب القمل إليه، أو تشعُّثِه، وذلك لطول الزمان من الميقات إلى

---

(١) البخاري (١٨٤٢)، ومسلم (١١٧٨).

(٢) فمثلًا: إذا كان الشخص في الطائرة ونسي ملابس الإحرام فله أن ينزع ثيابه عنه ويُبقي البنطلون إلى أن يتيسر له الحصول على إزار عند نزوله، والله أعلم.
هذا وقد اشترط بعض العلماء أن يفتق السراويل (أي: حتى لا تكون مخيطة محيطة بالجسم)، قياسًا على قطع الخفين إلى أسفل الكعبين، لكن لم أقف على دليل يُلزم بفتق السراويل، والأولى عدمه، لعدم ورود الفتق - فيما علمت - عن رسول الله ﷺ.

(٣) البخاري (١٥٤٠)، ومسلم في طرق حديث (١١٨٤).

(٤) البخاي (١٥٦٦)، ومسلم (١٢٢٩).

أنْ يرمي الجمرة مع ما كان يعتري ذلك من الغبار، فقد خرج النبي ﷺ في الخامس والعشرين من ذي القعدة، ووصل إلى مكة الرابع من ذي الحجة، ثم استمر على إحرامه إلى أنْ رمى الجمرة يوم العاشر من ذي الحجة، مع ما يعتريه في السفر من الغبار، فقد كان النبي ﷺ يحج على ناقته فلهذا كله كان يخشى على الحجيج من تسرب القمل إليهم.

وقد ورد أن كعب بن عجرة رضي الله عنه أُصيب بشيء من ذلك حتى إن القمل تساقط على وجهه من كثرته، فلذا كان يُلبِّد من يُلبِّد.

أما الآن فالزمن بين الإهلال والتحلل قصيرٌ، فلا يكاد يُحتاج إلى التلبيد، فعليه من احتاج إلى التلبيد فهو مسنون كما رأيتم، ومن لم يَحْتَجْ إلى التلبيد فلا شيء عليه، والله أعلم.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

• بعد:

فقد تقدمت بعض أعمال الحج، وهذه بعض التنبيهات.

فأقول وبالله التوفيق:

أما عن الركعتين اللتين يُصليهما المرء قبل إحرامه فلا أحفظ فيهما شيئًا خاصًّا عن رسول الله ﷺ.

فعلى كل حال إن صلى الشخص هاتين الركعتين كسنةٍ للوضوء فسنة الوضوء مستحبة، أما تخصيص ركعتين للإحرام، فكما سلف لا أحفظ فيهما شيئًا عن رسول الله ﷺ.

• **هذا ويسنُّ له أن يُهلَّ بالحج بعد ركوب دابته:**

وذلك لأن رسول الله ﷺ أهلَّ حين استوت به راحلته[(١)].

• **هذا ويستحب للحاج قبل الإهلال، إذا ركب دابته: أن يحمد الله ويسبِّح ويكبِّر:**

وذلك لما أخرجه البخاري[(٢)] من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه وفيه: صَلَّى رَسُولُ

---

(١) أخرج ذلك البخاري (١٥١٥).

(٢) البخاري (١٥٥١).

اللَّهِ ﷺ - وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ - الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ حَمِدَ اللَّهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ، ثُمَّ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهِمَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَ النَّاسَ فَحَلُّوا، حَتَّى كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ، قَالَ: وَنَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَدَنَاتٍ بِيَدِهِ قِيَامًا، وَذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ.

● **ويستحب له عند الإهلال أن يستقبل القبلة:**

وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم، وفيه: ثُمَّ رَكِبَ، فَإِذَا اسْتَوَتْ بِهِ اسْتَقْبَلَ الْقِبلة قَائِمًا، ثُمَّ يُلَبِّي حَتَّى يَبْلُغَ الْحَرَمَ[(١)].

● **ويستحب له أن يرفع صوته بالتلبية:**

وذلك لقول النبي ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ»[(٢)].

ولما ورد من أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يَصْرُخُونَ بالحَجِّ صُرَاخًا[(٣)].

● **أما عن صفة التلبية:**

فتلبية رسول الله ﷺ التي كان يداوم عليها: **«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»**[(٤)].

---

(١) تقدم قريبًا عند البخاري (١٥٥٣) معلقًا.

(٢) أخرجه أبو داود (١٨١٤) بسندٍ حسنٍ.

(٣) مسلم (١٢٤٧)، وانظر البخاري (١٥٤٨).

(٤) البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤)، وكان ابن عمر يزيد: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك وَسَعْدَيْك، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ لَبَّيْكَ، وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ».

أما الصحابة ﷺ فمنهم من كان يلزم تلبية رسول الله ﷺ، ومنهم من كان يلبي مع زيادات أُخر، كقول القائل: لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا[١].

وورد عن رسول الله ﷺ بسندٍ مختلفٍ في تحسينه: «لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ»[٢].

● **أما عن فضل التلبية:**

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا، وَهَاهُنَا»**[٣].

أما عن معنى (لبيك اللهم لبيك): فالمعنى: استجابة لك يا رب بعد استجابة.

ويهلُّ جميع من أراد الحج من الميقات بهذا الإهلال المذكور مع تحديد النسك الذي يريد ويختار، فإن كان سيعتمر فليقولن مع الإهلال المذكور عند الميقات: «لَبَّيْكَ عُمْرَةً»، وإن شاء زاد: «لا رِيَاءَ فِيها ولا سُمْعَةَ».

وإن شاء اشترط فقال: «اللَّهم مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي».

وفائدة هذا الاشتراط: أنه إذا مُنع من الحج أو العمرة لأي عُذْرٍ من الأعذار بعد أن أهلَّ جاز له التحلل ولا يلزم بدماء، أما إذا لم يكن

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٢٣): رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ولم يُسم شيخه في المرفوع.
(٢) أخرجه النسائي (٥/ ١٦١)، وابن ماجه (٢٩٢٠)، وقد أُعلَّ بالإرسال، وكأن الإرسال أصوب، والله أعلم.
(٣) الترمذي (٨٢٨).

اشترط، وحال بينه وبين إتمام حجه وعمرته حائل فلم يتمها لزمه أن يذبح قبل أن يتحلل، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦].

• وهل يلزم أن يرسل الهدي إلى الحرم ولا يتحلل حتى يصل إلى هنالك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة:١٩٦]، ولقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٣٣]، أم أنه يجوز له أن يذبح في المكان الذي أُحصر عنده، ثم يتحلل؛ لأن النبي ﷺ لما أُحصر بالحديبية نَحَرَ هُنالك عند الحديبية؟!.

ففي ذلك وجهان لأهل العلم، أرجحهما: الثاني.

وعلى كلٍّ؛ فهذا الاشتراط الذي قدمنا ذِكْرَه: «اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»، يستحب لمن خشي ألا يُتِمَّ حَجَّه أو عمرَتَه.

وقد ورد في هذا الصدد الحديث المتفق عليه[١] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا: «لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ» قَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا: «حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»، وَكَانَتْ تَحْتَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ.



(١) الترمذي (٨٢٨).

الأنساك الثلاثة
(الإفراد - القران - التمتع)

أما إذا كان يريد الحج، فيختار أحد الأنساك الآتية:

الإفراد: وهو أن يحج فقط بلا عمرة، فيقول: «لبيك اللَّهم لبيك.. لبيك حَجًّا».

القِرَان: وهو أن يحج ويعتمر بلا تحلل بينهما، فيقول: «لبيك اللَّهم لبيك.. لبيك عمرةً في حجَّةٍ».

ويستحب لمن يقرن أن يكون قد ساق الهدي معه.

التَّمَتُّع: وهو أن يعتمر عمرةً متمتعًا بها إلى الحج فيقول: «لَبَّيْكَ عمرةً»، وإن شاء زاد: «مُتَمَتِّعًا بها إلى الحجِّ».

وفي كل هذا يجوز له الاشتراط المذكور، وهو أن يقول: «اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»، أي: يارب سأتحلل في المكان الذي أُمنع فيه (لأي عارضٍ) من مواصلة الحج أو العمرة.

أما عن أيِّ هذه الأنساك الثلاثة أفضل: فبكلٍّ قد قال فريقٌ من أهل العلم.

- فالذين قالوا: إن الإفراد أفضل، قالوا: لأنه لا يحتاج الحج معه إلى دمٍ، وأشار بعضهم إلى أن الدم يكون لإتمام ما حدث من جراء التمتع من

استمتاع بالتحلل الذي بين الحج والعمرة.

- وقال آخرون: إن القران أفضل؛ لأن النبي ﷺ حجَّ قارنًا.
- وقال آخرون: إن التمتع أفضل؛ لأن النبي ﷺ أَمَرَ به وقال: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً».

والذي يبدو لي، والله أعلم، أن التمتع أفضلها.

ما يتقيه المُحرم

هذا فبعد أن يُحرم الشخص ويهل بالتلبية عليه أن يتقي أمورًا:

- فمن ذلك: لبس المخيط المُفَصَّل على قدر الجسم من الثياب، كالقميص ونحوه، وكذلك لا يغطي رأسه بشيء يباشرها كالعمامة ونحوها، ولا يلبس السراويلات (إلا مضطرًا إليها) ولا البرانس ولا الخفاف (وهي التي تغطي الكعبين - وهما العظمتان الناتئتان عن يمين الرِّجْل وشمالها) إلا إذا اضطر إليها فليقطعهما حتى تكون أسفل الكعبين.
- وكذلك لا يمس طيبًا بعد إحرامه[1].
- وعليه أن يعتزل النساء: فلا يخطب ولا ينكح ولا يجامع، فالجماع يفسد الحج، ولا يُباشر، ولا يتكلم في حضرتهن برفثٍ.
- وكذا كما هو واضح في الآية الكريمة: أن لا جدال في الحج - اللَّهم

---

(١) راجع أدلة ذلك في خطبة العمرة التي تقدمت هذه الخطبة.

إلا جدالًا بالتي هي أحسن لإيصال معلومةٍ، أو لإقرار حقٍّ، ونحو ذلك مما هو بالحسنى، والله أعلم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ، وَلاَ يُنْكَحُ، وَلاَ يَخْطِبُ»(١).

- ولا يحلق شعرًا، ولا يُقلِّم ظُفرًا.
- ولا يجوز للمحرم أن يصطاد، ولا أن يُعاوِنَ من يصطاد.

هذا؛ ويُستحب لمن ساق الهدي أن يُقلِّدَه، وأن يُشعِرَه:

كما ورد في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسول الله ﷺ.

أما في كتاب الله عز وجل: فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٢].

وقد قلَّد النبي ﷺ هديه، وأشعر البدن.

أما عن تقليد الهدي:

فهو أن تُجعل في رقبته قلادة حتى يُعرف أنه هدي(٢).

(١) مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرج البخاري (١٧٠٢)، ومسلم (٢/ ٩٥٩) في طرق الحديث (١٣٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كُنتُ أَفْتِلُ القَلائِدَ للنَّبِيِّ ﷺ فيُقَلِّدُ الغَنَمَ وَيُقِيمُ فِي أَهْلِهِ حَلاَلًا».
وقولها: يقيم في أهله حلالًا: أي بالمدينة في السنوات التي لم يحج فيها وكان يُرسل هديًا إلى مكة.
أما الإشعار ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الْأَيْمَنِ، وَسَلَتَ الدَّمَ وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ ...» الحديث.

وأما عن إشعاره:

فهو أنْ يطعن في ظهر الناقة أو في فخذها طعنًا خفيفًا فيسيل بعض الدم فيمسح بها المكان المحيط بالطعنة، فيُعلم بذلك أنها مهداة إلى البيت العتيق.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري(١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان قالا: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ النَّبِيُّ ﷺ الْهَدْيَ، وَأَشْعَرَ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ».

هذا الإشعار، وذاك التقليد - أي القلائد التي في عنق الهدي - مُستحبان، وليسا على الوجوب، والله تعالى أعلم.

أبواب في الطواف

ويتوضأ لطوافه:

وذلك لأن النبي ﷺ توضأ لطوافه؛ فقد أخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت في شأن رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ أَوَّلُ شَيءٍ بَدَأَ بِهِ حِينَ قَدِمَ: أَنَّهُ تَوضَّأَ، ثُمَّ طَافَ بِالبَيْتِ..» الحديث.

فأدنى الأحوال استحباب الوضوء.

ثم يدخل الحرام من أي باب شاء:

---

(١) البخاري (١٦٩٥).

(٢) البخاري (١٦٤١)، ومسلم (١٢٥٨).

ذاكرًا الله عز وجل بالأذكار الواردة عند دخول المسجد، كقول: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»(١).

وكالوارد أيضًا عن رسول الله ﷺ عند دخول المسجد أيضًا: «أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوجهِهِ الكَرِيمِ، وسُلْطَانِهِ القَدِيم، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(٢).

ويُشرع للطائف أن يضطبع:

والاضطباع هو تغطية الكتف الأيسر، وكشف الكتف الأيمن.

هذا؛ ويبتدئ الطائف طوافه باستلام الحجر الأسود وتقبيله إن استطاع، فإن لم يستطع أشار إليه وكبَّر.

أما عن تقبيل الحجر:

ففي «الصحيحين»(٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَبَّلَ الْحَجَرَ وَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ».

ولا ينبغي أن يُزاحم ويؤذي الناس كي يُقبِّل الحجر؛ فإن أذى المسلمين لا يجوز، والله يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].



(١) مسلم (٧١٣).
(٢) إسناده حسن: وقد أخرجه أبو داود (٤٦٦) بسند حسن.
(٣) البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).

الرَّمَل في الطواف

ثم يبدأ الطائف في طوافه - الذي هو طواف القدوم - بطريقة الرمل - إن استطاع -.

والرَّمَلُ: هو المشي السريع المتتابع، وذلك في طواف القدوم فقط[١]، وفي الثلاثة الأشواط الأولى فقط، ويكون مضطبعًا كما بينا.

والاضطباع: أن يكشف الكتف الأيمن، ويغطي الكتف الأيسر.

وليس على النساء رملٌ.

هذا؛ ويُستحب للطائف أن يدعو عند الملتزم - وهي المسافة بين الركن الذي به الحجر الأسود، وباب الكعبة -.

أما ما ورد من لصق الخدود والصدور بالملتزم؛ فذاك ضعيف الإسناد.

هذا؛ وأما عن الأذكار في الطواف:

فلم يصح ذكرٌ بعينه في أثناء الطواف، اللَّهم إلا أن من العلماء من يُحسن حديثًا، وفيه أيضًا - فيما أرى - ضعفٌ، وهو قول: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بين الركن اليماني والحجر الأسود.

---

(١) ومما يدل على أن الرمل في طواف القدوم فقط: ما أخرجه أبو داود (حديث ٢٠٠١) بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرْمُلْ فِي السَّبْعِ الذِي أَفَاضَ فِيه».

أما ما سوى ذلك فلم يصح أي دعاء عن رسول الله ﷺ في أثناء الأشواط؛ وعليه فالكتب التي تباع حول الحرم فيها: ذِكر الشوط الأول، وذِكر الشوط الثاني... إلى غير ذلك؛ كل ذلك لا يصح عن النبي ﷺ.

أما عن الركن اليماني:

فيُستحب استلامه أيضًا عند كل مرور عليه، ولكن إذا لم يستطع الطائف استلامه لم يُشر إليه، فالإشارة إلى الركن اليماني لم ترد عن رسول الله ﷺ.

ويجوز للطائف أن يتكلم:

فلا مانع للطائف من الكلام، ولكن إذا تكلَّم يتلكم بخير، ولا يُشوش على داعٍ وسائلٍ وتالٍ، والله أعلم.

ولا يُمنع الطائف من الطواف في أي وقت شاء:

وذلك لقول النبي ﷺ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! لَا تَمْنَعَنَّ أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ وصَلّي أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**»[(١)].

فإذا انتهى الطائف من طوافه اتجه إلى مقام إبراهيم[(٢)]:

تاليًا قول الله تبارك وتعالى ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فيُصلي خلف المقام ركعتين[(٣)] يقرأ في الأولى - بعد الفاتحة - سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية - بعد الفاتحة - سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) النسائي (٥/ ٢٢٣)، وأبو داود (١٨٩٤).
(٢) وهل يُشير إلى الحجر أم لا في الشوط الأخير، ففي ذلك وجهان للعلماء، والأمر في ذلك واسع، والله أعلم.
(٣) مسلم (حديث ١٢١٨).

أَحَدٌ﴾.

فإذا لم يستطع الصلاة خلف المقام مباشرة - ويجعل المقام بينه وبين الكعبة - صلى في أي مكان خلف المقام، وإلا ففي أي مكان في المسجد.

ويُستحب للمرء[1] بعد صلاة الركعتين خلف المقام أن يتجه إلى زمزم[2] فيشرب منها ويصب على رأسه، ثم يرجع فيستلم الحجر ثانيةً، ثم يتجه إلى الصفا.

أما عن الصفا والمروة فيفعل عندهما مثل ما يفعل المعتمر[3]:

يتجه المُحرِمُ إلى الصفا تاليًا - إذا دنا منها - قول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة: ١٥٨].

ثم يقول: أبدأ بما بدأ الله به - أي أبدأ عملي في السعي بالوقوف على الصفا -.

ثم إذا صعد الصفا - ولا يلزم أن يكون على الأحجار التي هنالك في أعلاها، إنما يكفي الصعود - شُرع له إذا صعد أن يتجه إلى القبلة ويذكر الله بهذا الذِّكر الذي سنورده قريبًا جدًّا إن شاء الله، ويرفع يديه ويدعو بما

انظر «صحيح مسلم» (١٢١٨)، وأحمد (٣/ ٣٩٤).

وقد ورد في فضل ماء زمزم قول رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ». مسلم (٢٤٧٣).

وقد تقدمت الخطبة في ذلك.

شاء، ويُكثر جدًّا الذكر إن استطاع؛ فقد جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار؛ لإقامة ذكر الله عز وجل، ويُكرر هذا الذِّكر والدعاء ثلاثًا.

أما عن هذا الذِّكر المستحب فعله على الصفا:

فهو ما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في بيان حجة النبي ﷺ ففيه: «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا».

أما عن السعي بين الصفا والمروة:

فإن الساعي يسعى داعيًا الله بما شاء من دعاءٍ، ذاكرًا الله أو تاليًا ما شاء من ذِكرٍ أو تلاوة، ما دام الشرع يُقرها.

أما عن تخصيص كل شوط بدعاء معين:

فهذا غير وارد لا مأثور عن النبي ﷺ.

هذا؛ ويُسرع الساعي[1] في مسيره، بل ويجري جريًا خفيفًا بين

---

(1) لكن النساء ليس عليهن إسراع في الوادي.

العلامتين الخضراوين المشار بهما إلى الوادي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ في هذا المكان.

ويجوز للساعي بين الصفا والمروة أن يسعى راكبًا:

وقد تقدم ذلك في أبواب الطواف.

وأما النساء فليس عليهن هذا الشد:

فإذا انتهى من أشواطه السبعة، وسيكون حينئذ على المروة فحينئذ يكون قد قضى عمرته، وله حينئذ أحوال:

- إما أن يكون معتمرًا فقط، وليس هنالك حجٌّ؛ فحينئذ تكون عمرته قد انقضت تمامًا، فليتحلل بحلق شعر رأسه، وإن قصَّره فقط جاز له؛ لكن الحلق في حقه أفضل، أما النساء فتأخذ من الشعر قدر أنملة (عقلة إصبع).

- وإما أن يكون معتمرًا عمرةً متمتعًا بها إلى الحج، وهذه العمرة - يلزم أن تكون بدايتها في أشهر الحج التي هي شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجة - فأيضًا سيكون قد أنهى عمرته تمامًا، ولكن يستحب في حقه التقصير؛ لأنه سيحلق يوم النحر.

وهذا المتمتع الذي قد تحلل بعد عمرته يحل له كل شيء كلبس الثياب، وجماع النساء، وتقليم الأظافر، وفعل كل شيء يفعله الحلال، وذلك حتى يُهل بالحج ثانيةً فيما بعد، إما يوم التروية، وإما يوم عرفة.

- وإما أن يكون قارنًا - أي قد قال عند إهلاله: لبيك عمرة في حجة -

ويكونْ قد ساق الهدي: فهذا لا يتحلل بل يبقى على إحرامه على ما سيأتي بيانه.

وهذا القارن كان له أنْ يؤخِّر السعي بين الصفا والمروة مع طواف الحج - الذي هو طواف الإفاضة - وله أن يقدمه كالذي أشرنا إليه.

أن عليه سعيًا واحدًا بين الصفا والمروة، إنْ سعاه مع طواف القدوم أجزأ عنه ولم يسع ثانية، وإن لم يسع مع طواف القدوم سعى مع طواف الإفاضة.

أما عن الحال الأخيرة للحاج:

فهي أن يكون مفردًا بالحج - أي نوع الحج فقط، وأهلَّ به - دونْ عمرة، فهذا يبقى على إحرامه أيضًا إلى يوم النحر على ما سيأتي بيانه إنْ شاء الله.

وليس عليه سعيٌ للحج فيما بعد ما دام قد سعى لعمرته التي قدمنا ذكرها، أما إذا لم يكن سعى السعي الذي قدمناه؛ فيُلزم بسعي مع طواف الإفاضة على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وهذا الطواف الذي فعله فيما سبق يُعدُّ سُنة في حقه بمعنى أنه - أي المفرد - إذا أهلَّ من الميقات وجاء مباشرةً إلى منى أو عرفات فليس عليه شيء إلا أن أجره ينقص عن الذي طاف طواف القدوم بلا شك.

فهذا بالنسبة للأنساك المذكورة - أعني صور الحج التي اختار الحاج

إحداها -، وقد قدمنا أيها أفضل مع تعليل ذلك.

وإلى خطبة أخرى لبيان سائر أعمال الحج إن شاء الله تعالى.

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يكتب لنا ولكم حج بيته الحرام.

اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم.

وأقم الصلاة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحج وأعماله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فقد تقدمت خطبة في الحج.

وهذه الخطبة الثانية فيه، نسوقها بيانًا وتبيانًا - إن شاء الله - لتتمة أعمال الحج.

فأقول - وبالله التوفيق: قد سبق بيان أنساك الحج الثلاثة:

الإفْراد: وهو أنْ ينوي عند الإحرام الحج فقط، فيقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك حجًّا.

والقران: أن يقول مثل ما سبق، لكن يزيد العمرة فيقول: لبيك حجة في عمرة.

والتمتع: هو أن يقول: لبيك عمرة، وإن شاء زاد لفظة متمتعًا بها إلى الحج.

ولكل واحد من هؤلاء أن يشترط كما قدمنا.

فيقول: اللهم محلي حيث حبستني، وقد قدمنا معنى ذلك.

أما عن النُّسك الذي صنعه النبي ﷺ فلقد كان ﷺ قارنًا.

فلقد بقي النبي ﷺ على إحرامه لكونه قد ساق الهدي معه، ولقد أمر أصحابه الذين لم يسوقوا الهدي أن يجعلوها عمرة، ولكن فيما يبدو لي أن هذا الأمر لم يكن أمر إلزام شديد، ولا إيجاب أكيد، إنما هو دائر بين الإباحة والاستحباب.

والذي حملني على ذلك قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ولم يعزم عليهم، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من طريق عطاء عن جابر وفيه: أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ

---

(١) البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢٤٠).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمْرَةٌ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صُبْحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ وَقَالَ: «أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ».

قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعْزِمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَحَلَّهُنَّ لَهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّا نَقُولُ: لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسٌ أَمَرَنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِيرُنَا الْمَذْيَ قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَحَرَّكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ وَلَوْلَا هَدْيِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحِلُّوا فَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ»**. فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

فالحاصل: أن الأفضل في حق مَن لم يَسُقِ الهَدْيَ: أن يتمتع (أي: يحج مُتمتعًا)، ومن ساقه فالأفضل في حقه القِران، وإن حجَّ شخصٌ مُفردًا فحجه صحيح، وليس بآثم، وقد حج عدد كبير من الصحابة مُفردين (أي: بلا عمرة).

وهذا رأي الجمهور، أعني: جواز الإفراد، والقِرَان، والتمتع، والله تعالى أعلم.

هذا، وحاصل الأمر فيما ذُكر:

أن من طاف وسعى، وبقي على إحرامه كقارنٍ أو مفردٍ فله ذلك، ومن طاف وسعى وتحلَّل كمتمتع فله ذلك.

ماذا يصنع يوم التروية؟

يبقى المحرم على إحرامه، ومن تمتع فيبقى حلالًا إلى أن يأتي يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، فإذا جاء اليوم الثامن من ذي الحجة عاد المتمتع إلى الإهلال بالحج، فيهل بالحج من مكانه الذي هو فيه[(١)] قائلًا: «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك. لبيك حجًّا»، وإن شاء قال: «لبيك حجة لا رياء فيها ولا سُمعة».

ثم يتجه الجميع (المفرد، والقارن، والمتمتع) وهم محرمون إلى منى يلبون ويكثرون من التلبية، ويرفعون أصواتهم بها إذ هي من شعار الحج كما بينًا.

ويشرع للحاج أن يُصلي بمنى الظهر في وقته ركعتين (أعني: قصرًا)، والعصر في وقته ركعتين[(٢)] (قصرًا)[(٣)]، والمغرب في وقته (ثلاث ركعات)، والعشاء في وقتها ركعتين (قصرًا) ثم يبيت.

ماذا يصنع يوم التاسع (يوم عرفة)؟

ويُصبح فيصلي الصبح ركعتين، ويمكث بعد صلاة الصبح - يوم التاسع

(١) وذلك لما أخرجه مسلم (١٢١٤) من حديث جابر رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَحْلَلْنَا أَنْ نُحْرِمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلَى مِنًى قَالَ فَأَهْلَلْنَا مِنَ الأَبْطَحِ». وقد كانوا نازلين فيه.

(٢) سُئل أنس: أَيْنَ صَلَّى رسول الله ﷺ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ؟ قَالَ: بِمِنًى. (البخاري (١٦٥٣)، ومسلم (١٣٠٩).

(٣) أخرج البخاري (٢٦٢)، ومسلم (٦٩٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صلى =

من ذي الحجة - قليلًا حتى تطلع الشمس، كما فعل رسول الله ﷺ[١]، فقد مكث النبي ﷺ قليلًا حتى طلعت الشمس.

ثم يتجه الحاج إلى عرفات، وإن تمكَّن أنْ ينزل بنَمِرَةَ وهي على حدود عرفات (قُبيل عرفات) وفيها المسجد المسمى بمسجد نَمِرَةَ، ونصفه المُقدم في نمرة (خارج عرفات)، ونصفه المؤخَّر تقريبًا في عرفات، فإذا تمكن الحاج أن يبقى بنمرة إلى أن تزول الشمس - أي قُبل الظهر بما يقارب نصف ساعة - استحب له ذلك؛ وذلك لأن النبي ﷺ لما توجه إلى عرفة[٢] وجد القبة قد ضُربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء - ناقته - فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس...

ثم أَذَّن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصلِّ بينهما شيئًا[٣]، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات.

فالحاصل: أن الشخص إذا أمكنه أن ينزل بنمرة إلى أن تزول الشمس - وذلك قبيل الظهر بنصف ساعة تقريبًا - نزل بنمرة ثم يتجه إلى عرفات بعد زوال الشمس. وإذا لم يمكنه النزول بنمرة، ونزل مباشرة من منى إلى عرفات فلا جناح عليه.

= رسول الله ﷺ بمنى ركعتين...».

(١) انظر حديث جابر الطويل.

(٢) حديث جابر الطويل.

(٣) أي: ليست هناك نافلة بين الظهر والعصر.

وفي طريقه من منى إلى عرفات يُكبر إن شاء، ويُلبي إن شاء، ويُهلل إن شاء[(١)].

وليتق الشخص النزول بعُرنة (بالنون): وهي موضع بين عرفة (بالفاء) ومزدلفة، وذلك لقول ابن عباس رضي الله عنهما: كان يقال: ارتفعوا عن مُحَسِّرٍ، وارتفعوا عن عُرَنَاتٍ». ومعنى قوله: ارتفعوا: أي لا تنزلوا.

ففي هذا نهي للحجيج عن الإقامة في عُرنة، أو الإقامة في وادي مُحسِّر؛ إنما إذا مروا بهما يمرون مرورًا سريعًا، والله أعلم.

ثم إنه يُصلي في عرفات في وقت الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، وإن كان هناك من يخطب قبل الصلاة[(٢)]، وإن كان الحاج في خيمته وليس هناك من يخطب له في خيمته فحضور الخطبة ليس بواجب.

ولكن يُستحب له كما أسلفنا أن يجمع بين الظهر والعصر ويُصلي كلًّا منهما ركعتين اقتداءً بالنبي ﷺ، وذلك حتى يتفرغ للعبادة بعرفات.

---

(١) وذلك لحديث أنس رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (١٦٥٩)، ومسلم (١٢٨٥)، وقد سُئل وهو في طريقه من منى إلى عرفة: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: كَانَ يُهِلُّ مِنَّا الْمُهِلُّ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيُكَبِّرُ مِنَّا الْمُكَبِّرُ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ.

(٢) وليُعلم أنه يُسنُّ تقصير الخطبة، والسنة أيضًا تعجيل الصلاة، وذلك حين نزول الشمس؛ ويُسنُّ أيضًا التعجيل بالوقوف، أي: أنه ينبغي ويُسنُّ ويُستحب للإمام ولغيره أن يصلي الظهر والعصر جمعًا وقصرًا في أول وقت الظهر، وذلك بعد خطبة قصيرة، ثم يتوجه للدعاء والذكر.

ففي الأثر عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأقره أبوه عبد الله بن عمر على ذلك كما في البخاري (١٦٦٠) أنه قال للحَجَّاج: «إن كنت تريد السنة فاقصر الخُطبة وعجِّل الوقوف».

ويبقى في عرفات إلى أن تغرب الشمس وتذهب الصفرة قليلًا.

أما عن أعماله في عرفات بعد صلاتي الظهر والعصر اللتين قد صلاهما جمعًا وقصرًا:

فإنه يقف في أي مكان من عرفات، ولا يُلزم بالوقوف عند الصخرات التي وقف عندها النبي ﷺ، ولا يُلزم بصعود جبل الرحمة هنالك؛ وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**»، فلا يتوهم أن صعود الجبل أو الوقوف عند الصخرات واجب من الواجبات، بل الوقوف في أي مكانٍ من عرفات مجزئ ولله الحمد، لما تقدم من الحديث.

وليُعلم أن الوقوف بعرفات أعظم ركن من أركان الحج على الإطلاق؛ لقول النبي ﷺ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»، فإذا لم يقف الحاج بعرفات؛ فلا حجَّ له.

وليُكثر في هذا اليوم من التهليل والتكبير والتلبية؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**غَدَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مِنًى إِلَى عَرَفَاتٍ مِنَّا الْمُلَبِّي وَمِنَّا الْمُكَبِّرُ**». أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)].

وتقدم حديث أنس في «الصحيحين»: «**كَانَ يُهِلُّ مِنَّا الْمُهِلُّ**[(٢)] **فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ وَيُكَبِّرُ مِنَّا الْمُكَبِّرُ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ**».

وليُكثر من قول: لا إله إلا الله، فمن أعظم ما يُقال في هذا اليوم: لا إله إلا الله، بل هي أعظم قولٍ على الإطلاق.

---

(١) مسلم (١٢٨٤).

(٢) والإهلال: رفع الصوت بالتلبية.

وليُكثر كذلك من الدعاء، وليجتهد فيه ملتزمًا بآدابه[(١)].

ويُستحب لمن وقف بعرفات أن يُفطر ولا يصومه:

وذلك اقتداء بالنبي ﷺ ففي «الصحيحين» من حديث ميمونة رضي الله عنها «أَنَّ النَّاسَ شَكُّوا فِي صِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِحِلَابٍ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي الْمَوْقِفِ فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»[(٢)].

وفيهما من حديث أُمِّ الفضل[(٣)] أيضًا: «شَكَّ النَّاسُ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ».

وأيضًا ففي الفِطر عونٌ على كثرة الذكر وكثرة الدعاء، وهذا اليوم العظيم محلٌّ لهما.

فعلى ذلك، فالحث الوارد على صوم يوم عرفة لغير الحجيج، والحاج إن شاء الله مأجور أيضًا إذا أفطر، وذلك لاتباعه لسنة رسول الله ﷺ.

وقد سُئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة بعرفة فقال: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُمَرَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُثْمَانَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَأَنَا لَا أَصُومُهُ وَلَا آمُرُ بِهِ وَلَا أَنْهَى عَنْهُ»[(٤)].

أما عن فضل يوم عرفة وفضل الحجيج الواقفين فيه:

فقد صح فيه من الأحاديث ما يلي:

---

(١) وسنورد في اخر الكتاب - إن شاء الله - طائفة من الأدعية من الكتاب والسنة.
(٢) البخاري (١٩٨٩)، ومسلم (١١٢٤).
(٣) البخاري (١٦٥٨)، ومسلم (١١٢٣).
(٤) الترمذي (٧٥١).

ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**».

وعند أحمد[(٢)] - بإسناد صحيح لشواهده - عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيُبَاهِي الْمَلَائِكَةَ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ يَقُولُ انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا**».

وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من طريق طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾. قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

هذا، وكما سلف يستمر الحاج واقفًا في عرفة داعيًا سائلًا راجيًا خاشعًا مستغفرًا مُهللًا مُكبِّرًا مُكثرًا من قول: لا إله إلا الله، ومُكثرًا من ذكر الله عمومًا، ويُستحب له أن يتأدَّب عند الدعاء بآداب الدعاء الواردة في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ.

وعليه أن يَغُضَّ البصر، ويتقي الجدل، ويحفظ السمع واللسان، بل ويجتهد في حفظ الفؤاد، وإن عاون حاجًّا وأرشد ضالًّا، وباع شيئًا أو

(١) مسلم (١٣٤٨).
(٢) أحمد (٢/ ٣٠٥).
(٣) البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧).

اشتراه بلا جدل ولا رفثٍ ولا فسوق، فجائز له ما يصنع، وكذلك إذا رأى منكرًا فغيّره بلا مفسدة جاز له ذلك.

ويستمر الحاج في وقوفه بعرفات حتى تغرب الشمس[١]، وتذهب الصفرة قليلًا، ويؤخر المغرب كي يصليها مع العشاء في مزدلفة.

ثم يتجه من عرفات إلى مزدلفة راكبًا - وقد ركب رسول الله ﷺ - أو ماشيًا؛ فقد مشى قوم كثيرون في زمن رسول الله ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

وعليه أن يدفع من عرفة إلى مزدلفة بسكينة ووقار فقد كان النبي ﷺ يحث الناس على السكينة - كما تقدم في حديث جابر رضي الله عنه -.

وأيضًا فقد قال النبي ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ!! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»**[٢].

---

(١) أما عن القدر المجزئ الذي إذا وقفه الشخص بعرفات أجزأ عنه، وأصبح حاجًّا - مع سائر الأركان - فيوضحه حديث عروة بن مُضَرِّس الطائي رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود (١٩٥٠) وفيه: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَوْقِفِ - يَعْنِي بِجَمْعٍ - قُلْتُ: جِئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ مَطِيَّتِي وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي، وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَأَتَى عَرَفَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا؛ فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»**.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة، فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا، وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: **«أَيُّهَا النَّاسُ!! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»**.

أي: ليس البر في إسراع المسير، ذلكم التزاحم المفضي إلى الإضرار بالنفس وبالآخرين.

وإذا وجد الحاج أمامه فرصة للإسراع بلا إضرار أسرع؛ وذلك لأن النبي ﷺ كانْ كلما أتى حبلًا من الحبال أرخى لناقته قليلًا، كما تقدم في حديث مسلم، وكذلك فقد كان النبي ﷺ يَسِيرُ العَنَقَ، فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ[1].

أي: أنه كان يسير سيرًا متوسطًا بين الإبطاء والإسراع، فإذا وجد مكانًا متسعًا فارغًا أسرع فيه.

ثم إذا وصل إلى مزدلفة صلى بها المغرب والعشاء جمعًا بأذانٍ واحدٍ وإقامتين[2]، ولا سنة بينهما ولا قبلهما ولا بعدهما.

فقد أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا وَلَا عَلَى إِثْرِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا».

وكما هو معلوم: فإنه يُصلي المغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين بمزدلفة[4].

---

(١) البخاري (١٦٦٦)، ومسلم (١٢٨٦).
(٢) كما تقدم في حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) البخاري (١٦٧٣)، ومسلم (١٢٨٨).
(٤) كما في «صحيح مسلم» (١٢٨٨)، ففيه: «وَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثَلَاثَ رَكْعَاتٍ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ».

ولم أقف على خبر يفيد أن النبي ﷺ أوتر تلك الليلة، ومن ثَمَّ قال بعض أهل العلم: هذه الليلة الوحيدة التي لم يرد أن النبي ﷺ أوتر فيها.

فإن ترك شخص الوتر لعدم ورود النص به في تلك الليلة فله ذلك، وإن أوتر شخص للعمومات الواردة في فضل الوتر والحث عليه فله ذلك، والله أعلم.

هذا؛ وإن وقف في أيِّ مكانٍ في مزدلفة، جاز له ذلك، وأجزأ عنه (ومزدلفة يطلق عليها مزدلفة، ويطلق عليها جَمْعٌ، ويطلق عليها المَشْعَر الحرام).

ولقد قال النبي ﷺ لما وقف في مزدلفة - التي هي جَمْعٌ -: «وَقَفْتُ هَاهُنَا، وجَمْعُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»(١)، ولقد قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ويُستحب للحجيج أن يُعجِّلوا بالنوم بعد الصلاة.

هذا؛ وليحرص الحاج على المبيت بمزدلفة، فهوا واجبٌ من الواجبات(٢)، وليتنبه إلى حملات الحجيج وشركات السياحة التي لا يتقي كثيرون من القائمين عليها ربهم في أعمال الحج، فلا يقفون بمزدلفة إلا لالتقاط الجمرات والصلاة، ولا يبيتون، وإن فعلوا هذا فإن فعلهم لا

(١) تقدم، وهو في بعض طرق حديث جابر عند مسلم.
(٢) إلا ما سيأتي فيه الاستثناء.

يجوز، إنما المسنون والمشروع المبيت وصلاة الفجر بمزدلفة.

وليتأكد الحاج أنه يبيت في مزدلفة، فكثيرون من الحجيج يبيتون خارج مزدلفة وهم لا يشعرون.

هذا؛ ويستثنى الضعفة والنساء والصبية الصغار من المبيت بمزدلفة، فلهم أن يمضوا شطرًا من الليل بمزدلفة يصلون بها إلى المغرب والعشاء، ثم ينصرفون منها مُتجهين إلى مِنًى قبل صلاة الفجر، ويرمون الجمرة إذا قدموا مِنَى.

وهذه بعض الأحاديث بذلك:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «أَنَّهَا نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ عِنْدَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَقَامَتْ تُصَلِّي فَصَلَّتْ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلْتُ: لَا. فَصَلَّتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ غَابَ الْقَمَرُ؟ قُلت: نَعَمْ. قَالَتْ: فَارْتَحِلُوا، فَارْتَحَلْنَا وَمَضَيْنَا حَتَّى رَمَتْ الْجَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَتْ فَصَلَّتْ الصُّبْحَ فِي مَنْزِلِهَا فَقُلْتُ لَهَا: يَا هَنْتَاهُ مَا أُرَانَا إِلَّا قَدْ غَلَّسْنَا. قَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لِلظُّعُنِ».

وأخرج البخاري ومسلم[2] أيضًا من طريق سالم قال: «وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِلَيْلٍ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ مَا بَدَا لَهُمْ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الْإِمَامُ وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدِمُوا

---

(١) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

(٢) البخاري (١٦٧٦)، ومسلم (١٢٩٥).

رَمَوْا الْجَمْرَةَ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ أَرْخَصَ فِي أُولَئِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَا مِمَّنْ قَدَّمَ النبيُّ ﷺ لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَةِ فِي ضَعَفَةِ أَهْلِهِ».

وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ، فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَطِيئَةً فَأَذِنَ لَهَا، فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ، وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ، ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ فَلأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ».

وعند مسلم(٣) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بِهَا مِنْ جَمْعٍ بِلَيْلٍ».

هذا؛ ومتى يدفع الضعفة من مزدلفة إلى منى؟

ورد في حديث أسماء السابق أنها سألت: هل غاب القمر؟ فقال لها مولاها؟ نعم. قالت: فارتحلوا.

وتقدم من حديث أم حبيبة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ بِهَا مِنْ جَمْعٍ بِلَيْلٍ»، ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وانظر حديث ابن عمر السابق أيضًا.

---

(١) البخاري (١٦٧٨)، ومسلم (١٢٩٣).
(٢) البخاري (١٦٨١)، ومسلم (١٢٩٠).
(٣) مسلم (١٢٩٢).

فالظاهر - والله أعلم -: أن الترخيص بعد مُضي وقت من الليل، أما أسماء فكانت تنتظر حتى يغيب القمر، فإن فعل شخص فعلها وانتظر حتى يغيب القمر، فهذا أفضل، وإنْ اختار شخص رأيًا آخر وهو مُضي قَدْرٍ من الليل، فله ذلك أيضًا».

أما متى يرمي هؤلاء - الذين قد تقدموا - جمرة العقبة؟

فالظاهر - والله أعلم - أن له أن يرميها بمجرد وصوله، فلما وصلت أسماء رمت الجمرة ثم رجعت فصلَّت الصبح في منزلها(١).

وفي رواية لابن خزيمة: أنه قيل لها: «لقد رمينا الجمرة بليل، قالت: كُنا نصنع هذا مع رسول الله ﷺ».

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم: «فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوُا الْجَمْرَةَ».

أما ما ورد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - ويُصحَّح بمجموع طرقه - من أن النبي ﷺ قَدَّمه مع الضَّعَفَةِ مِنْ أَهْلِهِ وأمرهُمْ أَلَّا يرْمُوا الجَمْرَةَ إلا مُصْبحين. وفي بعض الطرق: حتَّى تطلق الشمس. فهذا - إن سلم من العلل - محمولٌ على أن النبي ﷺ اختار لأهله الأفضل، وليس بمانع من الرمي عند الوصول، وذلك لما تقدم من الأدلة، أو يحمل عمومًا على الندب والإرشاد، فيكون الرمي بمجرد الوصول جائزًا، ولكن الأفضل لمن لم يَشُقَّ عليه عدم الرمي إلا بعد طلوع الشمس، وذلك جمعًا بين الأدلة، والله أعلم.

---

(١) البخاري (١٦٧٩)، ومسلم (١٢٩١).

والذين يصحبون أصحاب الأعذار فيفيضون من مزدلفة إلى منى قبل الفجر، لهم أن يأخذوا بالرُّخص التي أخذها أصحاب الأعذار، والله تعالى أعلم.

ويبيت - كما أسلفنا - من ليس لهم عذر من الحجيج بمزدلفة حتى الفجر، ويُستحب لهم المبادرة إلى صلاة الفجر في أول وقتها، وذلك إذا تبين لهم الصبح[١].

أما الوارد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلَاةً بِغَيْرِ مِيقَاتِهَا إِلَّا صَلَاتَيْنِ: جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَصَلَّى الْفَجْرَ قَبْلَ مِيقَاتِهَا»[٢].

فقوله: قبل ميقاتها أي: ميقاتها الذي كان يصليها فيه كل يوم، وليس المعنى: قبل دخول وقتها.

وقد أوضح ذلك قول عبد الله بن مسعود: هما صلاتان تُحَوَّلان عن وقتهما: صلاة المغرب بعد ما يأتي الناس المزدلفة، والفجر حين يبزُغُ الفجر قال: رأيت النبي ﷺ يفعله.

وكذا الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه، ثم صَلَى الفَجْرَ، حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ، قَائِلٌ يَقُولُ: طَلَعَ الفَجْرُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: لَمْ يَطْلُعِ الفَجْرُ[٣]. فهذا محمول على التبكير أيضًا.

(١) كما في حديث جابر رضي الله عنه.
(٢) البخاري (١٦٨٢)، ومسلم (١٢٨٩).
(٣) البخاري (١٦٨٣).

هذا؛ وبعد أن يُصلي الفجر يقف داعيًا مُكبرًا مُهللًا مجتهدًا في دعائه وذكره، وإنْ اتجه إلى المشعر الحرام بعد صلاة الفجر، ودعا هنالك فله ذلك، وقد فعل ذلك النبي ﷺ، وذلك كما في حديث جابر الطويل ففيه: «وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ».

وإن دعا في مكانه الذي صلى فيه الفجر، أو في أي موطن من مزدلفة جاز له ذلك؛ لقول النبي ﷺ: **«وَقَفْتُ هَاهُنَا وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ»**.

ويستمر داعيًا - كما بينّا - حتى يُسفر الصبح جدًّا - أي يظهر بياض الصبح وينتشر جدًّا -، ثم يبدأ في التحرك (الدفع) من مزدلفة إلى مِنًى قبل أن تطلع الشمس مُخالفًا في ذلك المشركين، فقد كان المشركون ينتظرون حتى تطلع الشمس فلا يتحركون من مزدلفة حتى تطلع الشمس.

ففي «الصحيح»[1] من طريق عمرو بن ميمون قال: «شَهِدْتُ عُمَرَ رضي الله عنه صَلَّى بِجَمْعٍ الصُّبْحَ، ثُمَّ وَقَفَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُفِيضُونَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَيَقُولُونَ: أَشْرِقْ ثَبِيرُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَالَفَهُمْ، ثُمَّ أَفَاضَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ».



(١) البخاري (١٦٨٤).

التقاط الحصيات التي تُرمى بها جمرة العقبة

هذا؛ وللحاج أن يلتقط الحصيات التي سيرمي بها جمرة العقبة يوم النحر من مزدلفة، أو من طريقه من مزدلفة إلى مِنىً أو من مِنىً، فكل ذلك مُجزئ إن شاء الله، وإن كان الوارد عن رسول الله ﷺ يُشعر بأنه أمر أن يُلتقط له الحصى إما من مزدلفة، وإما من الطريق من مزدلفة إلى مِنىً، وذلك لما أخرجه النسائي[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ الْقُطْ لِي»، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ.

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الفضل بن عباس وكان رديف رسول الله ﷺ أنه قال في عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا: «عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ» وَهُوَ كَافٌّ نَاقَتَهُ حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّرًا وَهُوَ مِنْ مِنًى قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِحَصَى الْخَذْفِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ الْجَمْرَةُ»، وَقَالَ: لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى الْجَمْرَةَ[2].

هذا؛ وإذا مرَّ الحاج في طريقه من مزدلفة إلى منى بوادي مُحسِّر استُحب له أن يُسرع قليلًا حتى يتجاوز ذلك الوادي، وقد تقدَّم في حديث جابر رضي الله عنه:

(١) النسائي (٥/ ٢٦٨).

(٢) مسلم (١٢٨٢)، وهذا أقرب إلى الصواب، أنه قال ذلك في الطريق، ليس من مزدلفة، والله أعلم.

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ فحَرَّكَ قليلًا»[(١)].

وقد تقدم أن الحاج يلتقط الحصيات التي يرمي بها الجمرة في طريقة من مزدلفة إلى منى، والحصيات تكون مثل الخَذْف[(٢)]، وهي أكبر من حبة الحِمَّص قليلًا، أو نحو هذا الحجم.

ومن طيب التوجيه هنا:

أن النبي ﷺ لما أمر بالتقاط الحصى له حذر من الغلو في الدين، هذا الغلو الذي قد يحمل على الوسوسة أحيانًا، وعلى الخروج عن الشريعة أحيانًا، فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ الْقُطْ لِي»، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»[(٣)].

أعمال يوم النحر

تقدم أن الحاج يُصلي الفجر في مزدلفة - باستثناء الضعفة - ويدعو كثيرًا إلى أن يسفر الصبح جدًّا، ثم يتجه إلى مِنًى، ويستمر في طريقه مُلبيًّا مُهللًا مُكبرًا حتى يصل إلى مِنًى ويرمي جمرة العقبة.

ففي «الصحيحين» من حديث أسامة بن زيد والفضل بن عباس رضي الله عنهم قالا:

---

(١) أي: حرَّك دابته قليلًا.

(٢) تقدم ذلك في حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) النسائي (٥/ ٢٦٨) بسند حسن.

«لَمْ يَزَلِ النَّبِي ﷺ يُلَبي حتَّى رَمَى جَمرة الْعَقَبَة»[١].

وعند أحمد في «المسند» بسند حسن[٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق، لقد خرجت مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل».

فإذا وصل منى اتجه إلى الجمرة - جمرة العقبة - ليرميها، ويُسنُّ له عند رمي الجمرة - إن استطاع - أن يجعل البيت - الكعبة: أي مكة - عن يساره، ومِنى عن يمينه، ثم يرميها بسبع حصيات، حصاةٍ بعد حصاةٍ بعد حصاةٍ... حتى ينتهي من السبع، ويُكبر مع كل حصاةٍ كما في «الصحيحين» وغيرهما[٣].

ومما يجدر بنا التنبه عليه: أن هذه الجمرة هي التي بايع الرسول ﷺ عليها عندها الأنصار، البيعة المشهورة ببيعة العقبة.

ثم إن التلبية تنقطع بعد رمي جمرة العقبة الكبرى يوم النحر - كما أسلفنا -، وهذا اليوم يوم النحر له فضيلة عظمى، وقد قيل: إنه يوم الحج الأكبر.

وفي هذا اليوم يوم النحر أعمال للحاج تنبني هذه الأعمال على نوع النسك - نوع الحج - الذي أهلَّ به، فإن كان متمتعًا أو قارنًا فعليه أن

---

(١) البخاري (١٦٨٦، ١٦٨٧)، ومسلم (١٢٨٠، ١٢٨١).
(٢) أحمد في «المسند» (١/ ٤١٧).
(٣) انظر البخاري (١٧٥٠)، ومسلم (١٢٩٦).

يذبح[1] أو ينحر، وإن كان مفردًا فليس عليه دم.

وفي هذا اليوم أيضًا: الحلق أو التقصير.

وفيه أيضًا: طواف الإفاضة[2]، والسعي لمن عليه سعي.

ونورد تفصيلًا لهذا إن شاء الله:

وبين يدي هذا التفصيل: فأُذكِّر بفعل النبي ﷺ - أي الترتيب الذي سلكه رسول الله ﷺ في هذا اليوم -.

فهو أن النبي ﷺ رمى الجمرة ثم نحر، ثم حلق، ثم ذهب إلى مكة فطاف طواف الإفاضة.

ففي حديث جابر رضي الله عنه: «رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ».

وفي حديث أنس عند مسلم[3] قال: «لَمَّا رَمَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الجَمْرَةَ ونَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَالِقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ...» الحديث.

ولكنه - صلوات الله وسلامه عليه - رخَّص لأصحابه وأمته في تقديم

---

(١) ويجوز له تأجيل الذبح أو النحر ليوم أو ليومين على ما سيأتي إن شاء الله.
(٢) ويجوز أيضًا تأجيل طواف الإفاضة ليوم آخر أو لجمعه مع طواف الوداع، وذلك لأصحاب الأعذار.
(٣) مسلم (١٣٠٥).

أي شيء أو تأخيره من أعمال يوم النحر.

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ فَقَالَ رَجُلٌ: لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ. قَالَ: «اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ»، فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ. قَالَ: «ارْمِ وَلَا حَرَجَ»، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: «افْعَلْ وَلَا حَرَجَ».

وفي «الصحيحين»[(٢)] أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قيل له في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير، فقال: «لا حَرَجَ».

وعند البخاري[(٣)] أيضًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أَمْسَيْتُ. فَقَالَ: «لَا حَرَجَ»، قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ. قَالَ: «لَا حَرَجَ».

والروايات في هذا الباب كثيرة جدًّا تفيد هذا المعنى، فعليه يجوز للحاج يوم النحر أن يؤخر الرمي فيرمي بعد الحلق، ويجوز له أن يحلق قبل النحر، وينحر قبل الرمي، ويطوف قبل الحلق، ويطوف قبل النحر، وقبل الرمي، إلى غير ذلك، فكل ذلك لا حرج فيه.

هذا؛ وليُعلم أن الحاج إذا رمى جمرة العقبة يوم النحر، فقد حلَّ له كل

---

(١) البخاري (١٧٣٦)، ومسلم (١٣٠٦).
(٢) البخاري (١٧٣٤)، ومسلم (١٣٠٧).
(٣) البخاري حديث (١٧٢٣).

شيء كان قد حُرم عليه إلا النساء، وذلك لما أخرجه ابن خزيمة[١] في «صحيحه» من حديث ابن الزبير قال: «من سُنة الحجِّ أن يُصلي الإمام الظهر والعصر... فإذا رمى الجمرة الكبرى حَلَّ له كل شيء حُرِّم عليه إلا النساء والطيب حتى يزور البيت».

وفي بعض الروايات: «... فقد حلَّ له ما حُرِّم عليه إلا النساء حتى يطوف بالبيت».

والرواية الأولى تُبين أن النساء والطيب ممنوعان إلا بعد الطواف بالبيت، لكن هُناك من الأدلة ما هو أقوى يُفيد أن الطيب مباح قبل طواف الإفاضة.

ومن ذلك ما في «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: طَيَّبْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِيَدِي لِحُرْمِهِ[٣] وَطَيَّبْتُهُ بِمِنًى قَبْلَ أَنْ يُفِيضَ»[٤]، وفي رواية: «قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بالبَيْتِ».

أما عن سائر الأعمال بشيء من التفصيل:

فبالنسبة للنحر، فكما بيَّنا أن القارن والمتمتع عليهما دمٌ، وأما المفرد فلا.

(١) ابن خزيمة (٤/ ٢٤٧).
(٢) البخاري (٥٩٢٢)، ومسلم (١١٨٩).
(٣) أي: لإحرامه.
(٤) أي: قبل أن يطوف طواف الإفاضة.

أما المتمتع: فقد قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

أما القارن: فلأن النبي ﷺ كان قارنًا وقد ساق الهدي.

أما بالنسبة لدم التمتُّع: فعلى ما تيسر[١]، لكن أقلُّه شاة - والشاة تُطلق على الكبش (الخروف) وعلى النعجة، وعلى الجدي، وعلى العنز -.

وليس لهذه المذكورات شروط، إنما على المتيسر - أي أنه لا يلزم في دماء التمتع ما يلزم في الأضاحي من الشروط - ويجوز للمتمتع أن يشترك مع ستة آخرين في بقرة، أو في ناقة - أي أنه يجوز للسبعة الاشتراك في بقرة، أو في جمل أو ناقة -؛ وذلك لحديث جابر رضي الله عنه: «نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ»[٢].

والهدي وإن كان بما استيسر، وليست هناك شروط له، إلا ما ذُكر من اشتراط سبعة في بقرة أو في بدنة، أو أن كل واحد يذبح شاة، إلا أنه يُستحب تعظيمه واستسمانه، فكلما عظمت الهدي، وبحثت عن شاة سمينة، وعظيمة، أو بقرة سمينة وعظيمة، أو بدنة كذلك؛ فأجرُك أعظم، وهذا

---

(١) وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يُمنع في دم التمتع ما يُمنع في الأضاحي من ذوات العيوب، فلا يصلح عندهم الهدي بالعوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين عرجها، والكسيرة التي لا تُنقي، لكن ظاهر الآية يفيد الجواز والعيوب المذكورة تقتصر على الأضاحي كما وردت، والله أعلم.

(٢) مسلم (١٣١٨).

دليل على تقواك، إذ الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

فالمراد بشعائر الله هنا - والله أعلم - البُدن التي تقدم كأضاحٍ أو دماء للتمتع والقران، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج.. ٣][1]، فكلما استعظمت البدن كلما عظم أجرك.

أما عن صُنع رسول الله ﷺ: فقد انصرف بعد رمي الجمرة إلى المنحر، فنحر ثلاثًا وستين بيده، ثم أعطى عليًّا ما غبَرَ[2]، وأشركه في هديه، ثم أمر من كُلِّ بدنةٍ ببضعة فجُعلت في قدر فطُبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها[3]. . . الحديث.

فيُستفاد منه: تعظيم الهدي لمن استطاع ذلك وأطاقه.

ويُستحب الأكل منه أيضًا، وقد قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

والقانع: الذي لا يسألِ.

---

(١) وقوله: ﴿صَوَآفَّ﴾ أي: قائمة على ثلاثة أرجل معقولة - مربوطة - الرجل الرابعة اليسرى.

(٢) وكان المجموع مائة كما ورد في طرق الحديث.

(٣) وذلك كما تقدم في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

والمعتر: هو المتعرض بالسؤال.

وقال النبي ﷺ: «كُلُوا وتَزَوَّدوا»[١].

ويُستحب أيضًا أن ينحر بيده إن استطاع، وله أن يُوكِّل أيضًا، فقد أمر النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه أن ينحر ما تبقى.

ولكون النبي ﷺ أعطى عليًّا فنحر ما بقي: يجوز توكيل الشركات المختصة بالذبح واستنابتها في ذلك - والله أعلم -، لكن على كل حال يستحب الأكل منها من غير إيجاب، والله أعلم.

هذا؛ ومما يُلفت النظر إليه في أمر الهدي: أن الجازر لا يأخذ من الهدي شيئًا؛ إنما يأخذ أُجرته مالًا أو نحوه، أما من الهدي فلا؛ وذلك لأن النبي ﷺ أمر عليًّا بذلك.

ففي «الصحيحين»[٢] عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُدْنِهِ[٣]، وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهَا، وَجُلُودِهَا، وَأَجِلَّتِهَا، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَزَّارَ مِنْهَا قَالَ: «نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا».

أما عن صيام المتمتع الذي لم يجد هديًا: فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٧١٩)، ومسلم (١٩٧٢).
(٢) البخاري (١٧١٧)، ومسلم (١٣١٧).
(٣) البُدن: أي الإبل.

ولكن ما هذه الأيام بالتحديد؟

لم يرد في ذلك نص عن النبي ﷺ، ولذلك تكاثرت أقوال العلماء في ذلك:

فمنهم من قال: إنْ جوازها يبدأ من حين الإحرام بالعمرة(١)، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر.

ومن العلماء من قال: إنها يوم السادس والسابع والثامن من منىً.

ومنهم من قال: إنها السابع والثامن والتاسع.

ومنهم من قال: تبدأ من الإهلال بالحج وتنتهي إلى يوم عرفة... إلى غير ذلك من الأقوال.

وأولاها بالصواب عندي - والله أعلم -: أنها تبدأ من وقت الإحرام بالحج إلى نهاية أيام التشريق.

فإن قال قائل: إن النبي ﷺ قد نهى عن صيام أيام التشريق(٢)!!.

فيُجاب على هذا: بأن صومها مُستثنى للمتمتع الذي لا يجد الهدي؛ وذلك لما أخرجه البخاري(٣) من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما قالا: «لَمْ

---

(١) أي: العمرة التي في أشهر الحج - التي تمتع بها المتمتع إلى الحج -.

(٢) أخرج مسلم (حديث ١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ». ونحوه عند مسلم أيضًا (حديث ١١٤٢) من حديث كعب ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وأوس بن الحَدَثان أيام التشريق فنادى: «أَنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا مُؤمن، وأَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أكلٍ وشُربٍ».

(٣) البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).

يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ».

وأخرج البخاري[(١)] أيضًا عن ابن عمر قال: «الصِّيَامُ لِمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ عَرَفَةَ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا وَلَمْ يَصُمْ صَامَ أَيَّامَ مِنًى».

وأخرج البخاري أيضًا بإسناده إلى عروة قال: «كانت عائشة تصوم أيام منى، وكان أبوها يصومها»[(٢)]، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]. رجعتم إلى أهاليكم وبلادكم، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٣)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ هَدْيًا فَلْيَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ».

هذا؛ ويُشرع للإمام أن يخطب الناس يوم النحر، وأن يُذكرهم ويعلمهم، ومن ثَمَّ فبعض الخطب التي تلقى في المخيمات والتّجمُّعات لا بأس بها؛ بل هي مشروعة؛ وذلك لما أخرجه البخاري[(٤)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ.

قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ

---

(١) البخاري (١٩٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٩٦).
(٣) البخاري (١٦٩١)، ومسلم (١٢٢٧).
(٤) البخاري (١٧٣٩).

هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» - فَأَعَادَهَا مِرَارًا - ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

ولهذا الحديث عدة طرق عن النبي ﷺ في «الصحيحين» وفي غيرهما:

فمن ذلك: حديث أبي بكرة المتفق عليه[1] وفيه: «خَطَبَنَا النَّبِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

ومن ذلك: حديث ابن عمر[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «أَتَدْرُونَ

---

(١) البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) البخاري (١٧٤٢).

أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ. أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ». قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا وَقَالَ: «هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ»، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، وَوَدَّعَ النَّاسَ فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ.

أما عن الحلق والتقصير: فقد حلق النبي ﷺ، والمراد بالحلق إزالة شعر الرأس تمامًا بالموسى.

أما عن الأفضل: فبلا شك أن الحلق أفضل في هذا المقام، وذلك لأمرين:

أولهما: أن النبي ﷺ حلق. ففي «الصحيح» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «حَلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ في حجَّتِهِ»[١].

والثاني: لكون النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثًا، ودعا للمقصرين مرة واحدةً. ففي «الصحيحين»[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

(١) البخاري (١٧٢٦).
(٢) البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

قال: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَالْمُقَصِّرِينَ».

وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ: «رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ» مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ قَالَ: وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «وَالْمُقَصِّرِينَ».

وقد يُضاف وجه ثالث: ألا وهو: أن الله عز وجل ذكر المحلقين أولًا في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، لكن على كل حال فالتقصير - وهو تعميم الرأس بأخذ بعض الشعر منها سواء بالآلة - الماكينة - أو بالمقص - جائز بلا خلاف، والله أعلم.

هذا؛ ومما يُلفت النظر إليه: أن النساء ليس عليهن حلقٌ، ولا يجوز لهن الحلق، بل يلزمهن التقصير فقط، وهو أخذ شيء يسير من شعورهن، قدر الأنملة - أنملة الإصبع - فحسب.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لَيْسَ على النساءِ الحلقُ، إنَّما على النساءِ التَّقصيرُ».

ثم يتجه الحاج إلى مكة لطواف الإفاضة، بعد أن تحلل التحلل الأصغر برمي الجمرة، عند فريق من العلماء، وبالرمي مع شيء آخر - إما الحلق وإما النحر - عند آخرين.

وكما سلف فقد حلَّ له كل شيء إلا النساء، وذلك إلى أنْ يطوف بالبيت

فيذهب للطواف بالبيت، وهذا الطواف هو طواف الإفاضة، وهو ركنٌ من أركان الحج، ويُستحب فعله يوم النحر لمن أطاق ذلك، وذلك لأن النبي ﷺ طاف طواف الإفاضة يوم النحر، ولكن من لم يستطع أن يطوف طواف الإفاضة يوم النحر جاز له أن يؤخره إلى وقتٍ آخر، وله أن يجمعه مع طواف الوداع إن اضطر إلى ذلك[١].

وطواف الإفاضة هذا ليس فيه رَمَلٌ، ولا اضطباع؛ بل يجوز للحاج أن يطوف بثيابه مادام قد تحلل التحلل الأصغر، وما سوى ذلك من أعمال الطواف، فكما أوردنا في طواف القدوم، وبعد أن يطوف طواف الإفاضة يُصلي ركعتين خلف المقام على ما سلف بيانه في شأن الطواف.

ويُستحب له - على ما ورد في حديث جابر الطويل - أن يشرب من زمزم بعد طواف الإفاضة.

ثم بعد الشرب من زمزم ينظر هل الحاج متمتعٌ أو قارنٌ أو مفردٌ؟ وهل سبق له أن سعى مع طواف القدوم؟ أم لم يسبق له السعي؟

فإذا كان الحاج متمتعًا؛ فعليه في الجملة سعيان بين الصفا والمروة، أما السعي الأول فقد سعاه مع طواف القدوم، وأما الثاني فيسعى بعد طواف الإفاضة[٢].

(١) أما تعمد تأخيره مع طواف الوداع بلا عذر، فإنه وإن كان جائزًا إلا أنه أقلُّ أجرًا ممن طاف يوم النحر، ثم طاف الوداع عند مغادرة مكة.

(٢) وإن تأخَّر عنه بعض الوقت يومين أو ثلاثة ونحو ذلك جاز، ويؤيد ما ذُكر من كون المتمتع عليه سعيان: ما أخرجه البخاري (١٦٣٨) ومسلم (١٢١١) من حديث عائشة

=

أما إذا كان الحاج قد أهلَّ قارنًا أو مُفردًا، وكان قد سعى مع طواف القدوم بين الصفا والمروة، فلا سعي عليه مرة ثانية، وأما إذا لم يكن سعى مع طواف القدوم فعليه سعي يفعله بعد طواف الإفاضة.

هذا؛ ولكون النبي ﷺ كان قارنًا، فلذلك لم يسع ثانية بين الصفا والمروة، إنما اجتزأ بسعيه الأول الذي سعاه مع طواف العمرة - الذي هو طواف القدوم -.

أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لَمْ يَطُفِ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا أَصْحَابُهُ[2] بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ إِلَّا طَوَافًا وَاحِدًا».

ثم يرجع الحاج بعدما ذُكر من الطواف والسعي - إن كان عليه سعي[3] إلى مِنىً فيصلي بها ما أدركه من صلوات، كل صلاة في وقتها مع قصر الظهر ركعتين، وصلاة العصر في وقتها أيضًا ركعتين، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، والعشاء ركعتين، والصبح ركعتين، ويجوز له أن يجمع بين الظهر والعصر إن احتاج إلى ذلك، وكذلك بين المغرب والعشاء.

ثم نُشير هنا إلى رأي ليس عليه العمل، وهو رأي من قال: إن الحاج إذا لم يطف طواف الإفاضة يوم النحر حتى غربت عليه الشمس فإنه يرجع إلى

= رضي الله عنها: «فَطَافَ الَّذِينَ أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ، ثُمَّ حَلُّوا، ثُمَّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مِنًى، وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّمَا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا».
قلت: والمراد بالطواف هنا السعي بين الصفا والمروة.

(١) مسلم (١٢٧٩).
(٢) يعني: أصحابه الذين أهلوا بحج مفرد، أو قارن.
(٣) وجائز أيضًا تأجيل السعي.

إحرامه كما كان.

فنقول: إن الخبر الوارد في ذلك لا يصح عندي سنده، ثم العمل ليس على هذا الخبر، فالجماهير على خلافه والله تعالى أعلم.

نسأل الله أن يُيسر لنا ولكم حجنا وعمرتنا، وأن يتقبل منا ومنكم.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فتتمة لما سبق وإكمالًا لبيان أعمال الحج أقول وبالله التوفيق:

العمل في ليالي التشريق وأيامها

يبيت الحاج في منى ليلة الحادي عشر من ذي الحجة، وليلة الثاني عشر، وهذه الليالي مع ليلة لثالث عشر هي التي يسميها العلماء: ليالي التشريق، فيصبح في يوم الحادي عشر آكلًا شاربًا ذاكرًا لله عز وجل، ولا يُستحب له الصوم، بل قد ذهب بعض العلماء إلى تحريم الصيام في أيام التشريق، وهو رأي أكثر أهل العلم، أن الصوم يحرم في أيام التشريق، إلا إذا كان عليه هدي ولم يستطع تقديمه.

وذلك لقول النبي ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عزَّ وَجَل»[1].

وفي حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهما قالا: «لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ»[2].

---

(١) مسلم (١١٤١).
(٢) البخاري (١٩٩٧، ١٩٩٨).

بل قد بعث رسول الله ﷺ كعب بن مالك وأوس بن الحدثان يناديان أيام التشريق: «أَنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا مُؤمن، وأَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكلٍ وشُربٍ»(١).

وعند أبي داود بسندٍ صحيح لشواهدهَ: أنْ رسول الله ﷺ قال: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»(٢).

وهذا الإفطار ليس خاصًّا بالحجيج، بل على المسلمين عمومًا أن يفطروا أيام التشريق، والله أعلم.

وكما سلف يُستحب الإكثار من ذكر الله عز وجل أيام التشريق؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأيام التشريق هي الأيام المعدودات.

هذا؛ وليُعلم أن الحاج يجب عليه المبيت بمنى أيام التشريق، ويُصلي كل صلاة في وقتها(٣) قصرًا - باستثناء المغرب والصبح فليس فيهما قصرٌ -، والله أعلم.

ورمي الجمار أيام التشريق: - وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة - يكون بعد الزوال؛ وذلك لما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر رضي الله عنه قال: «رَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الجَمْرَةَ يَوْمَ

(١) مسلم (١١٤٢).
(٢) أبو داود (٢٤١٩).
(٣) وإن جمع بين الظهر والعصر جاز له ذلك، وكذا المغرب والعشاء، ولكن الأولى صلاة كل صلاة في وقتها.

النَّحرِ ضُحًى، وَأَمَّا بَعْدُ فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ»[(١)].

أما عن صفة الرمي أيام التشريق وكيفيته:

فإن الجمار الثلاث - الصغرى، والوسطى، وجمرة العقبة - كلها تُرمى أيام التشريق، فيبدأ الرمي برمي الجمرة الصغرى التي هي ناحية مسجد الخيف والقريبة منه فيرميها من أي مكان كان بسبع حصيات، يُكبر مع كل حصاة[(٢)]، ثم بعد رمي الحصيات السبع يتقدم قليلًا، ويجعل الجمرة الصغرى عن يمينه ويتجه إلى القبلة رافعًا يديه داعيًا سائلًا ويطيل الدعاء[(٣)] قدر استطاعته، ثم يتجه إلى الجمرة الوسطى فيرميها كذلك من أي اتجاه كان بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة، ثم يتقدم قليلًا ويجعل الجمرة الوسطى عن يساره، ويتجه للقبلة ثم يرفع يديه داعيًا سائلًا راجيًا، ويُطيل الدعاء أيضًا قدر استطاعته، ثم يتقدم فيرمي جمرة العقبة - التي رماها يوم النحر - بسبع حصيات مُكبرًا مع كل حصاة، ثم ينصرف - أي أنه لا يدعو بعد رمي جمرة العقبة الكبرى.

ومن الدليل على ذلك: ما أخرجه البخاري[(٤)] من طريق سالم بن عبد

---

(١) مسلم (١٢٩٩)، وعند أبي داود (١٩٧٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «. . . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ كُلُّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَقِفُ عِنْدَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ وَيَتَضَرَّعُ، وَيَرْمِي الثَّالِثَةَ وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا».

(٢) ولا يرميها دفعة واحدة، بل يرمي حصاة مكبرًا ثم حصاة مكبرًا. . . وهكذا.

(٣) ما لم يكن هناك أذى لمسلم من المسلمين، ويدعو الله بما شاء ما لم يعتدِ في الدعاء، وما لم يدعُ بإثم ولا قطيعة رحم.

(٤) البخاري (١٧٥٢).

الله بن عمر: «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، ثُمَّ يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيُسْهِلُ فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيُسْهِلُ وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا وَيَقُولُ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ».

هذا؛ وقد جوَّز عدد من أهل العلم. بل جمهورهم الرمي عمَّن لم يستطع الرمي من النساء الضعيفات، أو كبار السن والطاعنين فيه، أو المرضى وأصحاب الأعذار، أو الصبية الصغار.

هذا؛ وإن استطاع الحاج - ليالي التشريق - أن يذهب من منى إلى مكة لزيارة البيت والطواف حوله فعل، فالطواف فعلٌ حسنٌ، على أن يبيت بمنىً، وقد قال بهذا بعض أهل العلم، وإن كانت الأخبار التي وردت عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك لا تخلو من مقال[(١)].

وللحاج أن يبيع ويشتري ما دام يؤدي ما افترضه الله عليه:

وما دام يتقي الجدال والفسوق، ولقد قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

---

(١) انظر لذلك إن شئت ما أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٣٧٤) بسند مرسل، وكذا ما أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٤٦).
فثمَّ أخبار مفادها أنه ﷺ كان يفيض كل ليلة يعني - ليالي منى -.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقد أخرج البخاري في «صحيحه»[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ ذُو الْمَجَازِ وَعُكَاظٌ مَتْجَرَ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ كَأَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ حَتَّى نَزَلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ».

ويجوز أيضًا أن تتخلل أيام التشريق خطبٌ ومواعظُ، فقد أخرج أبو داود[٢] وغيره من حديث رجلين من بني بكر قالا: «رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ بَيْنَ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَنَحْنُ عِنْدَ رَاحِلَتِهِ، وَهِيَ خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي خَطَبَ بِمِنًى».

هذا؛ وليُعلم أنه يجب على الحاج أن يرمي الجمرات في يومين من أيام التشريق الثلاثة على الأقل - أي أنه يجب عليه الرمي في اليوم الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة -، ثم إن أراد أن يتعجل وينصرف إلى مكة تعجَّل وانصرف، وإن أراد أن يتأخر إلى اليوم الثالث عشر تأخَّر؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أَيَّامُ مِنًى ثَلَاثَةٌ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

---

(١) البخاري (١٧٧٠).
(٢) صحيح: وله شواهد أخرجه أبو داود (١٩٥٢) وغيره.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»[١].

ولقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكبِّر في خيمته في منى فيُكبِّر أهل خيمته بتكبيره، ويُكبر أهل منى بتكبيرهم، فيُسمع لمنى رجَّة.

هذا؛ ومن أراد التعجُّل فلينصرف من منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر، كذا قال بعض أهل العلم محتجين بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، قالوا: واليوم ينتهي بغروب الشمس، كذا قالوا

هذا؛ ومن أراد التعجُّل وركب دابته، ولكنه حُبس عن الخروج بمنى لازدحام الطرقات حتى غربت الشمس يوم الثاني عشر، فليخرج ولا شيء عليه، والله تعالى أعلم.

وإذا تأخر الحاج بمنى إلى يوم الثالث عشر فليفعل في اليوم الثالث عشر ما فعل في الحادي عشر والثاني عشر، ثم ينصرف إلى مكة فيبقى بها ما شاء الله أن يبقى.

طواف الوداع

فإذا أراد الانصراف طاف طواف الوداع؛ وذلك لقول رسول الله ﷺ: «لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»[٢].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٩٤٩).
(٢) مسلم حديث (١٣٢٧).

بِالْبَيْتِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ الْحَائِضِ»[١].

هذا؛ وبالنسبة للحائض التي طافت طواف الإفاضة في أثناء طهرها ثم حاضت بعد ذلك؛ فقد سقط عنها طواف الوداع، فلها حينئذ أن تنصرف ولا تُلزم بالانتظار لطواف الوداع، لما تقدم قريبًا من الحديث.

هذا؛ وبالنسبة لطواف الوداع، فهو سبعة أشواط كسائر أنواع الطواف، وليس فيه رملٌ ولا اضطباع، بل يجوز في ثيابه، وبعد الطواف يُصلي ركعتين كتلك الركعتين اللتين يصليهما مع أي طواف، يقرأ في الأولى - بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾، وفي الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، ثم ينصرف راشدًا راجعًا إلى أهله، مغفورًا ذنبه إن شاء الله، مثبتًا أجره بإذن الله، وليسأل ربه القبول كما هو شأن أهل الفضل والصلاح يعملون صالحًا ويرجون من الله القبول.

هذا؛ ولا يجوز له أن يبيت بعد طواف الوداع، ولكن إنْ اشترى شيئًا على وجه السرعة فلا بأس بهذا الشراء اليسير، ولا بذاك الزمن اليسير.

دعاء الرجوع من السفر

ثم إذا اقترب الحاج من بلاده فليقل: «تائبون آيبون عابدون لربنا حامدون»، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ، فقد كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ أَوِ السَّرَايَا أَوِ الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ، إِذَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ

---

(١) البخاري (١٧٥٥).

فَذَفَدِ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[١].

وهذه مسائل متفرقة - فضلًا عما سبق - تتعلق بالنساء وغيرهن في الحج

ليُعلم أن الحج أفضل جهاد النساء، وذلك لما أخرجه البخاري[٢] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ».

هل تستأذن المرأة زوجها للحج؟

الحج إما أن يكون حج تطوع أو فريضة أو نذر أو حج عن الغير.

أما حج التطوع والحج عن الآخرين: فيجب فيه الاستئذان؛ قال ابن المنذر رحمه الله - كما سيأتي عنه -: أجمع كل من نحفظ قوله من أهل العلم على أن للرجل منع زوجته من الخروج إلى حج التطوع.

أما الحج المنذور: فإن كانت نذرته بإذن زوجها فليس له منعها، وكذلك لو كانت نذرته قبل الزواج وأخبرته به فأقرَّه ووافقها عليه، فليس له منعها أيضًا.

---

(١) البخاري (٦٣٨٥)، ومسلم (١٣٤٤).
(٢) البخاري (١٥٢٠).

أما إذا نذرته رغمًا عنه فله منعها، إذ هو صاحب حقٍّ في الاستمتاع بها.

أما حج الفريضة: فليس له منعها منه، وهل تستأذنه أم لا؟

ذهب فريق من أهل العلم إلى أنها لا تستأذنه أصلًا، بينما ذهب آخرون إلى أنها تستأذن؛ وذلك لأن الحج على التراخي.

والذي يظهر لي - والله تعالى أعلم -: أنه إذا توفَّر للمرأة ما تحج به من الزاد والراحلة والمَحْرَم وأَمْن الطريق والصحة ونحو ذلك فتستأذن زوجها، فإن أذن فالحمد لله، وإن لم يأذن نظرت فإن علمت من حاله أنه لا يأذن لها في الحج من غير مبرر مقبول خرجت بغير إذنه، وإن كان المبرر للمنع مقبولًا أجَّلت لعَامٍ قادمٍ، ونرجو لها العذر في تأخير الحج من الله سبحانه وتعالى، وإن كان المبرر قد يوجد ويستمر في كل عام؛ حجَّت ولا تؤخِّر لعام قادم، والله تعالى أعلم، ومنه العون والتوفيق والسداد[1].

وهل يجوز للمعتدة أن تخرج للحج؟

وجوابه: أن المعتدة لها أحوال:

إما معتدة عدة طلاق رجعي - لزوجها فيه رجعة -: فهذه لا تخرج للحج؛ وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١].

(١) ولمزيد راجع كتابي «جامع أحكام النساء».

أما المطلقة المبتوتة: فلها أن تخرج، إذ لا دليل على منعها من الخروج، فالمطلقة المبتوتة لا نفقة لها ولا سكنى.

أما المعتدة عدة الوفاة: ففي شأنها نزاع مبني على القول في مكان اعتدادها، هل يجب عليها أن تعتد في بيت زوجها أو تعتد حيث شاءت؟ وقد رجحنا في كتابنا «جامع أحكام النساء» أن لها أن تعتد حيث شاءت، وأوردنا أقوال عددٍ من العلماء القائلين بذلك، وعليه فيجوز للمتوفَّى عنها زوجها أن تحج في عدتها، والله تعالى أعلم.

وهل يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة؟

وجواب ذلك: نعم يجوز للحائض أن تسعى بين الصفا والمروة، إذ لم يرد دليل صحيح ينهى عن ذلك، وغاية ما ورد في هذا الباب من المرفوع إلى النبي ﷺ زيادة في حديث عائشة رضي الله عنها إذ قال لها النبي ﷺ: «افعلي كل ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري»، وهذه الزيادة هي: «ولا بين الصفا والمروة»، وهي زيادة شاذة[(١)].

أما هل ترفع المرأة صوتها بالتلبية أم لا؟

ففي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، فمنهم من ذهب إلى أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، واستدلوا على ذلك بأن المرأة مأمورة بالتستر؛ فيكره لها رفع الصوت مخافة الافتتان بها أو افتتانها هي، واستدلوا أيضًا بأن النبي ﷺ قال «التَّسْبِيحُ للرِّجَالِ، والتَّصْفِيقُ للنِّسَاءِ»، فدل ذلك على أنها لا ترفع صوتها

(١) وذلك كما حررناه في كتابنا «جامع أحكام النساء» أبواب الحج.

بالتلبية إلحاقًا بحالها في الصلاة.

ويجوز للمحرمة أن تلبس الحُلي:

أخرج الإمام الشافعي بسند صحيح[(١)] من طريق صفية بنت شيبة أنها قالت: «كنت عند عائشة رضي الله عنها إذ جاءتها امرأة من نساء بني عبد الدار يُقال لها: تَمْلُك.

قالت لها: يا أم المؤمنين فلانة حلفت ألا تلبس حُليها في الموسم، فقالت عائشة رضي الله عنها: قولي لها: إن أم المؤمنين تقسم عليك ألَّا لبست حُليك كله».

والمرأة المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين:

وذلك للحديث: «لا تَنْتَقِب المُحْرِمَةُ ولا تَلْبَس القُفَّازَين»[(٢)].

ولكن لها أن تغطي وجهها عن الرجال بالسدل الخفيف على وجهها؛ وذلك لما صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «كُنا نُغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام»[(٣)].

ولأثر عائشة رضي الله عنها قالت: «تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها»[(٤)].

---

(١) «المسند» (ص١١٩).

(٢) هذا الخبر اختلف في رفعه إلى رسول الله ﷺ، ووقفه على ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر «صحيح البخاري» (١٥٤٢)، وكتابي «جامع أحكام النساء»، ولكن عليه عمل الأكثرين.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: أخرجه سعيد بن منصور [نقلًا عن الحافظ في «الفتح» (٣/ ٤٠٦)].

وقد ورد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أثر آخر في سنده بعض الضعف، لكنه يصحُّ لما قبله، ألا وهو قولها: «كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحْرِمَاتٌ، فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ»[1].

وأهل مكة هل لهم أن يتمتعوا أم أنه لا يجوز لهم التمتع؟

فقد رأى بعض العلماء منعهم من التمتع، ورأى آخرون جوازه، والسبب في ذلك راجع إلى المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فمن العلماء من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على التمتع المذكور من قبل في الآية الكريمة.

ومنهم من قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ عائد على صيام السبعة أيام إذا رجع إلى بلده، فهذا فحوى الخلاف، والمسألة - كما أسلفنا - فيها الوجهان للعلماء، وإن كان الأولى لأهل مكة أن يتركوا التمتع، والله أعلم.

ويجوز أن يحج الرجل عن والده، وأن يحج بولده، وكذا المرأة:

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٠)، وأبو داود (١٨٣٣).
(٢) البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

وعند البخاري أيضًا[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُخْتِي قَدْ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاقْضِ اللَّهَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ».

وكذا تحج عن الصبي:

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ»، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ».

وكذا يجوز أن يحج عن آخرين:

أخرج أبو داود من حديث ابن عباس[٣] رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَةَ قَالَ: «مَنْ شُبْرُمَةُ؟» قَالَ: أَخٌ لِي - أَوْ قَرِيبٌ لِي - قَالَ: «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ».

---

(١) البخاري (٦٦٩٩).
(٢) مسلم (١٣٣٦).
(٣) أبو داود (١٨١١).

وليحرص الشخص على الإكثار من الصلاة في المسجد الحرام؛ فصلاةٌ فيه تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد[(١)].

زيارة مسجد رسول الله ﷺ:

أما عن زيارة مسجد رسول الله ﷺ فليس لها تعلُّق بالحج، لا من قريب ولا من بعيد، ولكن يفضل ويُستحب للحاج أن يزوره وأن يُكثر من الصلاة فيه؛ لقول رسول الله ﷺ: «صَلاةٌ فِي مَسجِدي هَذَا خَيْرٌ مِنْ ألفِ صَلاةٍ فِيْمَا سوَاهُ»[(٢)].

وختامًا: فنسأل الله أن ييسر لنا الحج، وأن يتقبله منا ومنكم بقبول حسن، وأن يحط عنا الخطايا والذنوب والأوزار.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهم احفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا. ألا فأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ وأقم الصلاة.

---

(١) وقد ورد هذا من طرق تصح بمجموعها بلا شك، منها:
ما أخرجه أحمد (٤/ ٥) من حديث ابن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ / وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ».

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٠١٣).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدعاء عبادة(١)

فأذكر نفسي وإياكم بارك الله في الجميع، بعبادة من أجَلِّ العبادات، وقربةً من أعظم القربات.

إنها عبادةٌ جهل الناس قدرها، وزهد الناس أمرها إنها الدعاء فالدعاء عبادة!

فكما أننا نتعبد بصلاتنا وصيامنا وعمرتنا وحجنا كذلك فنتعبد الله بدعائه ورجائه والتوسل إليه والتضرع له.

وأذكِّر ببعض الأدلة على أن الدعاء عبادة فمن ذلك:

❑ ما أخرجه الترمذي(٢) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة» ثم قرء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]

❑ وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) لنا خطبة أخرى في هذا الصدد تتعلق بفقه الدعاء وآدابه.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤)، وأبو داود (٣٥٩)، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وغيرهم، وسنده صحيح.

وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩].

ففي صدر الآية: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ ثم جاء بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ فدل ذلك على أن الدعاء عبادة.

❑ وكذلك في أحد أقوال المفسرين لقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾ [الكهف: ١٤] أي لن نعبد غيره.

كل هذا يفيد أن الدعاء عبادة.

فعلى ذلك فإن من يدعو ربه كما أمره الله فإنه يثاب بإذن الله. وإن لم تظهر له الإجابة. وذلك لأنه في عبادة كما أن الصائم عي عبادة والمصلي في عبادة والحاج في عبادة والمجاهد في عبادة و. . . ، فكذلك الداعي في عبادته على تفاوت في الدرجات.

ولكون الدعاء عبادة فلا ينبغي ولا يجوز أن يصرف إلا لله، ولا أن يتوجه به إلا إلى الله عزَّ وجل، الشأن في ذلك شأن سائر العبادات ولذلك جاءت النصوص تتلو النصوص، والتحذيرات تتلوها التحذيرات من دعاء غير الله عز وجل سواء كان دعاء المسألة أو دعاء العبادة قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦].

❑ لقد ضل أقوامٌ وما كانوا من المهتدين لما دعوا غير الله وسألوا من سواه بل لقد كفروا بذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣- ١٤].

❑ ولقد زلت أقدام قوم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بألسنتهم فدعوا غير الله سبحانه، فدعا فريقٌ رسول الله ﷺ ودعا آخرون عليًا. والحسن والحسين، ودعا آخرون البدوي والجيلاني وأبا طير وغير هؤلاء من المخلوقين، فزلت أقدام هؤلاء الداعين وكفروا لفعلهم هذا وهم لا يشعرون.

وقد سمعت قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

ولقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٦].

ولقد ابتدع آخرون من التصوفة في الدين وفي أمر الدعاء، فتركوا الدعاء مطلقا وقالوا: إن دعاءك لربك اتهامٌ له، واحتجوا بالأثر الموضوع الذي لا أصل له، ألا وهو المنسوب إلى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام "! جاءه جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجةٌ؟ فقال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤلي علمه بحالي، وفي لفظ للعوام: علمه بحالي يغني عن سؤالي.

وهذا خبر لا أصل له كما تقدم ثم هو معارض بعمومات الشرع كالآيات المتقدمة وغيرها وكذلك حال رسول الله ﷺ وسائر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما كانوا عليه من دعاء، والخليل عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

[إبراهيم: ٤١،٤٠].

ويقول عليه السلام أيضا: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ

﴿٨٣ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ٨٤ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ(١) إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٧] فحرم هؤلاء أنفسهم خيرًا كثيرًا وجلبوا لأنفسهم نكدًا عظيمًا بجيودهم وابتعادهم عن كتاب ربهم وهدي نبيهم ﷺ.

أيها الأخوة: إن أحدًا ما، لايقدر على جلب نفع أو دفع ضرٍ عن أحد إلا بإذن الله!

وما أجمل وما أحسن احتجاج الخليل إبراهيم عليه السلام على قوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء: ٧٠ - ٧٣].

ولقد قال رسول الله ﷺ ما أمره به ربه إذ قال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٨٨].

لقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ

(١) استغفاره لأبيه المشرك متعقب بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨﴾ [الزمر: ٣٧ - ٣٨].

ولقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝١٣﴾ [الحج: ١١ - ١٣] إن الذي يكشف الضر ويجيب المضطر هو الله ! والذي يصرف السوء والمكروه هو الله.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

❑ أيها الأخوة: اعلموا بارك الله فيكم أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد بقوم سوء فلا راد لقضائه قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧﴾ [الأحزاب: ١٧].

إن السحرة كهان، ومن يطلقون عليهم أولياء لا يستطيعون دفع ضرٍ عن شخصٍ ولا جلب نفع لشخص لقد قال رسولنا محمد ﷺ

«وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[(١)] وقال أيضًا «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك»[(٢)] ولقد قال تعالى في شأن السحرة وسحرهم ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لقد ضرب الله مثلًا لمن يدعو غير الله مع من دعاه فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

لقد شُبِّهَ الذي يدعو غير الله بشخص وقف أمام الماء كأنه يناديه (ينادي الماء) كأن يقول يا ماء تعالى يا ماء اصعد إليَّ، فهل سيصعد إليه الماء المستقر في مكانه، كلا فالماء لن يصعد إلا بتناوله.

❑ أيها الأخوة: بارك الله فيكم.

أما وقد علمتم أن الدعاء عبادة، فمن ثم لا يجوز بحال أن تصرف هذه العبادة لغير الله، ولا أن يدعى غير الله فذلك ضرب من الضلال بعيد.

وذلك شرك وكفران.

(١) صحيح، وقد تقدم.
(٢) صحيح، وقد تقدم.

ثم وقد علمتم أن الذي يكشف السوء هو الله، فلا يرجى لكشف السوء سواه.

ولأن المنتهى إلى الله في جميع الأمور كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] لزمنا أن نتجه إليه في جميع أمورنا ونسأله جميع احتياجاتنا.

فلكوننا ندرك أن المهتدى من هداه الله، والموفق من وفقه الله.

كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧]. وكما قال أهل الإيمان: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وكما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الهدايةَ ولنلتمسْ منه التوفيق.

❑ وأيضًا فالسابق بالخيرات، إنما سبق إليها بإذن الله: كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله أن يجعلنا من السابقين بالخيرات.

❑ ولأن المعصوم من عصمه الله، والمحفوظ من حفظه الله:

قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

ومن ثَمَّ فلنسأل الله أن يعصمنا من الزلل وأن يحفظنا من السوء

والمكروه.

❑ وكما أن خزائن كل شيء بيديه سبحانه وتعالى:

كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

وكما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الذي نريد، ولنطلب منه الذي نرجو، ولنلتمس منه مزيد الفضل والإحسان.

❑ كذلك فمحافظة فرجها والحافظ لغيب زوجها إنما كان ذلك، منها بعون الله:

كما قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله أن يعينها على حفظ ما أمرها الله بحفظه وأن يرزقها العفة والطهر والنقاء.

❑ ولأن الوهاب هو الله ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الذرية الصالحة.

❑ والصابر إنما صبره بالله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا

بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الصبر على البلاء، ونطلب منه العون على ذلك وبذلك كل الأمور، فالذي يسلط قومًا على قوم هو الله، والذي يكف يد قوم عن آخرين هو الله، والذي ينصر هو الله، والشافي هو الله، والذي يكشف الضر هو الله، والذي يعز ويذل هو الله، والذي يرفع ويخفض هو الله، والمثبت من ثبته الله، وهكذا كل الأمور.

فمن ثَمَّ لزمنا أن نتجه إلى ربنا وإلهنا ومالكنا وخالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا نسأله كل ما نريد، ونطلب منه أن يصرف عنا كل ما نكره، ونسأله أن يكشف كل كرب وأن يجلب كل فرج، نسأله الأمن والأمان والسلامة والإيمان والدرجات العلى والنعيم المقيم.

فكان لابد من السؤل، لابد من الدعاء والإلحاح فيه والإخلاص ممتثلين أمر ربنا والآداب التي أدبنا بها، ونقلها إلينا رسوله محمد ﷺ

فعليكم بالدعاء، بارك الله فيكم، ودعاء الله وحده.

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غافر: ١٤].

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: ٦٥].

إن دعاء الله عَزَّ وجل مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شَرٍّ.

وفيه جلب لكل نفع ودفع لكل ضر.

❑ فهل اجتبى الله آدم عليه السلام وتاب عليه وهداه إلا بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات فدعاه بها؟!!

❑ وهل فتحت أبواب السماء بماء منهمر وفجرت عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحمل نوح عليه السلام على ذات ألواح ودسر إلا بعد أن دعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

وكذلك بعد أن دعا فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦].

❑ وخليل الله إبراهيم هل أنجاه الله من النار إلا بعد أن قال حسبنا الله ونعم الوكيل؟!

وهل بشر بغلام حليم إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات: ١٠٠].

وهل أنعم الله عليه وأنجاه وزوجه سَارَّة ـ عليها السلام ـ من الجبار وكف الله يد الكافر الجبار عنها إلا بعد دعاء إبراهيم وسَارَّة عليهما السلام.

❑ وكذلك هاجر عليها السلام التي هي أم نبي الله إسماعيل ﷺ ومن ذريته نبينا محمد ﷺ هل ساقها الله لسارة[1] إلا بعد دعاء سَارَّة: اللهم كف يد الكافرِ؟!

وهل نال إبراهيم عليه السلام هذه المراتب العلية والثناء الحسن ـ ومنه

(١) ثم بعد ذلك وهبها لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

أننا نصلي عليه في كل صلاة. إلا بعد دعائه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤].

❑ ولوط عليه السلام هل أنجاه الله وأهلك أعداءه إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٦٩﴾ [الشعراء: ١٦٩].

❑ ويونس عليه السلام هل أنجاه الله من الغم إلا بعد أن نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

❑ وأيوب عليه السلام هل كشف الله ما به من ضر[1] إلا بعد دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

❑ وداود عليه السلام هل قتل جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

❑ وسليمان عليه السلام هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسال الله له عين القطر، وأفهمه لغة الطير والنمل، إلى غير ذلك مما من الله به عليه وأنعم إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا

---

(١) وليس معنى ذلك أن الله لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف الله الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأسباب والمسببات كما هو معلوم، والله أعلم.

يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

❑ وزكريا عليه السلام هل وهب الله له يحيى وأصلح له زوجه إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]؟!

وبعد أن دعاه فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥]؟!

❑ وهل حفظ الله مريم وابنها وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب ولم يصبها بأذى وهل جعلها الله وابنها آية للعالمين إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]

❑ ونبينا محمد ﷺ يدعو الله فيقول: **«اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام»** فيهدي الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويبلغ من المكانة ما بلغ.

❑ ويدعو لابن عباس رضي الله عنه: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**(١)

فيبلغ من العلم مبلغًا لايبارى ولا يدرك، حتى إن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)(٢) ويقول ابن

---

(١) بهذا اللفظ عند أحمد (١/٣٢٨)، وسنده حسن، وانظر تخريجه في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) **موقوف صحيح**: أخرجه بن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٩).

مسعود أيضًا: (نعم ترجمان القرآن بن مسعود)[١].

❑ وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دعا رسول الله ﷺ بقوله: « **اللهم ارزقه مالًا وولدًا وبارك له** » قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالًا، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة[٢].

❑ وأم حرام بنت ملحان تحظى بدرجة الشهادة في سبيل الله بفضل دعوة رسول الله ﷺ لها[٣].

❑ وتأتي قبيلة دوس مسلمة بفضل قول النبي ﷺ: «**اللهم اهد دوسًا وائت بهم**»[٤].

ولأن المنتهى إلى الله.

❑ أيها الأخوة: إن ربكم سبحانه وتعالى يقول: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم وقول يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.**

يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

---

(١) موقوف صحيح: أخرجه بن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٩).
(٢) البخاري (حديث: ١٩٨٢).
(٣) انظر البخاري (٢٧٨٩، ٢٧٨٨)، مسلم (١٩١٢).
(٤) انظر البخاري (٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤).

فاسألوا الله الهداية، واسألوه أن يطعمكم وأن يسقيكم وأن يكسوكم وأن يغفر لكم إنه كان غفارًا.

ألا. فاستغفروه فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد...

أما وقد سمعتم - بارك الله فيكم - شيئًا عن أهمية الدعاء وكونه عبادة فها هي بعض الآداب المتعلقة به على وجه الإجمال ذكرها العلامة بن القيم رحمه الله تعالى إذ قال: وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وإدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وأخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعًا في القلب، وإنكسارًا بين يدي الرب، وذلًا له، وتضرعًا ورقة، واستقبل الدعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته إلى التوبة والإستغفار ثم دخل على الله، وألح عليه في المسألة، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، ولاسيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.

وقال - رحمه الله - أيضًا:

وكثيرًا ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة قدمت منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف الدعاء وقت إجابة، ونحو ذلك. فأجيبت دعوته: فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعًا في الوقت الذي ينبغي فانتفع به، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء مجردًا كاف في حصول المطلوب فإنه يكون بذلك غالطًا. وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس. ومن هذا قد يتفق من يدعو دعاء باضطرار عند قبر فيجاب له، فيظن الجاهل أن السر في القبر، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى الله، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كن أفضل وأحب إلى الله.

وقال أيضًا:

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه. لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد ساعدًا قويًا، والمانع مفقودًا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحدًا من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر.

وختامًا:

فنسأل الله أن يعيننا وإياكم على حسن دعائه وعلى ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم يا إله الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك.

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه.

وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إمامًا.

اللهم اجمع كلمة المسلمين على طاعتك.

واحفظ نساءهم وشبابهم واحقن دماءهم واصرف عنهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وفك آسرانا وأسرى المسلمين، يارب العلمين.

ألا وصلوا وسلموا على نبيكم محمد ﷺ فإن صلاتكم تصل إليه.

وأقم الصلاة.

أجيب دعوة الداع إذا دعان

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال جل ذكره: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فكما هو واضح بارك الله فيكم من هاتين الآيتين أن فيهما الحث على الدعاء والترغيب فيه.

وفيها كذلك إخبارٌ وإعلامٌ بأن الله يجيب دعوة الداع إذا دعاه.

وهذا المعنى المذكور في هاتين الآيتين الكريمتين قد توارد في جملة من الآيات.

قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

وقال بعض أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[الشورى: ٢٦] أن معناه: يجيب الله من دعاء الذين آمنوا ويعطيهم أكثر مما سألوا(١).

(١) وثم وجوه أخر في تفسير الآية الكريمة.

وهنا يبدو تساؤل نورده مع التفصيل في الإجابة عليها لما في ذلك من نفعٍ، ودفع لشكوك، ولما في ذلك من طمأنينة للقلب وراحة للبال، ويقين بوعد الله عز وجل. حاصل هذا التساؤل والاستفسار هو: أما وقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] فما بال أقوام يرفعون أيديهم إلى السماء سائلين ربهم ولا يرون أن قد استجيب لهم دعاء؟!!

فللإجابة على هذا التساؤل نقول وبالله التوفيق:

ابتداء فإن قول الله حق، ووعد الله صدق، والعبد يثاب كلما رفع يديه وكلما دعا؛ فالدعاء عبادة كما قدمنا، وسواء استجيب الدعاء في الظاهر أم لا ولكن دفعًا للشكوك والريب، وجلبًا لطمأنينة القلب، وحثًا على مواصلة الدعاء، نورد ما ذكره أهل العلم من أوجه لدفع هذا الإشكال، وما أوردوه للإجابة على هذا السؤال فنقول، وبالله التوفيق:

قد أورد العلماء عدة أوجه لذلك، نورد منها ما يلي:

الوجه الأول: أن الدعاء قد يستجاب ولكننا لا نعرف الصورة التي يستجاب بها الدعاء، فقد تكون الاستجابة تتمثل في صرف السوء عن الداعي، وقد تتمثل صورة الإجابة في ادخار الإجابة إلى الآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**»(١).

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٩) وإسناده حسن.

وكإيضاح لذلك: فقد يدعو رجل فيقول: اللهم ارزقني، اللهم ارزقني، فيرزقه الله عز وجل عاجلًا أو آجلًا.

أو تكون هناك خسارة ستحل به فيصرفها الله سبحانه وتعالى عنه، أو يكون هناك مرضٌ وبلاءٌ سينزل به ويستنزف منه أموالًا للعلاج فيصرف الله ذلك عنه، أو أنه سيشتري أشياء غير نافعة فيصرفها الله عنه إلى غير ذلك من الصور.

أو يكون هناك رجل قام يدعو: اللهم عافني من مرضي وأذهب عني البأس، ولا يرى أن البأس في الظاهر قد ذهب، ولكن قد يكون المرض سيتطور، فيصرف الله هذا عنه.

أو أن رجلًا هنالك يقول: رب ارزقني، وقد علم الله أن التوسعة عليه في الرزق ستؤثر على درجاته في الجنات، فيدخر الله له رفعة الدرجات في الجنان، وذلك خير وأبقى، فلا يسع العبد حينئذ إلا أن يواصل الدعاء ثم إن ربه سبحانه يتولاه ويعطيه من الخير ما سأله وما لم يسأل.

الوجه الثاني: من العلماء من قال: إن الآية الكريمة مقيدة بمشيئة الله عز وجل، والمعنى: أجيب دعوة الداع إن شئت، ومستند القائلين بهذا القول هو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤١]، لكن الذي يُعكر على هذا القول هو أن سياق هذه الآية الكريمة إنما هو في المشركين[1].

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى «أضواء البيان» (١/ ١٠٤): وقال بعضهم: التعليق =

ولكن هذا التعكير لا يتم أيضًا، فالأمور كلها بيد الله إن شاء تفضل وأعطى ووهب، وإن شاء عاقب وحرم ومنع.

الوجه الثالث: أن المراد بالدعاء هنا دعاء العباد ربهم أن يتقبل منهم أعمالهم ويثيبهم على طاعتهم، وإجابة هذا من الله معناها الوفاء لهم بما وعدهم به وبما ضمنه للمطيعين من الثواب كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦]، فمعنى أجيب دعوة الداع[١]: أتقبل عمل العامل وأثيبه عليه، وشاهد ذلك قول رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»[٢].

الوجه الرابع: قال بعض أهل العلم: إن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك فيجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو المنع.

وكإيضاح لذلك: قد يسأل سائل ربه عز وجل أن ييسر له سفرًا إلى بلدة من البلدان ويجتهد في الدعاء، وسفره رغبة في طلب الرزق، وقد ادخر الله

= بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين، وعليه فدعاؤهم لا يُرد، إما أن يُعطوا ما سألوا أو يدخر لهم خير منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره.

(١) قال ابن القيم رحمه الله: الدعاء نوعان: دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين، والاستجابة أيضًا نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثني بالثناء. وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] والصحيح أنه يعم النوعين.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

له رزقًا في بلدته، فلا يجاب إلى سؤاله للسفر، ويرزقه الله رزقًا واسعًا في بلدته أو يكون هناك بلاءٌ سيحل به في سفره، فيصرفه الله عنه، والله يعلم ونحن لا نعلم.

وقد يسأل الشخص ربه أن يتزوج بفلانة لما يراه فيها من حسن وجمال ومنظر وبهاء، ولكن قد علم ربه أن في الزواج منها شرًّا وأنها ستكون عقيمًا أو بذيئة اللسان أو ليست أمينة على نفسها وبيتها. أو ليست بمحسنة إلى أهله ووالديه، وليست بجميلة المعاشرة فيصرف الله عنه الشر وهو لا يشعر.

الوجه الخامس: ذكر بعض العلماء هنا أن معنى «أجيب» أي: أسمع، فقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] أي: أسمع دعوة الداع وذاك كقولنا في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله [(١)].

الوجه السادس: أن المراد من الدعاء التوبة من الذنوب، وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة [(٢)].

(١) قال الرازي في تفسيره: وقال ابن الأنباري «أجيب» هاهنا بمعنى أسمع لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله. فكذا هاهنا قوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، أي: أسمع تلك الدعوة فإذا حملنا قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا الوجه زال الإشكال.

(٢) والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

الوجه السابع: أن الإجابة قد تتأخر حتى يجتهد الداعي في الدعاء، وكلما اجتهد في الدعاء أثابه الله ورفع درجته، ومن ثم ابتلي بعض الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، ودعوا ربهم كثيرًا كثيرًا، وتأخرت الإجابة مع اجتهادهم في الدعاء، فهذا نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه ثمانية عشر عامًا حتى رفضه القريب والبعيد، ومع ذلك يدعو ويدعو ويدعو ويخرج من البلاء صابرًا محتسبًا يثني عليه ربه فيقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤] وهذا الحديث بذلك:

أخرج أبو يعلى[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَيُّوبَ نبي الله كان في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلانِ من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان إليه، فقال أحدهما لصاحبه: أتعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد، قال صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف عنه؟ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما يقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى إلى أيوب في مكانه: أن ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فلقيته ينتظر وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان،

(١) أبو يعلى بإسناد صحيح (٣٦١٧).

فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ ووالله على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو. وكان له أندران أندر للقمح، وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض».

وهذه أم المؤمنين عائشة ترمى بما رُميت به من الإفك والبهتان وتدعو، وكل المسلمين يدعون ربهم ويستمر البلاء ويستمر، بل وينقطع الوحي عن رسول الله ﷺ فتزداد المشقة وتزداد ثم يكشف الله عز وجل الكرب ويرفع الله عز وجل البلاء، وكان بالإمكان أن تجاب الدعوات لأول وهلةٍ، وفي أول لحظة ولكن ليرفع الله درجات أقوام، وليوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، وأيضًا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليميز الله الخبيث من الطيب، وليظهر الله أهل الإيمان من أهل النفاق.

ونبي الله سحر [(١)]، فدعا ودعا ودعا واستمر به سحره زمنًا، ولا يعجز الله عز وجل أن يشفي نبيه من أول لحظة؛ بل هو قادر على أن يحفظ نبيه من أن يصاب بأذى ولكنه ﷺ يبتلى ﷺ ويدعو ويثيبه الله على كل دعوة دعا بها.

وهذا نبي الله يعقوب ﷺ يفقد ولده يوسف عليه السلام عشرات

(١) حديث سحر النبي ﷺ أخرجه البخاري (٥٧٦٥، ٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه أنها قالت: سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليُخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه... الحديث.

السنين، ومع ذلك لا ييأس ولا يقنط من رحمة الله بل يقول: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وجده الخليل إبراهيم عليه السلام يبشره الملائكة بالغلام الحليم فيقول: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦].

الوجه الثامن: أن تكون هناك موانع تمنع من إجابة الدعاء:

كأن يدعو الشخص بإثم أو قطيعة رحم، ففي الحديث: «**يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم ولا بقطيعة رحم**»[(١)].

وكأن تكون هناك دعوة مظلوم يدعو بها على الظالم، فدعوة المظلوم تغلب دعوة الظالم وتقهرها.

فعلى سبيل المثال يرفع الظالم يديه بالدعاء، وهناك مظلوم يئن ويتوجع ويدعو على ظالمه فترى أي الدعوتين تجاب؟! إن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويقول: «**بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِين!**»[(٢)].

وكأن يرفع الشخص يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام

(١) مسلم (٢٧٣٥).
(٢) الترمذي (٢٠٢٥، ٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٧٩٨٣)، (٩٤٥٠).

وملبسه حرام، فأنى يستجاب له؟

قال رسول الله ﷺ[(١)]: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

فترى كيف يستجاب من فم ملوث بالحرام؟ وكيف يستجاب من جسم نبت من سحت؟

فهذه أيها الأخوة بعض الأوجه التي ذكرها العلماء والفضلاء كجواب لمن سأل ما بالنا ندعو ولا نرى أن الدعاء قد استجيب؟

كما قد قال ربكم: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ أي إذا أمرتهم بدعائي ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ أي وليصدقوني ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

ألا فأيقنوا بوعد الله وبأنه سبحانه يستجيب لكم إذا دعوتموه.

تقبل الله منا ومنكم صالح الدعوات.

ورزقنا الله وإياكم الفقه في كتابه وسنة نبيه ﷺ ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فقد سمعتم بارك الله فيكم أقوالًا لأهل العلم في تفسير الآية الكريمة فيلزمنا إذن مواصلة الدعاء، ومواصلة الرجاء وعدم القنوط من روح الله وعدم اليأس من رحمته.

فنحن دومًا في عبادة ما دمنا في دعاء!

فلا تملوا من الدعاء بارك الله فيكم فأنتم عليه مأجورون!

ودعاءكم مجاب إن شاء الله ما دمتم بآدابه ملتزمون لقد قال نبيكمﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ ربي فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»(١).

وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضًا عن النبيﷺ أنه قال: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

ورسولناﷺ يوم بدر(٢) استقبل القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «اللهُمَّ أَنْجِز لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتِنِي، اللهُمَّ إنْ تُهْلك هَذِه العِصَابَة مِنْ أَهْل الإسْلَام لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ» فما زال يهتف بربه مادًّا يديه

(١) البخاري (حديث ٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي) (١٧/ ٥١).
(٢) مسلم مع النووي (١٧/ ٥٢).

مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩](١).

وقد سحر النبي ﷺ فدعا ودعا(٢).

ومن ذلك قول النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص لما شكى إليه وجعًا يجده في جسده منذ أسلم: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٣).

وكذلك آخر أهل الجنة دخولًا الجنة وخروجًا من النار، رجل يقول: «**يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْني أَشْقَى خَلْقَك، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَك فَإِذا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا**»(٤).

ثم إن النبي ﷺ كان يكرر الدعاء ويواصل:

فمن تكريره الدعاء، دعاؤه على قريش بقوله: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»(٥).

---

(١) مسلم حديث (١٧٦٣).

(٢) البخاري حديث (٥٧٦٣)، ومسلم حديث (٢١٨٩).

(٣) مسلم حديث (٢٢٠٢).

(٤) البخاري حديث (٦٥٧٣)، ومسلم حديث (١٨٢).

(٥) أخرج ذلك البخاري حديث (٢٤٠)، ومسلم مع النووي (١٢/ ١٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، =

وقول النبي ﷺ[1]: «اللهُمَّ اسْقِنَا اللهُمَّ اسْقِنَا اللهُمَّ اسْقِنَا»، وذلك لما أتاه رجل وهو قائم على المنبر يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا.

وكان النبي ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا[2].

أما عدم اليأس من رحمة الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وهذا نبي الله يعقوب ﷺ ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشتد روعه وألقي ولده في الجب ولا يدري عنه شيئًا، وأخرج الولد من الجب ودخل قصر العزيز إلى أن شب وترعرع ثم راودته المرأة عن نفسه فأبى وعصمه الله ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ثم أخرج من السجن وكان على خزائن الأرض ومع طول هذا الوقت كله ويعقوب يقول لبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟

= فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئًا، لو كانت لي منعةٌ. قال: فجعلوا يضحكون ويُحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: **«اللهم عليك بقريش»** ثلاث مرات. فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: **«اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية ابن خلف، وعقبة بن أبي معيط»** وعد السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر.

(١) البخاري مع الفتح (٢/ ٥٠١)، ومسلم مع النووي (١/ ٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٧٩٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا لا يطرد، فقد ورد في عدة أحاديث أن النبي ﷺ دعا فلم يكرر دعاءه.

فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ونبي الله أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمانية عشر عامًا حتى رفضه القريب والبعيد وعجز الأطباء عن مداواته، ومع ذلك لا ييأس من رحمة الله، بل يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فيكشف الله ما به من ضر ويثني الله عليه خير ثناء فيقول سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأجارنا الله وإياكم من مضلات الفتن.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم انصر المسلمين وارفع رايتهم، واخذل عدوك وعدوهم يا رب العالمين.

ألا وأكثروا بارك الله فيكم من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الشفاعة

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

اعلموا بارك الله فيكم أن الشخص يترقى في الجنان، ويبلغ الدرجات

العُلى ويحظى بالنعيم المقيم بحسن المقصد وسلامة المعتقد ومن ثَمَّ فكان لزامًا أن يقف المرء منا على أصول دينه ويصحح منهجه ومعتقده وفق كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ ثم بسؤال أهل الذكر إن كان لا يعلم.

هذا، ومن أمور المعتقد التي يجب أن تفهم في ضوء الوارد في كتاب الله وسنة رسول الله محمد ﷺ مسألة الشفاعة فجديرٌ بها أن تفهم، وجديرٌ أن تُحقَّق وأن تُجلَّى، فأذكِّر نفسي وإخواني في هذه الخطبة ببعض الوارد في أبواب الشفاعة وبالله التوفيق وهو المستعان.

أما عن معنى الشفاعة لغة: فالشفع ضد الوتر فالذي يشفع لشخص كأنه ينضم إليه لقضاء حاجته فيصيره شفعًا بعد أن كان وترًا.

ويراد بالشفاعة التوسط للتجاوز عن الذنوب والجرائم ويُراد بها أيضًا التوسط لجلب خيرٍ أو لدفع ضُرٍّ عن شخص من الأشخاص.

هذا، وقد وردت آيات نفت الشفاعة مطلقًا، وكذا نفت الشفيع، ووردت أيضًا آيات أثبتت الشفاعة والشفيع.

أما الآيات التي نفت الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨].

قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

أما الآيات التي أثبتت فيها الشفاعة والشفيع، فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ

قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١٠٩- ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وكل هذه الآيات أثبتت الشفاعة بقيود.

وكما هو معلوم أن كتاب الله ليس بين آياته تضارب إذ الله قال ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ فالجمع بين ما ذكر من الآيات التي نفت الشفاعة والآيات التي أثبتتها يتم ويتضح بالآتي:

أولًا: لابد أن يعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

ثانيًا: لا شفاعة في كافر[١] لقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ

(١) ويستثنى من هذا أبو طالب عم رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماعه**» وقد جاء هذا مجزومًا في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، فأبو طالب مستثنى، ثم إن الشفاعة لم تخرجه من النار، وقد يقال: إن الكافر الداعي إلى كفره ليس كالكافر الذي لا يدعو إلى الكفر وهذا =

حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

ولقول الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول: يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين»(١).

ثالثًا: أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رابعًا: أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله سبحانه وتعالى: لقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

خامسًا: أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

=صحيح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت: ١٢- ١٣].
وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ [النحل: ٢٤- ٢٥].
فأبو طالب كان كافرًا لكنه لم يكن داعيًا إلى الكفر بل كان منافحًا عن رسول الله ﷺ فمن ثم خفف عنه.
لكن صراحة حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «ولولا أنا...» أقوى من هذا المفهوم، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٦٩).

يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤].

الشفاعات على وجه الإجمال تحصل لي أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي:

- شفاعات في الآخرة.
- شفاعات يشفعها أقوام أحياء لقوم قد ماتوا.
- شفاعات بين أهل الدنيا في دنياهم.

أما على وجه التفصيل فالنسبة لشفاعات الآخرة فنذكر منها الآتي:

١- **الشفاعة العظمى**: «والشافع فيها هو رسول الله ﷺ بإذن ربِّه عزَّ وجل وهي التي ذكرها النبي ﷺ في حديث: «أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهنَّ أحدٌ

قَبْلِي: نُصِرتُ بالرُّعْب مسِيرَةَ شَهْر ...» الحديث وفيه: «وأعطِيتُ الشَّفَاعة»[١].

وهي المذكورة أيضًا في قول النبي ﷺ لأبي بن كعب يا أبي[٢] «أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ على أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

وهي المذكورة كذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهذه الشفاعة تكون لأمور ثلاثة:

الأول: للتفريج عن الناس مما هم فيه من الغم والكربات التي لا يطيقونها ولا يحتملونها لما يجمعهم الله عز وجل في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس من رءوسهم.

الثاني: لإدخال أقوام الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) مسلم حديث (٨٢٠).

(٣) البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨).

الثالث: لإخراج أقوام من النار.

وها هي بعض الأحاديث الواردة في بيان هذه الشفاعة العظمى:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين[1] وفيه: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ. فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ. خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ. وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي. نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى

---

(١) البخاري (٣٠٩٢)، ومسلم (٢٨٧).

إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ. نَفْسِي. نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا. نَفْسِي. نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ. فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي. نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي. ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ. سَلْ تُعْطَهْ. اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. وَهُمْ

شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

وفي الصحيحين أيضاً[1] من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، كذلك فيقولون ... فذكر الحديث وفيه: «فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

أما الأدلة على الشفاعة لدخول الجنة فمنها:

حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»[2]، وفي رواية عن أنس أيضًا قال: قال

(١) البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣).
(٢) مسلم حديث (١٩٦).

رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[(١)].

وهذا حديث أيضًا في الشفاعة لدخول الجنة، ألا وهو حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا[(٢)]: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ. فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ. اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ. فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ. ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ. تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ! سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ

(١) مسلم: (١٩٧).

(٢) مسلم حديث (١٩٥).

وهذا حديث عظيم جدًا في التحذير من خيانة الأمانة وقطع الرحم، فالأمانة والرحم صورتا وشخصتا على الصورة والصفة التي يريدها الله عز وجل وقامتا على جنبتي الصراط تسقطان وتخطفان من فرط فيهما في الدنيا، كذا فهمت، سلمنا الله والمسلمين، والله أعلم.

أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا. قَالَ: وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا».

أما الشفاعة لإدخال قوم الجنة بغير حساب، فقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: أن النبي ﷺ قال: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا ربِّ أُمَّتِي فَيُقَال: يَا مُحَمَّد أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِك مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَن وَهمْ شُرَكَاء النَّاسِ فِيمَا سِوَى من الأَبْوَابِ».

أما النوع الثاني من أنواع الشفاعات الأخروية: فهو الشفاعة لأهل الكبائر، وقد ورد فيها حديث خاص، وعمومات كذلك.

أما الحديث الخاص بشأنها فقول النبي ﷺ «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِر مِنَ أُمَّتي»(١).

أما الأحاديث العامة في ذلك فمنها: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، أو من نفسه»(٢).

وقول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

(١) صحيح بمجموع طرقه: انظر حم (٣/ ٢١٣)، ود (٤٧٣٩) فله طرق كثيرة.
(٢) البخاري (٩٩، ٦٩٧٠).
(٣) البخاري «مع الفتح» (٨/ ٣٩٩).

فيدخل في هذا أهل الكبائر أيضًا، وهذه شفاعات أيضًا، أخرج البخاري[١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة... فذكر الحديث وفيه أن النبي ﷺ قال: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

ومن الدليل أيضًا على شفاعة الملائكة قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

والقرآن يشفع، وخاصة البقرة وآل عمران:

أخرج مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه»[٢] من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا

(١) البخاري (٧٤٣٩).
(٢) مسلم حديث (٨٠٤).

تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ(١) أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ(٢) مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ(٣)».

وشفاعة الآباء للأبناء مستندها:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١].

وشفاعة الأبناء للآباء مستندها:

ما أخرجه مسلم(٤) من طريق أبي حسان قال: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ نَعَمْ «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ أَوْ قَالَ بِيَدِهِ كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ».

وأخرج الإمام أحمد رحمه الله بإسناد حسن من حديث بعض أصحاب النبي ﷺ: «يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ قَالَ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا قَالَ: فَيَأْتُونَ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا لِي

(١) المراد: سحابتان.
(٢) الفرق هو الجماعة أو القطعة.
(٣) البطلة هم السحرة.
(٤) مسلم (٢٦٣٥).

أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ قَالَ: فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ فَيَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ»[(١)] .

وشفاعة الشهداء مستندها:

حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ».

وهاهم أحياء يشفعون لأموات:

أخرج مسلم[(٢)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ فَقَالَ يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

وأخرج مسلم[(٣)] من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ».

---

(١) المسند (٤/ ١٠٥).

(٢) مسلم (٢/ ٦٥٥) حديث (٩٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٥٤) حديث رقم (٩٤٧) وفيه بعض الانتقاد ويشهد له ما قبله والمسلمون في الحديث الثاني لا يشركون بالله شيئًا.

شفاعة الأبناء لآبائهم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[(١)]

نسأل الله أن يشفع فينا وفيكم نبينا محمدًا ﷺ

استغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠٩) بإسناد حسن.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فقد سمعتم بارك الله فيكم بعض الوارد في باب الشفاعة وهذه أسباب تجلب الشفاعة نذكِّر بها لعل الله أن يرزقنا وإياكم شفاعة سيد المرسلين.

من هذه الأسباب بارك الله فيكم ما يلي:

حفظ كتاب الله عز وجل، وخاصة سورتي البقرة وآل عمران.

وقد تقدم الحديث بذلك، وها هو حديث آخر أخرجه مسلم[(١)] في «صحيحه» من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ[(٢)] أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ[(٣)] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ[(٤)] عَنْ صَاحِبِهِمَا».

ومنها: سكنى مدينة رسول الله ﷺ والصبر على لأوائها فقد أخرج مسلم في «صحيحه»[(٥)] من طريق: سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ

(١) مسلم (٨٠٥).
(٢) شرق أي ضياء ونور.
(٣) حزقان أي قطعتان، جماعتان.
(٤) تدافعان.
(٥) مسلم (١٠٠٢).

لَيَالِي الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا**».

ومنها: الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكرير ما يقوله المؤذن فقد أخرج مسلم[(١)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**».

ومنها: كثرة السجود فقد أخرج أحمد في مسنده[(٢)] من حديث خادم النبي ﷺ رجل أو امرأة، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ: «**أَلَكَ حَاجَةٌ**» قَالَ: حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَاجَتِي قَالَ: «**وَمَا حَاجَتُكَ؟**» قَالَ. حَاجَتِي أَنْ تَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ. «**وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى هَذَا**» قَالَ:

---

(١) مسلم: (٣٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٠) من طريق عفان ثنا خالد يعني الواسطي «قال مصطفى وهو خالد الطحان» قال: ثنا عمرو بن يحيى الأنصاري عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم النبي ﷺ. . . وهذا إسناد صحيح. وقد أخرج مسلم (حديث ٤٨٩) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك**» قلت: هو ذاك قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» أخرجه مسلم (حديث ٢٠٠٦).

رَبِّي قَالَ: «إِمَّا لَا فَأَعِنِّي بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

واحذر اللعن، فإنه يحرمك الشفاعة يوم القيامة.

فقد أخرج مسلم رحمه الله من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

أما الشفاعات الدنيوية فمنها ما هو مشروع، ومنها ما ليس بمشروع بل محرم قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: ٨٥].

وقد حث رسول الله ﷺ على الشفاعات ما دامت مشروعة وحلالًا ولن تذهب بحقوق قوم، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه(٢) كان إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشْفَعُوا تؤْجَروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**» أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وأخرج البخاري(٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن زوج بريرة كان عبدًا يقال لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ

---

(١) مسلم (٢٠٠٦).

(٢) البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٣) البخاري (٥٢٨٣).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.

أما الشفاعة الدنيوية المحرمة فلها صور كثيرة جدًّا، فمن ذلك الشفاعة عند السلطان لإسقاط حدٍّ من حدود الله قد وجب على شخص.

أخرج البخاري[1] ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «يا أيها الناس إِنَّمَا ضلَّ[2] الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

ويدخل في الشفاعات المحرمة الواسطة التي تذهب بحقوق أناس إلى آخرين لا حق لهم.

ومن ذلك التوسط لدى الأساتذة والمدرسين لرفع درجات بعض الطلاب على حساب الآخرين، فهذا محرم.

والوساطة لإعطاء الناس من المال العام ما ليس لهم.

---

(١) البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) في رواية «هلك».

والتوسط لتقليد وظيفة ليس لها بأهل. إلى غير ذلك من صور الوساطات المحرمة.

جنبنا الله وإياكم كل سوء ومكروه.

اللهم شفِّع فينا نبيا محمدًا ﷺ.

اللهم اجعلنا شفعاء وشهداء يوم القيامة، اللهم ألزمنا صراطك المستقيم، وارزقنا حسن الاتباع لسنة نبيك الكريم ﷺ.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم واغفر لنا ولوالدينا يا غفور يا رحيم.

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

هذا وصل اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين.



الإيمان بالملائكة وأثره في السلوك والعمل

إنَّ الحمد لله نَحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فالحديث اليوم - إن شاء الله تعالى وقدَّر - يتعلق بركن عظيم من أركان الإيمان، ألا وهو الإيمان بالملائكة، وأثره في التصرف والسلوك.

فأقول، وبالله التوفيق.

ابتداء فإن الإيمان بالملائكة يدخل في الإيمان بالغيب لكوننا لا نراهم.

وقد أثنى الله عز وجل على المؤمنين بالغيب إذ قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البَقَرَة: الآيات ١-٣].

أما كون الإيمان بالملائكة ركنًا من أركان الإيمان؛ فبقوله ﷺ: «الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ بالله، وَملائِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْم الآخِرِ، وأَنْ تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه»(١).

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥].

هذا، والذي ينكر الملائكة ويكفر بهم، فقد كفر وخرج من الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النِّساء: الآية ١٣٦].

ثم إن الإيمان بهم يجب أن يكون على الوصف الوارد في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسول الله ﷺ.

(١) مسلم حديث رقم (٨).

وقد قال تعالى في شأن فريق من أهل الكفر آمنوا بالملائكة ولم ينفعهم إيمانهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ [النَّجم: الآية ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩].

فلذا لابد من الإيمان بهم على الوجه المذكور في كتاب الله عز وجل حتى لا نضل ولا نشقى.

أما عن خلقهم فقد خلقوا من نور، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»(١).

وقد خلقوا قبل آدم عليه السلام، إذ الله قال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٠].

ثم إنهم متفاوتون في الخلق.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فَاطِر: الآية ١].

وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام له ستمائة جناح(٢).

---

(١) مسلم (٢٩٩٦).
(٢) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

وقد أخرج أبو داود[(١)] بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ. إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ».

ثم إنهم أقوياء.

قال تعالى في شأن جبريل عليه السلام: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: الآية ٢٠].

وقال في شأن النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: الآية ٦].

وقال ملك الجبال لرسول الله ﷺ: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»[(٢)].

ثم هم في غاية الكثرة، لا يعلمهم في عددهم إلا الله.

فالبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه[(٣)].

وأخرج الطبراني بسند صحيح لشواهده أن النبي ﷺ كان في أصحابه، فقال لهم: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَع؟» قالوا: ما نسمع من شيء قال: «إِنِّي لأَسْمَع أطِيطَ السَّمَاء، ومَا تُلَام أَنْ تَئِط، ومَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إلا عَلَيْه مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِم»[(٤)].

---

(١) أبو داود (٤٧٢٧).
(٢) البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).
(٣) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).
(٤) الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٢٤).

أما عن عبادتهم وشأنهم فإنهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٠].

إنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

لا يستكبرون عن طاعة ربهم ولا عن عبادته بحالٍ من الأحوال قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية ١٧٢].

إنهم يصفون عند ربهم، فقد قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

وقال النبي ﷺ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[(١)].

إن أفضل كلامهم، والذي اصطفاه الله لهم، هو قول «سبحان الله وبحمده».

فقد سئل النبي ﷺ[(٢)] أي الكلام أفضل؟ قال: «مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ، سبْحَانَ الله وبحَمْدِه».

---

(١) مسلم حديث (٤٣٠).

(٢) مسلم (٢٧٣١).

وكذلك فالملائكة تستغفر لأقوام وتلعن آخرين.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: الآية ٧].

وقال تعالى في شأن أقوام: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]. وتصلي على المرء ما دام في مصلاه تقول: «اللهم ارحمه اللهم اغفر له»[١].

وتصلي على من يكرمون الأضياف.

ففي الحديث: «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة».

إنها تحب أقوامًا وتبغض آخرين.

ففي الحديث[٢] «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

(١) انظر «البخاري» (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩).
(٢) مسلم (بنحوه ٢٦٣٧).

إنها تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، كما ورد في الحدبث عن رسول الله ﷺ[(١)].

وكذلك فإنها تستحي من أقوام ففي الحديث «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَة»[(٢)].

إنها تقرأ السلام على أقوام، كما قال النبي ﷺ لعائشة: هذا جبريل يقرؤك السلام[(٣)].

وترد عليك السلام يا مسلم إذا سلمت على أخيك فلم يرد عليك[(٤)].

وكانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه[(٥)].

وتصلي على العباد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٣].

وتصلي على النبي محمد ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

إنها تُؤَمِّن مع المؤمنين في الصلاة، ففي الحديث[(٦)]: «من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غُفر له ما تقدم من ذنبه».

(١) مسلم (٥٦٤).
(٢) مسلم (٢٤٠١).
(٣) البخاري (٣٢١٧) ومسلم (٢٤٤٧).
(٤) أحمد (٤/ ٢٠) بسند صحيح.
(٥) مسلم (١٢٢٦).
(٦) البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

وكذلك تؤمن على الدعاء عند الاحتضار.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حضَرْتُمُ الميِّت» وفي رواية «المريض»: «فَقُولُوا خيْرًا فَإِنَّ المَلَائِكَة يؤَمِّنُون على ما تقُولُونَ»[(١)].

إنها تدعو للمنفق، ففي الحديث: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[(٢)].

إن سيدهم وكبيرهم جبريل عليه السلام.

ومن ثَمَّ قدم في الذكر.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ﴾ [التّحْرِيم: الآية ٤].

وقال تعالى في شأن جبريل: عليه السلام: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التّكوير: الآية ٢٠] أي له مكانة عند ذي العرش ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التّكوير: الآية ٢١] أي مطاع هناك يطيعه أهل السماوات ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي.

---

(١) مسلم حديث (٩١٩).

(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

إنهم تخصصات:

فمنهم حملة العرش، ومنهم السفرة بين الله وخلقه، ومنهم من يحمل الصلاة منا إلى رسول الله ﷺ(١) وفيهم الكتبة الذين يكتبون الأعمال، ومنهم الحفظة. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

ومنهم ملائكة تلتمس مجالس الذِّكر. وتحف الذاكرين، وتتنزل عليهم.

ومنهم الذي ينفخ في الصور.

ومنهم الذين يكتبون الداخلين إلى المساجد أولًا بأولٍ، ومنهم الحفظة الذين يحفظون أعمال العباد بإذن الله، ويحفظون العبد بإذن الله، من كل مكروه وسوء لم يرده الله به

ومنهم ملك الموت، بل ملائكة قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١] وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦١] .

ومنهم النازعات الذين ينزعون أرواح الكفار بشدة.

ومنهم الناشطات الذين ينزعون أرواح المؤمنين برفقٍ ولينٍ.

ومنهم ملائكة موكلون بالأرحام وحفظ الأجنة فيها بإذن الله(٢).

---

(١) أحمد بسند صحيح (١/ ٣٨٧).

(٢) انظر مسلم (٢٦٤٤)، والبخاري (٣٢٣٢).

ومنهم خزنة الجنة، وكذا خزنة النار وعليهم مالك خازن جهنم.

ومنهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب.

ومنهم ملائكة تحرس المدينة من دخول الدجال إليها(١).

ولقد قاتلت مع المسلمين يوم بدر(٢).

وفي الصحيح(٣) جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟**» قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: «**وَكذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلَائِكَة**».

وعند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال أبو جهل لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**لَوْ فَعَلَ لأَخَذَتْهُ المَلَائِكَة**»(٤).

إنها تشهد صلاة الفجر وصلاة العصر.

قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٨].

وقال ﷺ: «**يتعَاقبُونَ فيكُمْ ملائِكَةٌ بالليل وملَائِكَةٌ بالنَّهار، فيَجْتمعُون في صَلاةِ الصُّبْح وفي صلاةِ العصْر**».

---

(١) البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).
(٢) مسلم (١٧٦٣).
(٣) البخاري (٣٩٩٢).
(٤) البخاري (٤٩٥٨).

نسأل الله أن يُشَفِّع فينا وفيكم ملائكته الكرام.

ألا فاستغفروا ربكم، إنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد سمعتم -بارك الله فيكم- شيئًا عن ملائكة الرحمن عليهم السلام وصفاتهم وأعمالهم وعبادتهم، ولهذا بلا شك، أثره على السلوك والعمل، ولمزيد بيان لأثر الإيمان بالملائكة على السلوك والعمل، أقول وبالله التوفيق:

إن الذي يوقن بأن الملائكة تكتب أعماله وتسجلها كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٨٠].

وكما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

وكما قال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: الآية ١٨].

الذي يوقن بهذا، بلا شك أنه سيحافظ على الألفاظ التي تخرج منه ولا يتكلم إلا بخير.

فلا تراه شتَّامًا سبابًا لعانًا مغتابًا، بل تراه ذاكرًا شاكرًا ساعيًا في الخير داعيًا إلى المعروف مصلحًا بين الناس.

وكذلك:

وإذا علم المسلم أنه إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل[١]، لاستكثر من الدعاء لإخوانه المسلمين.

وإذا علم المتصدق المحسن[٢] أن الملك يدعو له يقول: «اللهم أعط منفقًا خلفًا» لبادر إلى مزيد من الإنفاق والإحسان.

وكذا إذا علم البخيل أن الملك يدعو عليه وعلى أمثاله قائلًا: «اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[٣] لانتهى وانزجر وانكف عن بخله ولأقلع عن شحه.

ولو أيقن الذي يصلي على النبي ﷺ بحديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[٤] لاستكثر من الصلاة على النبي صلوات الله وسلامه عليه[٥].

وكذلك لو أيقن الذاهب إلى الجمعة تمام اليقين أن الملائكة تكتب اسمه حسب ترتيب ذهابه ووقت ذهابه لبادر إلى التبكير.

ولو علم الذي يزور أخًا له في الله - محبة في الله وابتغاء لوجه الله - أن ملكًا استقبل من فعل مثل ذلك وبشر فاعله أن الله قد أحبه كما أحب صاحبه في الله، لبادر المسلم إلى زيارة إخوانه في الله ولله[٦].

---

(١) انظر مسلم (٢٧٣٢، ٢٧٣٣).
(٢) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) أحمد (١/ ٣٨٧) بسند صحيح.
(٥) أحمد في «المسند» (٣/ ٨١).
(٦) انظر الحديث بذلك في «صحيح مسلم» (٢٥٦٧).

وإذا علم هذا المستهتر الذي يترك التصاوير والكلاب في بيته أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة [(١)]، لأبعد التصاوير وعزلها وطرد الكلاب من بيته وكذا إذا علم أن الذي يشير إلى أخيه بحديدة أو بسلاح أن الملائكة تلعنه ما دام مشيرًا إلى أخيه بالسلاح [(٢)] لامتنع عن الإشارة إلى إخوانه فضلًا عن قتاله.

وإذا علمت المرأة التي تبيت وزوجها عليها غضبان أن الملائكة تلعنها حتى تصبح لحرصت تمام الحرص على إرضاء الزوج ما دامت طاعته في طاعة الله [(٣)].

وهكذا دومًا فالإيمان الصحيح يتبعه عمل صالح، واليقين بالملائكة يحمل على صالح العمل.

جعلنا الله وإياكم من المؤمنين المصدقين، وأعاننا الله وإياكم على عمل الصالحات.

وجعلنا الله من المتذكرين المتعظين المعتبرين، اللهم ارزقنا خشيتك في السر والعلن.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا يا رب العالمين.

---

(١) البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦).
(٢) انظر مسلم (حديث ٢٦١٦).
(٣) البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٧).

اللهم اختم لنا بخير، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين، وأقم الصلاة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الجنة وأوصافها (بالدليل من الكتاب والسنة)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فهذا تذكير بالجنة وتشويق إليها، وبيانٌ لما فيها - جعلنا الله وإياكم من

أهلها -.

فأقول - وبالله التوفيق - ابتداء: أين الجنة؟

إذا سألت عن الجنة فهي فوق السماء السابعة؛ وذلك لما تقدمت الإشارة إليه من أن النبي ﷺ رآها ليلة المعراج بعد أن تجاوز السماء السابعة، فقد رأى سدرة المنتهى[(١)]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

فوق الجنة عرش الرحمن كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وقد تقدم، ففيه أن النبي ﷺ قال في شأن الفردوس: «وفَوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

ورائحة الجنة تُوجد عن بُعد وتُشمُّ كذلك عن بُعد:

ففي الحديث: «وإنَّ رِيحَها ليُوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ أربَعِينَ عامًا»[(٢)].

ولقد قال أنس بن النضر يوم أُحُد: «إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا دُونَ أُحُدٍ»[(٣)].

وهناك روايات أخرى.

(١) ففي الحديث: «... ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا». [البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (١٦٢)].

(٢) البخاري (٣١٦٦).

(٣) البخاري (٢٨٠٥).

فمن الناس من يشم رائحة الجنة عن بُعدٍ، ومنهم من يشمها عن مسافة أقرب وأقرب.

وأهل الجنة يعرفونها قبل دخولها:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤- ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[(١)].

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ، فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ».

ويُحشرون إليها وفودًا مكرمين:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

ويُساقون إليها جماعات جماعات:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

(١) البخاري (٢٤٤٠).
(٢) البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٢٨٦٦).

ثم إن الجنة تقترب من أهلها وتستاق إليهم، وتفتح لهم أبوابها وتستقبلهم الخزنة بحفاوة وترحيب، فقد قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ [ق: ٣١] أي: أنها أُدنيت وقُرِّبت.

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

أما عرض الجنة وطولها:

فطولها لا يعلمه إلا الله عز وجل، أما عرضها فقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] فإذا كان هذا العرض فما ظنك بالطول.

أما عن بناء الجنة:

فلبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وهناك جنتان بناؤهما كله من ذهب، وأخريان بناؤهما كله من فضة.

ففي الحديث وسيأتي - إن شاء الله تعالى -: «**جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيتُهُما وَمَا فِيهِمَا وجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنيتهُمَا وَمَا فِيهِمَا**».

وعند ابن راهويه[1] بسندٍ قد يُحسَّن مثله عن أبي هريرة قال: قلت يا

---

(١) «مسند إسحاق» (١/ ٣١٧).

رسول الله، ما بناء الجنة؟ قال: «لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وتربتها الزعفران، وحصبتها اللؤلؤ، من يدخلها ينعم لا يبأس، ولا يخرق ثيابه، ولا يبلى شبابه».

أما عن أبوابها فهي ثمانية أبواب:

ففي «الصحيح»(١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فِي الجَنَّةِ ثَمانِيةُ أَبَوابٍ».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ -، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(٢).

ومنها باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للصلاة، وباب للصدقة... وغير ذلك.

ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ - يَعْنِي الْجَنَّةَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ

(١) البخاري (٣٢٥٧).
(٢) مسلم (٢٣٤).

بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»[(١)].

أما عن سعة أبواب الجنة:

فقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عز وجل، وَمَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَإِنَّهُ لَكَظِيظٌ»[(٢)].

ونبينا محمد ﷺ أول من تُفتح له الجنة:

والجنة لا تُفتح أبوابها لأحد قبل هذا النبي الكريم ﷺ.

أخرج مسلم[(٣)] في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ».

وفي «صحيح مسلم»[(٤)] أن النبي ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ».

---

(١) البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).
(٢) أحمد (٥/ ٣).
(٣) مسلم (١٩٧).
(٤) مسلم (١٩٦).

أما عن أهل الجنة فأهلها أهل الإسلام:

أهل الإيمان، أهل التوحيد، فالجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة كما قال النبي ﷺ، فقد أمر بلالًا أن يُنادي في الناس: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ إلا نَفسٌ مُسلمةٌ»[(١)].

ولقد قال أهل الجنة لأهل النار لما سألوهم: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

إن أهل الجنة هم المتقون[(٢)]:

وصفهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ألا فليصبر الفقراء:

ففي «الصحيح»[(٣)] من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَراء، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

---

(١) البخاري (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١)، وفي بعض الروايات: «إلا المؤمنون».
(٢) الذين اتقوا الشرك بالله.
(٣) البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٨).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ»[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَومَ القِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا»[٢].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في «صحيحه»[٣]: «... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ».

وفي «الصحيحين»[٤] من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ».

وقد جاءت نصوص في أمور من فعلها دخل الجنة: وذلك فيمن قال: لا إله إلا الله، مخلصًا من قلبه، ومن حافظ على الصلوات الخمس مع تحسين الوضوء، والحج المبرور، ومن مات لها اثنان من الولد فاحتسبت، والذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، ومن خاف ربه فله جنتان، والمتحابون في الله، والشهداء، ومن حفظ ما بين لحييه وما بين

---

(١) إسناده صحيح: رواه الترمذي (٢٣٥٣، ٢٣٥٤).
(٢) مسلم (٢٩٧٩).
(٣) مسلم (٢٨٦٥).
(٤) البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

رجليه، ومن تورع عن سؤال الناس شيئًا، ومن بنى لله مسجدًا . . . وأمور شتى - أعاننا الله على كل خير -.

وأمة محمد ﷺ أول الأمم دخولًا الجنة بعد نبيهم ﷺ:

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**».

ومن هذه الأمة سبعون ألفًا، وفي بعض الروايات سبعمائة ألف يدخلون الجنة بغير حساب:

وانظر إلى صفتهم في أثناء الدخول:

ففي «الصحيحين» من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا - أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ - لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»[(٢)].

وفي رواية: «**آخِذٌ بعضُهم بعضًا**»[(٣)].

إن أهل الجنة يتفاضلون تفاضلًا كبيرًا فيما بينهم، ويتفاوتون في الدرجات تفاوتًا أعظم بكثير من ذلك التفاوت في درجات الدنيا.

---

(١) مسلم (حديث ٨٥٥)، واللفظ له، وأصله عند البخاري (٣٤٨٦).
(٢) البخاري (٣٢٤٧)، ومسلم (٢١٩).
(٣) البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩).

قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

وقال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

وأهل الجنة في الجملة ينقسمون إلى قسمين: السابقين المقربين، وأصحاب اليمين:

ولقد ذُكر هذان القسمان في عدة سور من كتاب الله عز وجل، فقد قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ٧- ١١].

وفي آخر السورة قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٨- ٩٤].

أما عن أول زمرةٍ تدخل الجنة فلا اختلاف بينهم ولا تباغض:

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ

(١) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

والغل منزوع من صدورهم:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧].

وطولهم عند دخول الجنة ستون ذراعًا:

ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... خَلَقَ اللَّهُ عز وجل آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ قَالَ: فَذَهَبَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ»(١).

ووجوه أهل الجنة ناضرة بيضاء:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وكما هو معلوم فإنها قلوب أهل الإيمان.

وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة.

(١) البخاري حديث (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٨٤١).

وفي الجنة سادة وسيدات:

فسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[١].

وسيدا شبابها الحسن والحسين رضي الله عنهما[٢].

وسيدة نسائها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣].

عتقاء الله:

في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: . . . فذكر حديثًا طويلًا، وفيه: «فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ

---

(١) حسن بمجموع طرقه: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٥)، وغيره، وانظر كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) صحيح: انظر «مسند أحمد» (٣/ ٣)، والترمذي (٣٧٦٨).

(٣) صحيح: انظر البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٥١).

أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبْدًا»[(١)].

وهناك خلق يُنشئهم الله عز وجل للجنة، فيدخلهم إياها:

ففي الحديث: «... وأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ يُنشِئُ لَهَا خَلْقًا»[(٢)].

أما عن عدد الجنات:

فالذي وقفت عليه بالدليل أنها في الجملة أربع؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢].

ولقول النبي ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[(٣)].

جعلنا الله وإياكم من أهل الفردوس، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

❀ ❀ ❀

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٧).
(٣) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. . .

وبعد:

فهذا مزيد بيان ووصف للجنة وما فيها، فأقول وبالله التوفيق:

أما عن عدد درجات الجنان:

فهذا أمر لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

ومما وقفت عليه من الأدلة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦].

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ في الجَنَّة مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ للمُجَاهدينَ فِي سَبيلِهِ»[١].

وقوله ﷺ: «فَإِنَّكَ لَنْ تَسجُدَ للهِ سجْدَةً إلا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً»[٢].

وقوله ﷺ: «يُقالُ لصاحبِ القُرآنِ اقرَأ وارتَقِ ورَتِّل، فإِنَّ منزِلتُكَ عِنْدَ آخرِ آيةٍ تَقرؤُهَا»[٣].

---

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) مسلم (٤٨٨).
(٣) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٨/ ٢٣٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الجنة منزلةٌ لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله:

يرجوها رسولنا ﷺ لنفسه، ألا وهي الوسيلة؛ ففي الحديث: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[(١)].

وإذا دخل أهل الجنة الجنة وجدوا تربتها - ترابها - مسكًا خالصًا أبيض، ومنها مواطن: تربتها زعفران؛ أما الحصى الذي بها فهو قطع كبيرة من لؤلؤ. فلقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ «صَدَقَ»[(٢)].

وفي بعض الروايات: أن الذي سأل هو ابن صياد، والذي أجاب هو رسول الله ﷺ، والأمر في ذلك قريب.

ووجدوا فيها أيضًا قطع اللؤلؤ الكبيرة العظيمة:

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[(٤)] اللُّؤْلُؤَ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

---

(١) مسلم (مع النووي ٤/ ٨٥)، وجاء ذكر الوسيلة أيضًا عند البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩).

(٢) مسلم (٢٩٢٨).

(٣) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٤) يعني - والله أعلم - قطع اللؤلؤ الكبيرة، فالجنابذ جمع جنبذة وهي كل شيء مرتفع مستدير، وفي الحديث الخيمة درة مجوفة.

ووجدوا فيها أنهارًا لا يعلم عددها إلا الله عز وجل:

قال تعال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي آية أخرى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

ومن هذه الأنهار:

أنها من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وفي الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ[(٢)] الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدُ».

وهذه الأنهار تتفجر من الفردوس:

ففي «الصحيح»[(٣)] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ

---

(١) صحيح لشواهده: وأخرجه الترمذي (٢٥٧١).

(٢) والبحر يُطلق أحيانًا على النهر؛ وذلك لاتساعه، فالبحر يطلق على الشيء الواسع، ومنه الحديث في شأن الفرس: «وإن وجدناه لبحرًا» أي واسع الخطو سريع.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[(١)]

وفيهما نهران ظاهران ونهران باطنان:

ألا وهما سيحان وجيحان والنيل والفرات.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والفُراتُ والنيلُ كلٌّ مِنْ أنْهَارِ الجنَّةِ»[(٢)].

وهذان النهران الظاهران والنهران الباطنان يخرجان من ساق سدرة المنتهى:

ففي «الصحيحين»[(٣)] من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بيْنَا أَنَا نائمٌ عِندَ البَيْتِ...» فذكر الحديث وفيه: «... وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ، وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ، فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ».

وفي الجنة نهر الحياة:

أخرج البخاري ومسلم[(٤)] من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: . . . فذكر الحديث وفيه: «... فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «حادي الأرواح»: وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها.
(٢) صحيح مسلم (٢٨٣٩).
(٣) البخاري (٣٢٠٧).
(٤) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

وفيها كذلك الحوض والكوثر:

أخرج البخاري[١] من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

ومما ورد في وصف الكوثر:

ما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أنس قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) البخاري (٦٥٨١).
(٢) مسلم (٤٠٠).

الرَّحْمنِ الرَّحِيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١- ٣].

ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟».

وفي الجنة تُرع كذلك:

فعند أحمد بسند صحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «مِنبَري هَذَا على تُرعةٍ مِنْ تُرعِ الجنَّةِ»(١).

وفي الجنة عيون كذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥﴾ [الحجر: ٤٥].

ومن هذه العيون السلسبيل، ومنها التسنيم، ومنها الكافور.

قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

---

(١) أحمد بسند حسن (٨٧٠٦).

وقد قال بعض أهل العلم: إن هذه العيون المذكورة - تسنيم، وسلسبيل، وعين الكافور - كلها معدة للمقربين، ولكنها تخلط وتمزج لأصحاب اليمين، فالمقربون منها صرفًا خالصةً صافيةً لم تُشب - أي لم تُخلط - بغيرها.

أما أصحاب اليمين فتُمزج لهم هذه العيون بغيرها، ودل على ذلك ما ذكرِ من الآيات الكريمات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٢- ٢٧].

أي: وخليطه من تسنيم، وإذا سألت عن التسنيم ما هي؟ وجدت جوابًا: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٨] أي يشرب منها المقربون.

فهي تمزج لأصحاب اليمين -الذين هم هاهنا الأبرار - مزجًا ويشرب بها المقربون صرفًا.

هذا؛ ومما ورد في ذكر العيون أيضًا قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرحمن: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرحمن: ٦٦].

وفي الجنة روضات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

وقال النبي ﷺ «مَا بينَ بَيْتِي ومِنبري رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجنَّةِ»[١].

وشجر الجنة كبير وظله ممدود:

قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠]، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لَا يَقْطَعُهَا»، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة: ٣٠].

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»[٣].

وفي هذا الباب عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).
(٢) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).
(٣) البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٨).
وقوله: «المضمر» بضم الميم الأولى وتشديد الميم الثانية صفة سخيل المعلوف بطريقة معينة، وهي أنها تعلف حتى تسمن ثم لا تعلف إلا قوتًا لتخف.

فاكهة الجنة وثمرها:

أما عن فاكهة الجنة وثمرها، فالجنة فيها من كل صنوف الفاكهة ما علمنا منها وما لم نعلم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان: ٥١]، قيل: آمنين من انقطاعها ومضرتها.

وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: ٥٠، ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] أي: لا تكون في وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها فثمارها قريبة دانية يقطفون منها كيف شاءوا.

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، أي أن ثمر الجنتين متدل وقريب.

في الجنة السدر المخضود، والمخضود الذي قد خضد[(١)] شوكه أي نُزع وقطع فلا شوك فيه، والطلح المنضود - وهو الموز -، فيها ﴿وَجَنَّـٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

فيها زرع ونخيل، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٢].

---

(١) وقيل: مخضود بمعنى موقر حملًا، أي أن الشجر قد امتلأ ثمارًا.

وعمومًا ففيها من كل الثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وأما الطلح، فأكثر المفسرين قالوا: إنه شجرة الموز. قال مجاهد: أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ [الواقعة: ٢٩]، وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

وقالت طائفة أخرى: بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالا   غدًا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة طيبة وظل ظليل، وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة: «هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره، فليس له ساق بارز».

وقال مسروق: «ورق الجنة نضد من أسفلها إلى أعلاها، وأنهارها تجري في غير أخدود».

وقال الليث: «الطلح شجر أم غيلان له شوك أحجن من أعظم العضاة شوكًا وأصلبه عودًا وأجوده صمغًا».

قال أبو إسحاق: «يجوز أن يعني به شجر أو غيلان لأن له نورًا طيب الرائحة جدًّا، فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل

سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا، فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي، والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به؛ لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة: هو الشجر العظام من شجر البوادي - والله أعلم -».

والجنة بها غرفٌ وبيوت ومساكن وقصور، وكذلك بها خيام:

أما الغرف: فقد قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥].

وفي الحديث[(١)] عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ[(٢)] مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».

أما البيوت: فقد قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي

(١) مسلم (٢٨٣١)، والبخاري (٣٢٥٦).
(٢) الدري: العظيم شديد الإضاءة، والغابر: الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون.

﴿ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

ولقد قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى للهِ بَيْتًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»(١). وفي رواية: «مسجدًا»، والحديث بهذا متواتر(٢).

أما المساكن: فقد قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ﴾ [الصف: ١٢].

أما القصور: ففي «الصحيح»(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدبرًا»، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

وقد أُمر النبي(٤) ﷺ أن يُبشر خديجة ببيت في الجنة قصب لا صخب فيه ولا نصب.

أما الخيام: فقد قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).
(٢) أعني أنه في أعلى درجات الصحة.
(٣) البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٤) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

وأهل الجنة ينزلون منها حيث شاءوا ويتبوءون منها حيث أرادوا: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وفي الجنة كنوز لمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله:

كما في «الصحيح» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقد قال له النبي ﷺ: «أَلَا أَدُلُّك عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ - أَوْ قَالَ: عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ -»، فَقُلْتُ: بَلَى فَقَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[٢].

سُرر الجنة وفرشها ووسائدها:

أما عن السُّرر والفرش، فالسُّرر مرفوعة عالية، قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الغاشية: ١٣].

وهي مصفوفة كذلك، ليس بعضها خلف بعض، ولا بعيد عن بعض، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور: ٢٠].

وهي موضونة أيضًا - أي منسوجة - وقيل: مرصعة بالجواهر.

وهناك أيضًا الأرائك: وهي الأسرة - جمع سرير - في الحجال، وأشبه ما يرى في زماننا به - مع الفارق بين متاع الدنيا والآخرة - السرير الذي مع الناموسية.

---

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٢) اللفظ لمسلم (مع النووي ١٧/ ٢٧)، وللحديث طرق أخر.

أما النمارق: وهي الوسائد، فهي كثيرة مصفوفة.

أما عن الفرش: فالفرش بطائنها - أي حشوها من الداخل كالمراتب المحشوة من داخلها - من إستبرق - أي من حرير -.

فإذا كانت البطائن من حرير، فكيف بالظواهر، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

أما السجاجيد المفروشة على الأرضيات: فقد قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ[1] خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٦]، وهذه هي البُسط.

أما عن آنية الجنة وقدورها وصحافها:

ففيها الآنية والصحاف، وفيها الأكواب والأباريق والكؤوس، وفيها آنية من ذهب، وآنية من فضة.

وقد تقدم الحديث عن رسول الله ﷺ: «جَنَّتَانِ مِن ذَهَبٍ آنِيتُهما وَمَا فِيهِمَا وجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنيتهُمَا وَمَا فِيهِمَا»[2].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ»[3].

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

---

(١) ولقد ورد في صحيح البخاري (٤٨٥٨) أن النبي ﷺ في قصة رؤيته لجبريل أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى رفرفًا قد سد الأفق.

(٢) صحيح: وقد تقدم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]، ويقول تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨].

أما عن لباس أهل الجنة وثيابهم:

فقد قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢].

وقال ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لم يَلبسْهُ فِي الآخِرَةِ»[(١)].

فدل ذلك على أن هناك من يلبس في الآخرة، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝٥٣﴾ [الدخان: ٥٣].

فالسندس هو الرقيق من الديباج، والإستبرق هو الغليظ من الديباج، وقال بعض أهل العلم: نوعان من الحرير.

أما عن ألوان الثياب فمنها الأخضر:

قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ [الكهف: ٣١].

وفي الجنة مناديل:

أخرج البخاري[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ

---

(١) البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).
(٢) البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٨).

سُنْدُسٍ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا».

وفي رواية عند البخاري[(١)] من حديث البراء بن عازب ﵄ قال: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا».

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الفردوس.

اللهم يا كريم يا منان يا ذا الفضل والعطاء. امنن علينا بالفردوس وإخواننا وأهالينا وذوينا.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا.

إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم صل على نبينا محمد ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



(١) البخاري (٣٢٤٩).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصف الجنة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وبعد:

فإنْ العمل ينبني على المعتقد في أكثر الأحيان، والمعتقد الصحيح يدفع إلى العمل الصحيح، والمعتقد السيئ يدفع إلى عمل غير صالح، وقد دلَّت على ذلك أدلة متعددة من كتاب الله عز وجل، وكذا من سنة رسول الله ﷺ

فبنو إسرائيل لما اعتقدوا، بناءً على ما اختلقوه من كذب وزور وتحريف، أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات، حملهم ذلك على الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

وأيضًا لما قالوا كذبًا وزورًا: إنهم ليس عليهم في الأميين سبيل، أي: ليس عليهم حرج إذا ظلموا العرب والمسلمين، حملهم هذا المعتقد الخبيث على الخيانات وأكل أموال الناس بالباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

ولقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ [المطففين: ١، ٥] أي: فلو أيقنوا أنهم سيبعثون ويحاسبون ما طففوا المكيال ولا الميزان.

وكذلك في الجانب الآخر مَنْ علم أن الثواب أُعد له يوم القيامة على صلاح عمله بادر إلى العمل الصالح، كما ورد[١] عن عمير بن الحُمَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع قول رسول الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَرَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: بَخٍ بَخٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

ولقد صح[٢] عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لعراقي جاء يسألها فقال: أي الكفن خيرٌ؟ قالت: ويحك وما يَضُرُّكَ؟

قال: يا أمَّ المؤمنين، أريني مصحفك.

قالت: لم؟

قال: لعَلي أؤلف القرءانَ عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف.

قالت: وما يَضُرك أيهُ قرأتَ قبلُ؟! إنما نزَل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذِكْرُ الجنةِ والنار، حتى إذا تاب الناسُ إلى الإسلام نزَل الحلالُ والحرمُ، ولو نزلَ أوّلُ شيء لا تشربوا الخمرَ لقالوا: لا ندَعُ الخمر أبدًا،

(١) مسلم (حديث: ١٩٠١).
(٢) البخاري (٤٩٩٣).

ولو نزل لا تزنوا لتالوا: لا نَدَعُ الزِّنا أبدًا، لقد نزَل بمكةَ على محمد ﷺ وإني لجارية ألْعبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦].

وما نَزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده.

قال: فأخرجت له المصحف، فأملَت عليه آيَ السُّور.

فلهذا الذي قد ذكرت من أن المعتقد الصحيح يتبعه عمل صحيح، ومن كون التذكير بالجنة يدفع على العمل لها، أذكر نفسي وإخوانه بشيءٍ من الوارد في وصف الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهلها فأقول وبالله التوفيق:

أما عن معنى الجنة، فالجنة الحديقة ذات الشجر والنخل، وقد قال بعض أهل اللغة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنب، وقال بعض العلماء: سميت جنةٌ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، والجنة التي نتناول ذكرها هاهنا إن شاء الله هي دار النعيم في الآخرة.

أما عن أسماء الجنة وما أطلق عليها فمن ذلك:

دار السلام: قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

قال بعض أهل العلم: سميت بذلك، لأنها دار السلامة من كل بليةٍ وكل آفة وكل مكروه.

وقيل أيضًا: هي دار الله [(١)] لأن الله هو السلام، فالسلام اسم من

(١) وفي الحديث: «فأستأذن على ربي في» داره. أخرجه البخاري (٧٤٤٠).

أسماء الله عزَّ وجل.

ولأن أهل الجنة دائمًا يُلقَّون فيها التحية والسلام، كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وكما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وكما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

وكما قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

وهي أيضًا جنة الخلد:

قال تعالى ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥].

وسميت بهذا الاسم؛ لأن أهلها يُخلَّدون فيها ولا يتحولون عنها، ولا يبغون عنها حولًا (أي: تحولًا).

ولأن نعيمهم فيها لا ينقطع ولا يفنى ولا يبيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨].

وتسمى أيضًا جنة المأوى:

قال تعالى ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

قيل: لأن أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين تأوي إليها.

ومن أسمائها دار المُقامة:

قال أهل الإيمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر ٣٤: ٣٥].

وقيل عنها دار المقامة، والله أعلم؛ لكون أهلها يقيمون فيها ويستوطنونها ولا يخرجون منها.

ومنها أيضًا جنات عدن:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [الصف: ١٢].

وقوله عدن أي: إقامة.

ومنها مقعد صدق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر ٥٤: ٥٥].

ومنها قدم صدق:

قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

ويطلق عليها أيضًا: المقام الأمين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٥١].

لكونه آمنًا من كل آفةٍ وسوء ومكروه.

وهي جنات النعيم أيضًا:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [لقمان: ٨].

وذلك لما فيها من صنوف النعيم.

والفردوسُ جنةٌ من الجنان وهي أفضلها وأعلاها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقد قال النبي ﷺ لأم حارثة: «إِنَّها جِنَانٌ وإِنَّ ابْنَكِ قد أَصابَ الفِرْدَوْسَ مِنْهَا»[١].

---

(١) البخاري بنحوه (٣٩٨٢)، وأحمد (٣/ ١٢٤، ٢١٠، ٢١٥) وغيرهما من حديث أنس =

وقال النبيُّ ﷺ : «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ نَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[١] .

وصفٌ موجَزٌ للجنة وما فيها من النعيم المقيم وبيان عظمتها:

إن الواصف للجنة مهما وصف، بل والمتخيل لها مهما تخيل فلن يأتي على شيء مما فيها، فضلًا عن بعضه، وفضلًا عن كله، فليس الخبر كالمعاينة، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ففي الصحيحين[٢] من حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة: ١٧].

وأخرج مسلم[٣] من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ، حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ ﷺ : فِي آخِرِ

= ولفظه عند البخاري: قال: أُصيب حارثةُ يوم بدر وهو غُلام، فجاءت أُمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عَرَفت منزلةَ حارثةَ منّي، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى تَرى ما أصنع، فقال: «وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ».

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ١١).
(٢) البخاري (حديث ٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).
(٣) مسلم (٢٨٢٥).

حَدِيثِهِ: فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وفي الجنة كل ما يريده المرء ويتمناه، بل وفوق ما يتمناه، وله فيها أيضًا ما تشتهيه نفسه وتلذُّ به عينُه.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وقد تقفُ على شيءٍ من عظيم قدر الجنة إذا علمت حديث رسولك محمد ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[١].

وكذلك تعرف شيئًا من عظيم قدرها إذا علمت ما أُعد لأدنى أهلِ الجنة من المنازل:

فقد روى مسلمٌ[٢] في صحيحه من طريق الشعبي عن المغيرة بن شعبةَ قال: سمعتُه على المنبرِ، يرفعُه إلى رسول الله ﷺ قال: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ

---

(١) البخاري (حديث ٣٢٥٠).
(٢) مسلم (١٨٩).

مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! قَالَ: رَبِّ! فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا. فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» قَال: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عز وجل.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. الآية.

جعلنا الله وإياكم من أهل الفردوس.

وأدخلنا وإياكم الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد سمعتم - بارك الله فيكم - شيئًا من ذكر الجنة جعلنا الله وإياكم من أهلها.

أما عن وصف الجنة إجمالًا فأقول وبالله التوفيق:

إن الجنة عالية القدر عالية المكان كذلك.

فقد قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٢]، وهي فوق السماء السابعة.

وذلك لقوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه صلوات الله وسلامه عليه رأى سدرة المنتهى بعد تجاوز السماء السابعة. ثم إن رائحة هذه الجنة تُشَم عن بُعد، وتشتاق إلى أهلها، وأهلها يشتاقون إليها، وتقترب منهم، ويقتربون منها، ويشمون رائحتها عن بُعد، ويُزفون إليها معززين مكرمين، يتقدمهم رسول الله ﷺ إذ الجنة لا تفتح لأحدٍ قبله، فيطرق الباب فيستأذن فيؤذن له فيدخل.

أما عن أبوابِ الجنة فهي ثمانية أبواب:

أما بناءها فلبنةٌ من ذهب، ولبنةٌ من فضةٍ، وهناك أيضًا جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما.

أما عن عَرْضِ الجنة وطولها، فعرضها كعرض السماء والأرض.

وأما طولها:

فلا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا دخلها النبيُّ ﷺ - كما أسلفنا - فأمته أول الأمم بعده دخولًا صلوات الله وسلامه، عليه فإذا دخلوها وجدوا تربتها مسكًا خالصًا أبيضَ وزعفرانًا، أما الحصباء (الحصى) فقطع اللؤلؤ الكبيرة التي هي في الغاية من الروعة والجمال.

إذا دخلوها سلمت عليهم الملائكة عند دخولها، وأعظم من ذلك وأجل تحيتهم يوم يلقون ربهم سلام.

أما عن صفاتهم عند دخولها:

فوجوههم بيضاء مسفرة ضاحكةٌ مستبشرة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، نزع من صدورهم الغل، أزيل عنهم التشاحن والتباغض والاختلاف، قلوبهم متآلفة كأنها قلب رجلٍ واحدٍ، طولهم عند دخولها ستون ذراعًا في السماء.

والجنةُ درجات، ودخولها جماعات جماعات، أي على دفعات في أوقات.

وأعلى درجاتها الوسيلة: وهي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد

الله يرجوها رسولنا محمد ﷺ لنفسه، ثم بعد ذلك الفردوس الذي فوقه عرش الرحمن، ثم سائر الجنان.

في الجنة سادة وشيوخ، بعد الأنبياء والمرسلين:

شيوخ كأبي بكر وعمر رضي الله عنه سيدا شيوخ أهل الجنة ما خلا الأنبياء والمرسلين، وسيدا الشباب حسنٌ وحسينٌ رضي الله عنهما وسيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، وسيدة النساء فاطمة رضي الله عنها.

وأهل الجنة في الجملةِ قسمان:

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

والقسم الثاني: أصحاب اليمين، وكل قسم ينقسم إلى أقسام عديدة.

إذا دخلوها وجدوا فيها أنهارًا كثيرة، وجدوا فيها أنهارًا من ماءٍ غير آسن، وأنهارًا من لبن لم يتغير طعمه، وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، وأنهارًا من عسلٍ مصفى!!

وجدوا فيها كذلك النيلِ والفرات وسيحان، رجيحان!!

وجدوا كذلك فيها نهر الحياة، الذي يلقى فيه من خرج من النار مسودًا محترقًا فيُلقى في النهر فيرجع أجمل ما كان وأحسن ما كان.

وجدوا كذلك الحوض والكوثر، وجدوا حوض النبي محمد ﷺ، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وعدد آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

وجدوا الترع والعيون الجارية، والعيون الفوارة.

وجدوا روضات الجنات، وجدوا الحدائق، وجدوا روحًا وريحانًا وجنة نعيم.

وجدوا القصور التي لا يعلم حسنها وجمالها إلا الله فقد بنيت بالذهب والفضة، آنيتها وصحافها وقدورها وقواريرها وما فيها من ذهب وفضة.

وكذلك فهنالك المساكن والبيوت والغرف والخيام، الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلًا للمؤمن فيها أهلون لا يراهم الآخرون.

ثم هم على تفاوت في الدرجات: فأقوام في أعلى عليين، وأقوام دون ذلك في الفضل والنعيم، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

أما شجر الجنة:

فكبير وطويل وظله ممدود.

شجرة من شجرها يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها!!

ظل دائم لا يُفسح ولا يزول ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

أما ...

فمرفوعة عالية، سرر منسوجة بالذهب مرصعةٌ بالجواهر، الحشو الذي حُشيت به فُرُشها من إستبرق، فإذا كانت البواطن من إستبرق (وهو الحرير الخالص) فكيف بالظواهر!!

إنْ أمرها لعجيب، وإن شأنها لعظيم. هناك الأرائك التي يتكئون عليها والسرر التي يتامون عليها منها سررٌ في الحجال (أي: السرير فوقه خيمة تستر مَن يجلس عليا ويتكئ).

الأرضيات قد فُرشت بأبهى وأفخر الحرير وأجمله، أما الزرابي فمبثوثة منتشرة وهنالك الرفارف الخضر والعبقري الحسان.

إن سألت عن لباس أهل الجنة:

فمن حرير، سندس وإستبرق، ثياب خضر من أجمل الثياب وأحسن الثياب لونًا.

أما عن الحلي:

فلقد قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

أما صنوف الفاكهة:

فكلها هنالك بالجنة يتنعم بها أهلها كيف شاءوا.

كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٢].

وكما قال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن: ٦٨].

وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: ٥٧].

فكل صنوف الفاكهة موجودة، التي عرفناها والتي لم نعرفها.

وكذلك كل صنوف الحلوى، وما يستلذ به من الطعام والشراب فهنالك

بالجنة، إذ الله قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]،

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

أما عن طعام أهل الجنة:

فأولُ طعام يأكلونه زيادة كبد النون، والنون الحوت ففي الكبد زيادات هي أحب الطعام تؤخذ من الكبد ويكرم بها أهل الجنة، ثم ينحر لهم ثور الجنة الذي أكل من أطرافها.

وهنالك اللحم: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢١].

وهناك النسوة الحسناوات: حور العين: واسعة العين، شديدة البياض، مع شدة سوادٍ مع اتساعٍ وحسنٍ وبهاءٍ وجمالٍ.

إنهن بيضاوات كاللؤلؤ المكنون.

إن مخ سوقهن يُرى من وراء اللحم من الحسن.

إنهن متحببات للأزواج، عاشقات لهم.

قاصرات الطرف، لا تنظر إلا إلى زوجها.

قد جعلهن الله أبكارًا، وإن كن في الدنيا صرن عجائز لكنهن في الآخرة أبكارًا.

عُربًا: محببات للأزواج مدلّلات سعيدات بالأزواج، أترابًا: في سن واحدة.

كذلك فهن كواعب: لم يتدلَّ منهن الثدي؛ كالبنات، بل الثدي مستدير.

أما عن الجماع والشهوة:

فقد أُعطِيَ الواحد من أهل الجنة قوة مائة شخص في الجماع والشهوة، والحمل والإنجاب ممكن إن أراده الشخص واشتهاه ولكن ليس كحمل الدنيا، ولا وقته كوقته إنما كل ذلك على وجه حسنٍ وجميل وسريعٍ.

وكذلك هنالك مراضع لمن يشاء الله لها ذلك.

إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتنخمون ولا يتغوطون ولا يبزقون بل تخرج منهم فضلاتهم كعرق رائحته رائحة المسك.

أما عن خدم أهل الجنة:

فكاللؤلؤ المكنون في حسنهم وجمالهم وعددهم في غاية من الكثرة يلبون كل الطلبات ولا يتأخرون، وكما وصفهم ربي ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

لا يتسرب إليهم المشيب، ولا تتقدم بهم الأعمار ولا يتغيرون عن حالتهم لسنٍ تقدمت بهم.

أما عن سماعهم وكلامهم:

فلا لغوٌ في الجنة، ولا تأثيم فإذا سمعوا سمعوا كل خير، وإذا تكلموا تكلموا بكل خير، بالهم هادٍ، قلوبهم مطمئنة أذهب الله عنهم الحزن، ورزقهم الله الأمن والأمان.

هناك أماكن وأسواق للفسح والزيارات:

يأتونها كل جمعة فيرجعون إلى أهاليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيجدون أهاليهم قد ازدادوا أيضًا من بعدهم حسنًا وجمالًا.

يتحادثون فيما بينهم بما كان منهم في دنياهم ويطَّلِعون أحيانًا على أهل النار ليزدادوا شكرًا على ما امتن الله به عليهم من السلامة والنجاة وفسيح الجنان وواسع المنازل.

إن نعيمهم لا يزول ولا يتحول: وهم الآخرون لا يبغون عن الجنة حولًا، ولا يريدون عنها تحولًا.

لقد حببت إليهم الجنة وأحبتهم هي الأخرى، لقد رضوا عن معيشتهم فهم في عيشة راضية.

إنهم في نعيم مقيم لا موت ولا شيخوخة ولا هرم.

ينعمون بتكليم الله لهم، أجل تنعم ويسعدون بذلك أعظم سعادة.

يتلذذون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وتلك أعظم لذة نعمها وأكملها.

يُحلل الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

فنسأل الله أن يُحلل علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا.

ونسأله سبحانه لذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس.

وأنْ يؤتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

وأنْ يقينا وإياكم عذاب النار.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصف الجنة وأهلها وما فيها من النعيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وبعد:

فالجنة مهما وصفها الواصفون ونعتها الناعتون لا يأتون على شيء واحد مما أعده الله فيها من النعيم، فهي فوق كل تصورٍ يتصوره شخص، وكل

توقعٍ يتوقعه إنسان.

ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وما لم يخطر على قلب بشر.

إنْ سألت عن حلية أهل الجنة التي يتحلون فمنها أساور الذهب والفضة واللؤلؤ.

قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، وقال سبحانه: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾.

ولكن ليس كذهب الدنيا وفضتها ولؤلؤها.

فشتان ما بين نعيم الدنيا الزائل الذاهب، ونعيم الآخرة المقيم.

أما عن طعام أهل الجنة وشرابهم:

اعلم أنه ليس في الجنة جوع ولا عُري ولا ظمأ ولا حر، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد النون:

ففي «الصحيح»(١) أن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأكلُهُ أهلُ الجنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ».

وفي «صحيح مسلم»(٢) أن يهوديًا سأل النبي ﷺ فقال: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ

---

(١) البخاري (٣٣٢٩).

(٢) مسلم (٣١٥).

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا»، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ.

وفيها لحمٌ، ولحم طير كذلك:

قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢﴾ [الطور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾ [الواقعة: ٢١]، وتقدم أن فيها أسماكًا وحيتانًا، فتقدم أنهم يأكلون أول ما يأكلون زيادة كبد النون، وبعد ذلك يُنحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها.

وعمومًا فلهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، وكما قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥].

والأرض تكون خبزةً واحدة يوم القيامة نزلًا لأهل الجنة:

ففي «الصحيحين»(١) من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ

(١) البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢)، واللفظ له.

مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

وأهل الجنة يتلذذون بطعامهم وشرابهم:

فقد قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا﴾ [الحاقة: ٢٤].

ورزق أهل الجنة يأتيهم فيها بكرةً وعشيًا:

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: ٦٢].

ويأتيهم كذلك في كل وقت وحين، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس: ٥٧].

أما عن نساء أهل الجنة

فقد جاء في شأنهن ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قيل: مطهرة من الحيض والنفاس والمذي والمني والبول والتغوط والنخامة والبزاق.

وقيل: مطهرة من الإثم والأذى، وقيل: مطهرات من الغلِّ والحقد والحسد والغرور.

وجاء في وصفهن أنهن حور عين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ

عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦].

وقوله: ﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي: غاضات البصر إلا على الأزواج، فلا ينظرن إلى غير الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لم يفض بكارتهن بجماع إنس قبلهم ولا جان.

وجاء في وصفهن أيضًا:

أنهن ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي: مقيمات في الخيام لا يحببن كثرة الخروج [١]

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله:
وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع:
أحدها: هذا.
والثاني: قوله تعالى في «الصافات»: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ٤٨].
والثالث: قوله تعالى في «سورة ص»: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [ص: ٥٢].
والمفسرون كلهم على أن المعنى: قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم.
وقيل: قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى =

وجاء في وصفهن أيضًا:

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨].

وجاء في وصفهن:

أنهن ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قيل في تفسيرها: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «حادي الأرواح»:

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الرحمن: ٧٠]، فالخيرات جمع

= غيرهن، وهذا صحيح من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل كحسان الوجه وأصله قاصر طرفهن أي ليس بطامح متعد.

وقال أيضًا:

قال تعالى في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٨]، المقصورات المحبوسات.

قال أبو عبيدة: خدرن في الخيام، وكذلك قال مقاتل: محبوسات في الخيام، وفيه معنى آخر وهو: أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يردن غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال: قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم. ذكره الفراء.

قلت: وهذا معنى: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾، لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات، وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ على هذا القول: صفة الحور أي هنَّ في الخيام. وليس معمولًا لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا من أن يكن محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول يُجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات؛ وذلك أكمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمتنع أن يخرجن في سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت، ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

خَيرة وهي مخفّفة من خَيرة كسيدة ولينة، وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم حسان الوجوه.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥﴾ [الواقعة: ٣٥]، قيل: المعنى خلقناهن خلقًا جديدًا.

وقيل ذلك بعد أن كُنَّ في الدنيا عُجزًا شمطًا أنشأهن الله إنشاءً بعد الكبر والهرم الذي كان في الدنيا، فأصبحن أبكارًا بعد أن كُنَّ ثيبات في الدنيا، وأصبحن حسناوات بعد أن كن دميمات، وأصبحن شابات بعد أن كن عُجزًا.

وجاء في وصفهن:

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾ [الواقعة: ٣٦] أي: فصيرناهن أبكارًا بعد أن كُن ثيبات.

وقال تعالى في وصفهن أيضًا: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ أي: متحببات إلى أزواجهن، محسنات للتبعل، مطيعات للأزواج، وقوله: ﴿أَتۡرَابٗا﴾ أي: في سن واحدة.

وجاء في وصفهن كذلك:

أنهن ﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣﴾ [النبا: ٣٣]، والكواعب: هن النواهد جمع ناهد، قيل: والناهد والكاعب هي التي تكعب ثديها وتفلك واستدار، فأصبح كالرمان ليست متدلية إلى أسفل.

وجاء في وصفهن أيضًا:

من سنة رسول الله ﷺ: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

أما عن عدد زوجات الرجل من أهل الجنة:

فقد ورد فيها مما وقفت عليها ما يلي:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله ﷺ: «لِكُلِّ امرئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ»(٢).

وقوله ﷺ: «للشَّهِيدِ عِندَ اللهِ سِتُّ خِصالٍ: ... منهَا: ويَزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبعِينَ مِن حُورِ العِينِ»(٣).

وقوله ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(٤).

وقد ورد أن الرجل في الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب

(١) البخاري (٢٧٩٦).
(٢) صحيح: وقد تقدم.
(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٤) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

والجماع والشهوة.

ففي «المسند» وعند بن حميد وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ؟ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنْ أَقَرَّ لِي بِهَذِهِ خَصَمْتُهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ»**، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«حَاجَةُ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ فَإِذَا الْبَطْنُ قَدْ ضَمُرَ»**[(١)].

أما عن الجماع:

فقد تقدَّم أن الرجل من أهل الجنة ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة.

وأخرجه البزار بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: **«إي، والذي نفسي بيده، إن الرجل ليُفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء»**[(٢)].

وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥] إن منها جماع العذارى.

(١) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٢٦٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧).
(٢) «كشف الأستار» (٤/ ١٩٨).

وهل تحمل النساء في الجنة؟

في الجملة ليس هناك حملٌ إلا إذا اشتهاه أهل الجنة.

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤمِنُ إِذَا اشتَهَى الوَلَدَ فِي الجنَّةِ، كَانَ حَمْلُهُ ووضْعُهُ وَسَنَّهُ في سَاعَةٍ، كَمَا يَشتَهي»[(١)].

وأخرج هناد بن السري في «الزهد»[(٢)] بسند حسن إلى أسماء بنت أبي بكر قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَذُكِرَ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى قَالَ: «يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ، أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِائَةُ رَاكِبٍ». شَكَّ يَحْيَى «فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ».

وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون:

وفي «صحيح مسلم»[(٣)] من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ[(٤)] وَلَا يَتْفُلُونَ[(٥)] وَلَا يَبُولُونَ

(١) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٢٨٥) بسند حسن.
(٢) «الزهد» (١/ ٤٨)، وأخرجه الترمذي أيضًا (٧/ ٢٤٩).
(٣) مسلم (٢٨٣٥).
(٤) «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ» مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وبغيره من ملاذها وأنواع نعيمها، تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا، إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا تشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة، وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون.
وقد دلت دلائل القرآن والسنة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره؛ أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبدًا.
(٥) ولا يتفلون: بكسر الفاء وضمها، حكاهما الجوهري وغيره، أي لا يبصقون.

وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ». قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ[(١)] وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

وفي رواية عن مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ».

خدم أهل الجنة:

أما عن خدم أهل الجنة فهم ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩].

عددهم كثير جدًّا، بيضٌ شديدو البياض، لا يتغير شكلهم بتغير الزمان.

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الإنسان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: ١٩][(٢)].

---

(١) جشاء: هو تنفس المعدة من الامتلاء.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح»:
قال أبو عبيدة والفراء: مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون. قال: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل: هو مخلد.
وقال آخرون: مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، وهذا اختيار ابن الأعرابي قال: مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة.

وهل في الجنة مراضع للأطفال:

أخرج البخاري[١] في «صحيحه» من حديث البراء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لما مات إبراهيم: «إِنَّ لهُ مُرضِعًا فِي الجنَّةِ».

وهل يتزاور أهل الجنة؟

نعم يتزاورون، ويزور بعضهم بعضًا ويتحدثون معًا بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا. قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم

= وروى عمرو عن أبيه: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب، وكذلك قال سعيد بن جبير. واحتج هؤلاء بحجتين:

إحداهما: أن الخلود عام لكل من في الجنة، فلابد أن يكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم، وذلك هو القرطة.

الحجة الثانية: قول الشاعر:

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن رواكد الكثبان

وقال الأولون: الخلد هو البقاء. قال ابن عباس: غلمان لا يموتون. وقول ترجمان القرآن في هذا كاف - وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل - قالوا: لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون، وجمعت طائفة بين القولين وقالوا: هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم، وفي آذانهم القرطة، فمن قال: مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثورًا فائدتان:

إحداهما: الدلالة على أنهم غير معطلين، بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم.

والثاني: أن اللؤلؤ إذا كان منثورًا ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعًا في مكان واحد.

(١) البخاري (٣٢٥٥).

مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٠- ٥٧].

وهل يخرجون من بيوتهم للفسحة والزيارة والاجتماع في أماكن أخر ثم يرجعون إلى بيوتهم؟

فنعم، إن ذلك لكائن إن شاء الله. ففي الجنة مكان يجتمعون فيه، وهو سوق الجنة.

ففي «صحيح مسلم»(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا(٢)، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ(٣)، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ(٤)، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا».

أما عن سماع أهل الجنة:

فأهل الجنة ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الواقعة: ٢٥] أي: باطلًا من القول،

(١) مسلم (٢٨٣٣).
(٢) لسوقًا: المراد بالسوق مجمع لهم، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.
(٣) يأتونها كل جمعة: أي في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار، والسوق يذكر ويؤنث، وهو أفصح.
(٤) الشمال: هي التي تأتي من دبر القبلة. قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحاب الشامية.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ أي: ولا أي قول يجلب الآثام، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ أي: ما يسمعونه هو الكلام الآمن من الآثام والذنوب والمعاصي.

ويسمعون أيضًا السلام الذي يُلقى عليهم، سلامًا من ربهم كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وسلامًا من الملائكة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال عددٌ من أهل العلم رحمهم الله تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، قالوا: الحبرة اللذة والسماع، ويحبرون أي: يسمعون ما تلذ الأذن بسماعه وتنعم بسماعه.

وليس فيها حر ولا زمهرير:

قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣].

وهذه منزلة آخر أهل الجنة:

أخرج البخاري ومسلم(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا؛

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ الْمَلِكُ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ، لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ

---

(١) مسلم (١٨٧).

لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ».

وهل في الجنة دواب؟

لقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥].

قال بعض أهل العلم: أي ركبانًا على الإبل، وقال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾.

حب أهل الجنة للجنة ورضاهم بها:

وأهل الجنة يحبونها حبًّا عظيمًا ولا يرغبون في التحول عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

أخرج البخاري[(١)] في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى».

فهم راضون بما هم فيه:

قال تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، ولقد تقدم قولهم لربهم لما سألهم هل رضيتم فقالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك.

ولقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

وأهل الجنة في هدوء بالٍ:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمد: ٤، ٥].

---

(١) البخاري (٢٧٩٥).

دوام النعيم والعافية لأهل الجنة:

وأهل الجنة في صحة وعافية دائمًا ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ونعيم الجنة لا يزول ولا يفنى ولا يبيد:

قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [البينة: ٨].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤].

وفي الحديث أن مناديًا ينادي: «يَا أَهلَ الجنَّةِ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا».

---

(١) مسلم (٢٨٣٧).

وكذلك ففي الحديث [١] عن رسول الله ﷺ «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ» - زاد أبو كُريبٍ: فيوقف بين الجنة والنار. واتفقا في باقي الحديث فيُقال: فَيَقُولُ يَا أَهلَ الجنَّة هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشرئبُونَ وينظُرُون، ويَقُولوُنَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: ويُقالُ: يَا أَهلَ النَّارِ!! هَلْ تعرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فيَشرَئبُونَ ويَنظرُونُ ويَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الموتُ، قَالَ: فَيُؤمرُ بِهِ فَيُذبحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهلَ الجَنَّةِ خُلودٌ فَلا موتَ، ويَا أَهلَ النَّارِ خُلودٌ فَلا مَوتَ».

قَالَ: ثُمَّ قرأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩]، وَأَشَارَ بيدِهِ إِلى الدُّنْيا.

أما الاستثناء الواقع في قوله تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨]، فلأهل العلم أقوال:

أحدها: أن هذا الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فإنما هم في مشيئته كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وكما قال تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، فهذا دال على أن الأمور كلها بمشيئة الله.

---

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

ولا موت في الجنة:

ففي «الصحيحين»(١) من طريق نافع أن عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ».

وفي رواية في «الصحيح»(٢) كذلك عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

أسكننا الله وإياكم الفردوس الأعلى.

ومَنَّ الله علينا وعليكم بمزيد الفضل والإحسان.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



---

(١) البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فهذا مزيد بيان لما منَّ الله به على أهل الجنة من الإنعام، فمن ذلك:

تكليم الله لأهل الجنة:

فنعمةٌ من الله عز وجل على أهل الجنة أنه يكلمهم، وقد تقدمت بذلك بعض الأحاديث كقوله سبحانه: «أَحِلُّ عليكُم رِضوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عليْكُم بَعْدَهُ أَبَدًا»، وكقوله ﷺ: «مَا مِنكُم مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكلمُهُ ربُّهُ يومَ القِيَامَةِ لَيسَ بينَهُ وبَينَهُ تُرجُمَان».

ولقد قال تعالى في شأن أقوام من أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، فدلَّ هذا بالمفهوم على أن أهل الجنة يكلمهم الله عز وجل.

وكذا فإنه سبحانه ينظر إليهم.

وربهم في الجنة يُحيهم والملائكة تُحيِّهم:

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى أهل الجنة، وشيئًا مما أعده لهم في جنات النعيم، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: ٢٠].

وأفضل ما يرونه ويتلذذون برؤيته على الإطلاق رؤية وجه ربهم ذي الجلال والإكرام:

أخرج مسلم [(١)] من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي زيادة للحديث: ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ولقائهم به:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة ٢٢، ٢٣].

---

(١) مسلم (١٨١)، وقد انتقد هذا الحديث على الإمام مسلم، انتقده الدارقطني في كتابه «التتبع».

قال عددٌ من أهل العلم: تنظر إلى ربها.

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق: ٣٥].

وقد جاء في تفسير الزيادة أنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقد تقدم قريبًا.

وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا».

وذلك كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[١] في «صحيحيهما» من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

ومن الأدلة أيضًا:

قوله تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾، فالمفهوم المخالف أن أهل الإيمان ليسوا عن ربهم بمحجوبين.

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

ومن أفضل ما يُعطاه المؤمنون في الجنة أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبدًا:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِك. قَالُوا: يَا رَبِّ!! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

نسأل الله أن يُحل علينا رضوانه فلا يسخط علينا بعده أبدًا.

اللهم احلل علينا رضوانك فلا تسخط علينا بعده أبدًا.

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقض عنا الدين والمدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم صلِّ على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

أشعار لابن القيم رحمه الله منتقاة في وصف جنات النعيم

فصل
فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

يا خاطبَ الحور الحسان وطالبًا ... لوصالِهنَّ بجنةِ الحيوانِ
لو كنتَ تدري من خطبت ومن طلبْـ ... ـتَ بذلتَ ما تحوي من الأثمانِ
أو كنتَ تدري أين مسكنُها جعلْـ ... ـتَ السعيَ منك لها على الأجفانِ
ولقد وصفتُ طريقَ مسكنِهَا فإنْ ... رُمتَ الوصالَ فلا تكُنْ بالوانِي
أسرِع وحُثَّ السيرَ جهدَاكَ إنما ... مَسراك هذا ساعةٌ لزمانِ
فاعشَق وحدِّث بالوصال النفسَ وابْـ ... ـذُلْ مهرَها ما دُمتَ ذا إمكانِ

فصل
في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذًا أوصافها وصفات ها ... تيكَ المنازل ربَّةِ الإحسان
هي جنةٌ طابت وطاب نعيمُها ... فنعيمها باقٍ وليس بفانِ
دار السلام وجنةُ المأوى ومَنْـ ... ـزلُ عسكرِ الإيمان والقرآن
فالدار دارُ سلامةٍ وخِطابُهُم ... فيها سلامٌ واسم ذي الغفران

فصل
في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

درجاتُها مائة وما بين اثنتيـ ... نِ فذاك في التحقيق للحُسبان

مثل الذي بين السماء وبين هَا ... ذي الأرض قول الصادق البُرهان

لكنَّ عاليها هو الفردوس مُسـ ... توفٍ بعرش الخالق الرَّحمن

فصل
في أبواب الجنة

أبوابها حقٌّ ثمانية أتت ... في النص وهي لصاحب الإحسان

بابُ الجهاد وذاك أعلاها وبا ... بُ الصوم يُدعى الباب بالريَّان

ولكلِّ سعي صالحٍ بابٌ ور ... بُ السعي منه داخلٌ بأمان

ولسوف يُدعى المرء من أبوابها ... جمعًا إذا وفَّى حُلى الإيمان

منهم أبو بكرٍ هو الصديق ذا ... ك خليفة المبعوث بالقرآن

فصل
في مفتاح باب الجنة

هذا وفتحُ الباب ليس بمُمكنٍ ... إلا بمفتاحٍ على أسنان

مفتاحه بشهادة الإخلاص والتَّـ ... وحيد تلك شهادة الإيمان

أسنانُهُ الأعمال وهي شرائع الـ ... إسلام والمفتاح بالأسنان

لا تُلغين هذا المثال فكم به　　　من حَلِّ إشكالٍ لذي العِرفان

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وأن صفوفهم عشرون مع　　　مائة وهذي الأمة الثُّلثان

يرويه عنه بُريدة إسناده　　　شرطُ الصحيح بمُسندِ الشيباني

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرةٍ فوجوههم　　　كالبدر ليل السِّتِّ بعد ثمان

السابقون هم وقد كانوا هُنا　　　أيضًا أولي سبقٍ إلى الإحسان

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلا

ويرى الذين بذيلها من فوقهم　　　مثل الكواكب رؤية بعيان

ما ذاك مختصًّا برسل الله بل　　　لهم وللصدّيق ذي الإيمان

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلاهم فناظر ربه　　　في كل يوم وقته الطرفان

لكنّ أدناهم وما فيهم دني　　　إذ ليس في الجنات من نقصان

فهو الذي تُلغى مسافة ملكه　　　بسنيننا ألفان كاملتان

فيرى بها أقصاه حقًّا مثل رؤ ... يته لأدناه القريب الداني

أو ما سمعت بأن آخر أهلها ... يعطيه رب العرش ذو الغفران

أضعاف دنيانا جميعًا عشر أمـ ... ثال لها سبحان ذي الإحسان

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت ... سبحان ممسكها عن الفيضان

من تحتهم تجري كما شاءوا مفجـ ... جَرة وما للنهر من نقصان

عسل مصفى ثم ماء خمـ ... ـر ثم أنهار من الألبان

والله ما تلك المواد كهذه ... لكن هما في اللفظ مجتمعان

هذا وبينهما يسير تشابه ... وهو اشتراك قام بالأذهان

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويرونه سبحانه من فوقهم ... رؤيا العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتى به القرآن تصريحًا وتعـ ... ـريضًا هما بسياقه نوعان

وهي الزيادة قد أتت في يونس ... تفسير من قد جاء بالقرآن

ورواه عنه مسلم بصحيحه ... يروي صهيب ذا بلا كتمان

وهو المزيد كذاك فسره أبو … بكر هو الصدّيق ذو الإيقان

وعليه أصحاب الرسول وتابعو … هم بعدهم تبعية الإحسان

ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الرْ … رَحمن في سور من الفرقان

ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الـ … إجماع فيه جماعةٌ ببيان

وعليه أصحاب الحديث جميعهم … لغةً وعرفًا ليس يختلفان

هذا ويكفي أنه سبحانه … وصف الوجوه بنظْرة بجنان

وأعاد أيضًا وصفها نظرًا وذا … لا شك يفهم رؤية بعيان

وأتت أداة (إلى) لرفع الوهم من … فكر كذاك ترقّب الإنسان

فصل
في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أوَ ما علمت بأنه سبحانه … حقًّا يكلم حزبه بجنان؟!

فيقول جل جلاله: هل أنتم … راضون؟ قالوا: نحن ذو رضوان

أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا … ما لم ينله قط من إنسان

هل تم شيء غير ذا فيكون أفـ … ضل منه نسأله من المنان؟

فيقول أفضل منه رضواني فلا … يغشاكمُ سخط من الرحمن

ويذكّر الرحمن واحدهم بما … قد كان منه سالف الأزمن

منه إليه ليس ثم وساطة … ما ذاك توبيخًا من الرحمن

لكن يعرفه الذي قد ناله … من فضله والعفو والإحسان

ويسلم الرحمن جل جلاله ... حقًّا عليهم وهو في القرآن

وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه ... سبحانه بتلاوة الفرقان

فكأنهم لم يسمعوه قبل ذا ... هذا رواه الحافظ الطبراني

هذا سماع مطلق وسماعنا الـ ... ـقرآن في الدنيا فنوع ثاني

والله يسمع قوله بوساطة ... وبدونها نوعان معروفان

فسماع موسى لم يكن بوساطة ... وسماعنا بتوسط الإنسان

من صير النوعين نوعًا واحدًا ... فمخالف للعقل والقرآن

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا إلى ... ما قد ذخرت لكم من الإحسان

يأتون سوقًا لا يباع ويشترى ... فيه فخذ منه بلا أثمان

قد أسلف التجار أثمان المبيـ ... ـع بعقدهم في بيعة الرضوان

لله سوق قد أقامته الملا ... ئكة الكرام بكل ما إحسان

فيها الذي والله لا عين رأت ... كلا ولا سمعت به أذنان

كلا ولم يخطر على قلب امرئ ... فيكون عنه معبرًا بلسان

فيرى امرأً من فوقه في هيئة ... فيروعه ما تنظر العينان

فإذا عليه مثلها إذ ليس يلـ ... ـحق أهلها شيء من الأحزان

واهًا لذا السوق الذي من حله ... نال التهاني كلها بأمان

يدعى بسوق تعارف ما فيه من   صخب ولا غش ولا أيمان

وتجارة من ليس تلهيه تجا   رات ولا بيع عن الرحمن

أهل المروءة والفتوة والتقى   والذكر للرحمن كل أوان

يا من تعوض عنه بالسوق الذي   ركزت لديه راية الشيطان

لو كنت تدري قدر ذاك السوق لم   تركن إلى سوق الكساد الفاني

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم، واستحالة النوم والموت عليهم

هذا وخاتمةُ النعيم خلودهم   أبدًا بدار الخلد والرضوان

أو ما سمعت منادي الإيمان يخ   بر عن مناديهم بحسن بيان

لكمُ حياة ما بها موت وعا   فية بلا سقم ولا أحزان

ولكم نعيم ما به بؤس وما   لشبابكم هرم مدى الأزمان

كلا ولا نوم هناك يكون ذا   نوم وموت بيننا أخوان

هذه علمناه اضطرارًا من كتا   ب الله فافهمْ مقتضى القرآنِ

والجهمُ أفناها وافنى أهلها   تبًّا لذاك الجاهل الفتان

طردًا لنفي دوام فعل الرب في الـ   ماضي وفي مستقبل الأزمان

وأبو الهذيل يقول يفنى كل ما   فيها من الحركات للسكان

وتصير دار الخلد مع سكانها   وثمارها كحجارة البنيان

قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا ... رب لأجل تسلسل الأعيان

فالقوم إما جاحدون لربهم ... أو منكرون حقائق الإيمان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصف النار وأهلها الأشرار

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وبعد:

فلقد حذَّر الله، عزَّ وجل، من النار أشد التحذير، وأمر نبيه ﷺ أن يحذر منها، ويُذَكِّر، وتوالت النصوص المحذرة من هذا الخطر العظيم، خطر النار، حذَّر اللهُ من النار، وأنذر، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: ١٤].

وحذَّر النبيُّ ﷺ منها، وكرَّر التحذير:

فقد أخرج الإمام أحمد[١] بسند حسن عن النعمان بن بشير، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ» حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا قَالَ حَتَّى وَقَعَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ.

وقال رسول الله ﷺ «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[٢].

وفي الحديث: «وَلَو يَعْلَمُ المُسْلِمُ بِكُلِّ الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»[٣].

وفي الصحيح[٤] من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: لمَّا أُنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسولُ الله ﷺ

(١) أحمد (٤/ ٢٧٢).
(٢) البخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) مسلم (حديث ٢٠٤).
(٤) البخاري (٦٤٦٩).

قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ[١] مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[٢].

وكان رسول الله ﷺ يُذكِّر أصحابَهُ بالجنةِ والنَّارِ، ويَصِفُهَا لهم كأنهم يَرَوْنَها بِأَعْيُنِهم:

قال حنظلة[٣] الأُسَيدِيّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: نكون عندَ رسول الله ﷺ يُذكِّرنا بالنَّارِ والجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رَأيَ عَينٍ.

فلهذا أردت أن أُذَكِّرَ ببعضِ الوَارد في وَصْفِ النَّارِ وأهلها الأشرار، لعَلَّ مُتَّقِيًا أن يَتَّقِيَهَا، ولعلَّ شريرًا أن يَنْزَجِرَ وَيَنْكَفَّ عن شُرُوره، ولعلَّ

(١) فإني لا أملك لكم: معناها لا تتكلوا على قرابتي، فإني لا أقدر على دفع مكروه يريدهُ الله تعالى بكم.

(٢) (سأبلها ببلاها) بفتح الباء الثانية وكسرها. وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء. والبلال: الماء. ومعنى الحديث: سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه: بلوا أرحامكم: أي صلوها. قاله النووي.

قلت (مصطفى): وفي معنى قوله (أبلها ببلاها): وجه آخر حاصله: أن الرحم شبهت بالجلدة اليابسة كلما وضعت عليها ماء سهلت في يديك ولانت في يديك وإذا تركتها بلا ماء صعب عليك ثنيها، وكذلك الرحم إذا وصلت سهل عليك أمرها، فيسهل عليك إقناع ابن عمك وابن خالك بما تريد ويستجيبون لك.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).

مُذْنِبًا أن يَتُوبَ وَمُسِيئًا أن يَتَرَاجَعَ، وحَذِرًا أنْ يحذَرَ، فَأوردتُ في هذه الموعظة: بعض أوصافها وما فيها، وكذا بعض أوصاف أهلها وما أعد لهم من صنوف العذاب، سائلًا الله أنْ يجيرنا من النار، وعائذًا بالله من النار ومما يقرب إليها من قولٍ أو عمل.



أما عن أسماء النار، أعاذنا الله منها

للنار عدة أسماء، منها:

جَهَنَّمُ: قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [عم: ٢١].

الجَحِيمُ: قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٢].

السَّعِيرُ: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك: ١٠].

سَقَر: قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢].

الحُطَمَةُ: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾ [الهمزة: ٤، ٦].

الهَاوِيَةُ: قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٩، ١١].

سِجِّينُ: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ [المطففين: ٧، ٨].

لَظَى: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾﴾ [المعارج: ١٥].

ولقد وُصف عذابها بأنه: أليمٌ، وعظيم، ومهين، وكذلك وصف بأنه شديد!!

إنْ صبغةً في النار تُنسي الشخص كل نعيم الدنيا الذي تمتع به:

ففي الصحيح[(١)] من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

وإذا أردت بعض الاطلاع على عظيم عذابها: فاقرأ قول رسول الله ﷺ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»[(٢)].

وقال الله عز وجل عنها: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

وقال عنها: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٥، ١٦].

ولقد حُفَّت النارُ بالشَّهوات:

أخرج الترمذي[(٣)] بسندٍ حسنٍ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى

(١) مسلم (٢٨٠٧).
(٢) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.
(٣) الترمذي (٧/ ٢٨١).

مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قَالَ: فَجَاءَهَا، وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ: «فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا» قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».

وفي صحيح مسلم من حديث أنس، رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «حُفَّت الجنةُ بالمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ»[١].

ونحوه في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «حُجِبَت النارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَت الجنةُ بالمكارِهِ».



(١) مسلم (٢٨٢٢). قال النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه، وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وكذلك محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.

أما عن أبواب النار

للنار أبواب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

أما عن عدد هذه الأبواب، فهي سَبَعَةٌ:

قال تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ١٥].

لهذه الأبواب خزنة:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [تبارك: ٨].

وعدد هؤلاء الخزنة لا يعلمهم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١].

أما كبارهم وقادتهم فهم تسعة عشر:

قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٣٠].

وكبير هؤلاء جميعًا هو مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

ولقد رأى النبي ﷺ مالكًا خازن النار كَرِيهَ المرآةِ كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآة وإذا عنده نارٌ يحشها ويسعى حولها(١).

والنار دركات

ثم إن هذه النار، أعاذنا الله منها، دركات:

فهناك قومٌ يعذبون عذابًا أشد من قوم آخرين:

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى في شأن من يكفر بالمائدة بعد نزولها: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

وهذه منازل الناس في النار، أعاذنا الله منها:

أخرج مسلم في «صحيحه»(٢) من حديث سَمُرَة بن جُندَب أن النبي ﷺ

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله

(٢) مسلم (٢٨٤٥).

قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ».

وهذا أهون أهل النار عذابًا

في الصحيح[(١)] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

وفي رواية: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ. يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا».

وفي الصحيح[(٢)] من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

وفي الصحيح[(٣)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

أخرج مسلم[(٤)] من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول

(١) مسلم (٢١٣).
(٢) مسلم (حديث ٢١١).
(٣) مسلم (٢١٢).
(٤) مسلم (حديث ٢٠٩).

الله، هل نَفَعت أبا طالب بشيءٍ، فإنَّه كان يحوطُك [(١)] ويغضب لك؟ قال: «نَعَمْ، هُو فِي ضَحضَاحٍ [(٢)] من نارٍ، ولَولاَ أنَا لَكَانَ في الدَّركِ [(٣)] الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ».

أما عن سعة النار

أخرج الإمام أحمد [(٤)] بسندٍ صحيح عن مجاهد قال: قال ابن عباس: أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي، أَنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ عَاتِقِهِ، مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا، تَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ الْقَيْحِ وَالدَّمِ، قُلْتُ: أَنْهَارًا، قَالَ: لَا بَلْ أَوْدِيَةٌ. ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا تَدْرِي، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ».

---

(١) (يحوطك): قال أهل اللغة: يقال: حاطه يحوطه حوطًا وحياطة إذا صانه وحفظه وذب عنه وتوفر على مصالحه.

(٢) (ضحضاح) الضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار.

(٣) (الدرك) قال جميع أهل اللغة والمعاني والغريب وجماهير المفسرين: الدرك الأسفل قعر جهنم، وأقصى أسفلها. قالوا: ولجهنم أدراك، فكل طبقة من أطباقها تسمى دركًا. نقلًا عن النووي.

(٤) أحمد (٦/ ١١٦).

امتلاء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠].

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

أما عن عمق نار جهنم:

فالنار عميقةٌ جدًّا . . .

أخرجَ مسلم[(٢)] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ إذ سَمِعَ وَجبَةً، فقال النبي ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا. فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».

ولقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨، ٩].

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٢) مسلم (٢٨٤٤).

وفي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

أما عن وقودها:

فوقودها الناس والحجارة، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠].

وقانا الله وإياكم عذاب السموم.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين.

وبعد

فقد سمعتم بعض الشيء عن جهنم أعاذنا الله منها.

وهذا بعض العلم عن جهنم أيضًا

إنها تتكلم!!، إنها تتغيظ على أهلها!!

إنها تتوعد!!

يُسْمَعُ لَهَا شهيق!! يُسمع لها زفير!!

لقد قال تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠].

وقال تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ [المعارج: ١٥- ١٧].

وهؤلاء أيضًا قوم رآهم النبي ﷺ في النار فليكن أمرهم فيك على بالٍ لعلك تتقي أعمالهم

أخرج مسلم[(١)] في «صحيحه» من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، حَتَّى جَعَلُوا يَخِرُّونَ. ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ. ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ. ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ. ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ. ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَاكَ. فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ. فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ[(٢)] (أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا) فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ. وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ. فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا[(٣)] رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ[(٤)] وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ[(٥)] فِي النَّارِ وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا

---

(١) مسلم (حديث ٩٠٤).

(٢) (لو تناولت منها قطفًا لأخذته): معنى تناولت، مددت يدي لأخذه، والقطف العنقود، وهو فعل بمعنى مفعول. كالذبح بمعى المذبوح.

(٣) (في هرة لها) أي: بسبب هرة لها.

(٤) (خشاش الأرض) هي هوامها وحشراتها، وقيل: صغار الطير، وحكى القاضي فتح الخاء وكسرها وضمها، والفتح هو المشهور.

(٥) (يجر قصبه) القصب هي الأمعاء.

يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ. وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهُمَا فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ. وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ[(١)] فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي. وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ. ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ».

وهذا رجلٌ حُرِّمت عليه الجنة:

أخرج مسلم[(٢)] من طريق جندب عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قُرْحَةٌ[(٣)]، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ،[(٤)] فَنَكَأَهَا[(٥)] فَلَمْ يَرْقَأْ الدَّمُ[(٦)] حَتَّى مَاتَ. قَالَ رَبُّكُم قَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْهِ

(١) المحجن: عصا معقوفة الطرف.
(٢) مسلم (حديث ١١٣).
(٣) خَرَجَت به قرحة: القرحة واحدة القروح، وهي حبات تخرج في بدن الإنسان.
(٤) (كنانته): الكنانة هي جعبة النشاب. سميت كنانة لأنها تكنّ السهام أي تسترها.
(٥) (فنكأها): أي قشرها وخرقها وفتحها.
(٦) (لم يرقأ الدم): أي لم ينقطع، يقال: رقأ الدم والدمع يرقأ رقوءًا، مثل ركع يركع =

الْجَنَّةَ» ثم مدَّ يده إلى المسجد فقال: إي والله لقد حدَّثني بهذا الحديث جُنْدَبٌ، عن رسول الله ﷺ في هذا المسجد.

يدخلها أيضًا مرتكبو الكبائر الذين لم تغفر لهم كبائرهم، ولكنهم إذا كانوا من أهل التوحيد فإنهم يخرجون بعد ذلك منها:

فالقتلة، قال الله فيهم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[(١)] [النساء: ٩٣].

وأكلة الربا[(٢)] كذلك إذا لم يغفر الله لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١].

وكذلك الزناة والزواني، والظلمة، وأكلة أموال الناس بالباطل، والطاعنون في الأعراض، والمفلسون عمومًا الذين أخذت حسناتهم لغيرهم فلم تبق لهم حسنات، ثم قذفوا في النار، وكذلك الذين أُخذ من سيئات غيرهم فطرحت عليهم ثم طرحوا في النار.

يدخلها أيضًا تاركو الصلاة وتاركو الزكاة، والمطففون، وآكلو أموال الناس بالباطل، والكذبة على الله وعلى رسوله ﷺ، والذين يؤذون المؤمنين

= ركوعًا، إذا سكن وانقطع.

(١) وهذا هو المستحل (أعني الخلود للمستحل للقتل) أما مجرد القتل فلقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

(٢) وآكل الربا لا يخلد في النار إذا كان من أهل التوحيد.

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا، ومن حلف يمينًا فاجرةً عند منبر رسول الله ﷺ، ومن جرثوبه خيلاء، والمتألي على الله[١].

إلى غير هؤلاء ممن ذكرهم الله ورسوله أنهم من أهل النار، أو يدخلونها.

ولقد أوثرت النار بالمتكبرين والمتجبرين:

أخرج البخاري ومسلم[٢] في صحيحهما من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ. قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ. وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.**

---

(١) أما المتألي على الله فيتضح بما أخرجه أبو داود (١٣/ ٢٤٣) بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ: لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي. أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ،» أَوْ «لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ. فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا، وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

(٢) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم في طرق حديث (٢٨٤٦).

وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا».

وفي «صحيح مسلم»(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ- وَإِنْ دَقَّ- إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ» وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ «وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ».

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ. رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

وفي «الصحيحين»(٣) من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ(٤) مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ(٥) جَوَّاظٍ(٦)

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).
(٢) مسلم (٢١٢٨).
(٣) البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).
(٤) يبدو، والله أعلم، أن المراد به المتواضع، وإلا فالنبي ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ».
(٥) العتل شديد الخصومة، المعرض عن الإيمان والخير.
(٦) الجواظ: كثير اللحم، الفاجر المختال.

مُسْتَكْبِرٍ».

وينبغي التفطن إلى أمرٍ ألا وهو أن عصاة الموحدين سيخرجون من النار:

وذلك لقول الله، عز وجل، في الحديث القدسي: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً» الحديث.

وختامًا.

فنسأل الله أن يجيرنا من النار ومن أهلها الأشرار.

اللهم أعذنا من النار.

اللهم أعذنا من النار.

اللهم أعذنا من النار.

اللهم أعذنا من النار وأهلها الأشرار.

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

اللهم جنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اعصمنا من الزلل، واحفظنا من الفواحش والرذائل.

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا.

ومن فوقنا ومن أسفل منا، ونعوذ بك اللهم أن نغتال من تحت أرجلنا.

اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل أو سوء قصد.

اللهم أسكنا الفردوس وا سن علينا بها وتفضل فأنت رب كريم جواد.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خطبة ثانية في وصف النار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فالذكرى تنفع المؤمنين؛ ولذا فقد أمرنا الله بها، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

وخير ما يُذكر به دومًا كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وأعظم ما يُحذر منه النار...

فلقد قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٤﴾ [الليل: ١٤].

فلهذا ولغيره أُذكِّر نفسي وإخواني بمزيد من الوارد في الكتاب العزيز والسنة المباركة بهذا الخطر الداهم العظيم خطر النار، وأحذر نفسي وإخواني منه.

فأقول - مستعيذًا بالله من النار - سائلًا الله عز وجل السلامة لي ولكم -:

إن النار تتربص بأهلها وتنتظرهم، وتتوعدهم وتتغيظ عليهم، ويؤتى بها تعرض، وقد قال تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

وفي الحديث: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»[(١)].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢)، وبه علة، فقد رجح قوم أنه موقوف.

وقال سبحانه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾ [الشعراء: ٩١].

وفي الحديث: «فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...»(١).

إن النار - عياذًا بالله منها - تأتي مستقبلة أهلها متغيظة عليهم تقذف الشر العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ [المرسلات: ٣٢، ٣٣]، وهم الآخرون يدفعون إليها دفعًا شديدًا، ويساقون إليها سوقًا عنيفًا، فلا مفر، ولا محيص.

يدفعون إليها دفعًا شديدًا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ [الطور: ١٣]، أي يدفعون إليها دفعًا شديدًا.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩﴾ [فصلت: ١٩].

يُساقون إليها وقد حملوا أحمالًا ثقيلة على ظهورهم، وهي تلك الذنوب التي عملوها في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝١٣﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ

---

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: ٩٩- ١٠١].

إنهم من ثِقل هذا الحمل الذي على ظهورهم ينادون من يظنونه سيساعدهم في حمل شيء عنهم فلا مجيب، قال تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ [فاطر: ١٨].

إن الأب يُنادي ولده يحمل عنه شيئًا من وزره، ولكن لا مجيب.

وكذا الولد يُنادي والده، والأم تُنادي ولدها، والبنت تناشد أباها أن يحمل عنها شيئًا من هذا الوزر، ولكن لا مُجيب، فكلٌّ منشغل بما هو فيه.

إن أهل النار يُساقون إليها عميًا وبُكمًا وصُمًّا:

كما قال تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧][(١)].

إنهم يُساقون إليها عطاشًا كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦].

إنهم يُسحبون إليها سحبًا كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧١].

---

(١) في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».
قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا. (البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

بل ويُسحبون على وجوههم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٣٤﴾ [الفرقان: ٣٤].

إنهم يصنّفون كل صنف مع قرنائه ونظرائه وأمثاله، كل صنف وفريق يتقدمه إمامه في الضلال، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: ٩٨].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يُنادي مُنادٍ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ...»(١) الحديث.

إنهم يُحضرون حول النار جُثاة على الركب، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨].

ويُبدأ بكبيرهم وإمامهم في الضلال فيلقى في النار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ۝٦٩﴾ [مريم: ٦٩].

وانظر إلى طريقة الإلقاء:

قال تعالى: ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: ٤١].

(١) صحيح: وسيأتي إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: ٤٧].

وقال تعال: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠- ٣٢].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ [العلق: ١٥].

وهنالك يُستقبلوا بأسوأ استقبال.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ [ص: ٥٥- ٦٠].

وقوله: ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ إلى شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة، وشر مردٍّ يردون إليه.

وقوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ الحميم الذي بلغ أعلى درجات الغليان، والغساق البارد أشد البرودة، فيتناولون هذا بعد ذاك، فتخيل ماذا يحدث لأسنانهم وأفواههم إذا تناولوا البارد بعد الحار.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ أي: وصور أخر من صور العذاب على هذه الشاكلة.

أما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ﴾ فأحاول تقريب المعنى بما يحدث في الدنيا بما حاصله أن أشخاصًا في الدنيا قد يُبتلوا

بسجن ضيق مُظلم وهم فيه يكادون أن يختنقوا فينتظروا من يفتح الباب كي يتنفسوا أو يخرجوا أو يخرج بعضهم ليخفف على الآخرين، فإذا بالباب يفتح، وإذا بقوم آخرين يدخلون عليهم يزيدونهم ضيقًا إلى ما هم فيه من الضيق، وبلاءً إلى ما هم فيه من بلاء، فيقال لهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾، فيردون قائلين: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾، فالسجناء الجدد ينتظرون مواساة ممن سبقهم، فإذا بمن سبقهم يدعو عليهم وكما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، فيرد الداخلون الجدد على من سبقوهم إلى النار بقولهم: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

أي: أنتم الذين تسببتم لنا في العذاب، وفي هذا النكد، فبئس المستقر تستقرون فيه. فهنالك يدعو الجميع على من كان السبب، فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].

نعوذ بالله من النار، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

أما عن ضيافة أهل النار:

إن ضيافتهم جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

ضيافتهم الأكل من شجرة الزقوم، ثم شرب الحميم بعده.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ

ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١- ٥٦].

أما عن أوصاف أهل النار فها هي بعض أوصافهم:

أما عن وجوه أهل النار:

فوجوه سوداء مظلمة علاها الغبار، وأرهقها الذل، ملأتها البُسور والتجاعيد.

لقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال عز وجل: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠- ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧].

وقال عز وجل: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٤، ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

إنها وجوه قد علاها الذلُّ، وأبصارٌ قد خشعت وذلَّت، قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢- ٤].

إنها وجوه قد علاها الخزي وغشيها السوء.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الملك: ٢٧].

فهكذا الوجوه.

أما الأعين فزرقاء: قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، أي: زرق العيون، وكأنها عيون لا ترى، فهم لا يرون إلا ما يسوءهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فهذه الصفات المتقدمة صفات الوجوه والأعين.

وأما ما يحل بها من العذاب فاقرأ هذه الآيات:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وكذا قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وكذا قوله - جل ذكره -: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

وكذا قوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠].

فكذا يُصنع بتلك الوجوه.

إن العبد في الدنيا إذا قاتله آخر فإنه يحرص على دفع العذاب والضربات عن وجهه، فكيف به يوم القيامة وهو يستقبل العذاب أسوأ العذاب.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزمر: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩].

فهكذا يُصنع بالوجوه.

وكذا الأنوف التي أبت أن تسجد لخالقها وباريها، توسم بمياسيم من نار. قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦].

وعموم مكارم الوجوه تُهان وتذل، فقد قال سبحانه عن سقر أنها: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٩].

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ أنها تلفح الجلد فتدعه أسود كالليل البهيم.

وقال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [المعارج: ١٦].

أما عن الرقاب والأعناق:

ففيها الأغلال، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس: ٨].

فالطوق الذي في العنق طوق كبير بلغ الذقن، فلم يعد الشخص يستطيع أن يُنزل ذقنه إلى أسفل، فدومًا بصره شاخص إلى أعلى، وذلك بسبب الغلّ الذي وُضع في رقبته.

ولقد قال تعالى في شأن امرأة أبي لهب: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾ [المسد: ٥] أي: في عنقها حبل من نار قد طُوِّقت به.

ولقد قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْۖ﴾ [الرعد: ٥].

إن أمعاء أهل النار تتقطع، بل وبطون الكثير منهم تنفجر قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وعند البخاري(١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ

---

(١) البخاري (٣٢٦٧).

آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيِّ بنِ قَمْعَة بن خِندف أَبَا بَنِي كَعبٍ هَؤُلاءِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ».

وفي رواية: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ»، وفي رواية «السيوب»[(١)].

وفي الصحيح من حديث[(٢)] أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ».

وهذا مزيد من أوصاف أهل النار

أخرج مسلم[(٣)] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الْكَافِرِ - أَوْ نَابُ الْكَافِرِ - مِثْلُ أُحُدٍ وَغِلَظُ جِلْدِهِ

(١) البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).
(٢) البخاري (٣٣٥٠).
(٣) مسلم (٢٨٥١).

مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ»[(١)].

أخرج الإمام الترمذي[(٢)] بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ».

وفي «الصحيحين»[(٣)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - يرفعه - قال: «مَا بَيْنَ مَنْكِبي الكَافِرِ فِي النَّار مَسِيرةُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ لِلَّراكِبِ المُسْرِعِ».

أما طعام أهل النار فمنه ما يلي:

الضريع: قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾[(٤)] [الغاشية: ٦، ٧].

الغسلين: وهو صديد أهل النار، كذا قال بعض العلماء: قال تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحاقة: ٣٦].

شجر الزقوم: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥﴾ [الدخان: ٤٣- ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ

---

(١) قال بعض العلماء: وذلك حتى تنزل عليه صنوف العذاب ويزداد له في النكال.
(٢) الترمذي (مع التحفة ٧/ ٣٠١).
(٣) البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).
(٤) أي أنهم في وقت من الأوقات طعامهم طعام واحد لا يتغير، وهو الضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وفي وقت آخر يثبتون على طعام واحد آخر وهو الغسلين الذي لا يأكله إلا الخاطئون.

﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥١- ٥٥].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الشجرة بقوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥].

إن من طعام أهل النار: طعامًا يَنشب بالحلوق يتعلق بها فلا يدخل إلى الجوف، ولا يخرج خارج الفم، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢، ١٣].

أما شرابهم:

فالماء المغلي الذي قد بلغ أعلى درجات الغليان. قال تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

وقال تعالى: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٥] أي: من عين حارة شديدة الحرارة، قد بلغت أعلى درجات غليانها.

ثم إن هذا الماء الذي يشربونه من شدة حرارته يخرج منه بخار، هذا البخار يشوي الوجوه قبل أن يصل الماء إلى الشفاه.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

أما عن طريقة شربهم: فإنهم يشربون بكثرة وشراهة، قال تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥٥] أي: يشربون كما تشرب الإبل العطاش الظماء، المصابة أيضًا بمرض يجعلها تشرب ولا تُروى، فتشرب وتشرب، وقيل: كما يوضع الماء في الرمال، فإن الرمال تمتصه ولا يثبت عليها، بل تبتلع وتبتلع.

فإن قال قائل: ولماذا يُقدمون على هذا الشراب مع كونه يقطع الأمعاء ويشوي بخاره الوجوه؟

فجواب ذلك: أن ما يدور في بطونهم من الألم وما يعتصرها من سيئ الطعام يدفعهم إلى هذا الشراب ظانين أنه يغني عنهم شيئًا.

ثم إنهم بعد هذا الشراب الحار الشديد الحرارة يشربون شرابًا باردًا شديد البرودة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ [ص: ٥٧، ٥٨].

فالشخص في دنيانا إذا شرب كوبًا من الشاي الساخن، ثم أعقبه بكوبٍ من الماء البارد تكاد أسنانه أن تتساقط، ولسانه أن يحترق، فما ظنك بعذاب الآخرة: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

أما عن ثياب أهل النار فثيابهم من نار:

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝٥٠﴾ [إبراهيم: ١٤].

القطران: هو الزفت.

وقال النبي ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[1].

أما عن غُسل أهل النار:

قال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾ [الحج: ١٩- ٢١].

أما عن فراش أهل النار:

ففراشهم من نار وغطاؤهم من نار، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ

---

(١) مسلم (٩٣٤).

ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٥].

أما عن ظلِّهم الذي يستظلون به، فإنه ظلٌّ من دخان أسود شديد السواد، حار شديد الحرارة، فليس على الحقيقة بظلٍّ، بل نوع من أنواع العذاب، هو الآخر، قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ [المرسلات: ٢٩- ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣- ٤٤].

شدة الحصار الذي فيه أهل النار

إن أهل النار في حصار شديد، لا يستطيعون بحالٍ الخروج منه، فإنهم أولًا مقيدون بقيود شديدة.

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] فوثاقهم شديد.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: ٤].

ثم انظر إلى هذا القيد الغريب العجيب الفظيع المؤلم الشديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢].

ثم قال بعض أهل العلم: إن هذه السلسلة تدخل في أنوفهم فتخرج من أدبارهم.

ثم إن هذه النار على أهلها مغلقة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ [البلد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

قال بعض العلماء في تفسير العمد الممددة ما حاصله: إنْ أهل الكفر موضوعون في أعمدة محيطة بهم، كما تسقط شخصًا في عمود يحيط به من كل جانب.

وقال آخرون: إنهم في النار التي أغلقت أبوابها بعمدٍ ممددة، كما كانوا يغلقون المحلات في الدنيا بأعمدة طويلة تأتي على الباب بكامله حتى لا تنفتح، مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ومع ذلك كله فالنار قد أحاطت بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان: ٤].

ثم انظر إلى هذا القيد الغريب العجيب الفظيع المؤلم الشديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢].

ثم قال بعض أهل العلم: إن هذه السلسلة تدخل في أنوفهم فتخرج من أدبارهم.

ثم إن هذه النار على أهلها مغلقة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ [البلد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

قال بعض العلماء في تفسير العمد الممددة ما حاصله: إنَّ أهل الكفر موضوعون في أعمدة محيطة بهم، كما تسقط شخصًا في عمود يحيط به من كل جانب.

وقال آخرون: إنهم في النار التي أغلقت أبوابها بعمدٍ ممددة، كما كانوا يغلقون المحلات في الدنيا بأعمدة طويلة تأتي على الباب بكامله حتى لا تنفتح، مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ومع ذلك كله فالنار قد أحاطت بهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآ﴾ [الكهف: ٢٩].

فنعوذ بالله من النار، ومن حرِّ النار، ومن عذاب النار.

ومن صور العذاب

الكي بالنار:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤- ٣٥].

الحر الشديد جدًّا، وكذا السموم:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وقال أهل الإيمان: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧].

ومن ذلك إرهاق أهل النار بالصعود:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧].

قال بعض العلماء: هذا جبل يكلف بصعوده، وقيل غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧].

وفيها أيضًا الذل، والخزي، والمهانة:

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٧].

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وكم من آية فيها وصف للعذاب بأنه مهين، وأليم، وعظيم:

وقال تعالى في شأن بعض أهل النار: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

ولقد توعد الله قومًا بالويل، وتوعد أقوامًا بالغي، فكم من آية فيها ﴿وَيْلٌ﴾... ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

وقد قيل في الويل: إنها توعدٌ بالعذاب الشديد. وقيل: إنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار.

إن أهل النار يهملون فيها ويُنسون فيها:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١].

الشجاع الأقرع[1] يوم القيامة

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ -، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ... الْآيَةَ [آل عمران: ١٨٠].

وهؤلاء قوم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم:

أخرج مسلم[3] في «صحيحه» من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ[4] وَلَا يُزَكِّيهِمْ[5] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[6]، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ثَلَاثَ مِرَارًا - قَالَ أَبُو ذَرٍّ:

---

(١) هو حية عظيمة ضخمة، تساقط شعر رأسها من شدة السم الذي بها.
(٢) البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨).
(٣) مسلم (١٠٦).
(٤) «لا يكلمهم ولا ينظر إليهم» معناه: الإعراض عنهم.
(٥) لا يطهرهم من دنس ذنوبهم.
(٦) أي مؤلم. قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه.

خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ[١]، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

وفي «الصحيح»[٢] من حديث أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

ومن أهوال النار أيضًا

أنهم في النار مقمحون، جُعلت في رقابهم أغلال كبيرة بلغت إلى الأذقان، فدومًا أبصارهم شاخصة إلى أعلى، ورقابهم منثنيةٌ.

إنهم جثاةٌ على الركب، قال تعالى: ﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

وقبل ذلك فإنهم حضور حول النار، جثاة على الركب كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ [مريم: ٦٨].

(١) المسبل: هو المرخي إزاره، الجار طرفه خيلاء.
(٢) مسلم (١٠٨).

لهم فيها زفير ولهم أيضًا شهيق، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود: ١٠٦].

يسمع لهم الجؤار والصياح:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [المؤمنون: ٦٤، ٦٥].

إنهم يُسحبون في النار على وجوههم يُقال لهم: ذوقوا مس سقر!!.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

إنهم يطوفون بين جهنم وبين الحميم الآن - الماء الحار الشديد -.

قال تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤].

إن النار من شدتها تقذف بها أحيانًا إلى أعلى، فهنالك يطرقون بمطراق من حديد تردهم مرة ثانية إلى قاع الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢١، ١٢].

وهذا أيضًا شاهد من المشاهد:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧].

أي: ولو ترى أهل النار وهم وقوف عليها لرأيت منظرًا عظيمًا وكربًا شديدًا، وهولًا فظيعًا، فكلهم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، والإيمان بالله، وتصديق آياته.

ولكن - مع رؤيتهم النار وما فيها - ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

كلام أهل النار:

إنهم أحيانًا يتكلمون؛ ولكن لا نفع من وراء هذا الكلام، كلامهم كله طلبًا للخروج أو تخفيف العذاب، أو الاعتذار.

يكلمون ربهم يسألونه الخروج مما هم فيه، ولكن هيهات هيهات.

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١].

وقال: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ

أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٦- ١١٠].

وهذا أيضًا كلامٌ لأهل النار مع الخزنة، وكلام الخزنة معهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك: ٨، ٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

أما عن خطاب أهل النار مع أهل الجنة:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠].

كلامهم مع آلهتهم التي كانوا يعبدون:

قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٦ - ٩٨].

كلام الشيطان مع أهل النار:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

كلام أهل النار مع بعضهم:

إنهم يتلاعنون فيما بينهم ويتخاصمون أشد الخصومة ويتعادون أشد العداوة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ [ص: ٥٩، ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم: ٢١].

دعاء أهل النار على أنفسهم بالويل والهلاك:

قال تعالى: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق: ١٠].

ومع كل نداءات أهل النار، ومع كل هذه الاستغاثات فلا مُجيب، ولا

نصير، ولا شفيع:

قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الحاقة: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٧، ١٨].

بل إن اللوم ينصب على أهل النار من كل جانب:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

إن الخزنة تقول لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

إن الرجل من أهل الجنة يُنادي من كان يحاول إغواءه في الدنيا قائلًا:

﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٦، ٥٧].

وكذلك لو افتدى بأي فدية فلن تقبل منه:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٣].

وفي «الصحيحين»(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ. - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».

حرمان أهل النار من رؤية ربهم يوم القيامة:

إن أهل النار يحرمون من رؤية ربهم عز وجل، ويحرمون تكليمه لهم، إلا كلامًا يزيدهم عذابًا، ويحرمون من نظره إليهم، ومن تزكيته لهم وتطهيرهم، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

(١) البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

خلود أهل النار وبقاؤهم فيها وعدم تخفيف العذاب عنهم، وبقاء النار وعدم فنائها:

قال الله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٤- ٧٧].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقال تعالى ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ

يَنظُرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النحل: ٨٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٢ - ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

ومن الدليل على خلود أهل النار فيها:

ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

وفي «الصحيحين»[(٢)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٢) البخاري (٦٥٤٤)، ومسلم (٢٨٥٠).

قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، خُلُودٌ».

وهذا مشهد مروع من المشاهد:

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[(١)] من حديث حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، يَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ[(٢)] لَهُمُ الْجَنَّةُ، يَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ اذهبوا فيقولُ: هَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لستُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ[(٣)]، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ[(٤)] الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ».

قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ

---

(١) مسلم (١٩٥).
(٢) تزلف: أي تقرب. كما قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ أي: قُرِّبت.
(٣) وترسل الأمانة والرحم: إرسال الأمانة والرحم لعظم أمرهما وكثير موقعهما. فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.
(٤) جنبتي الصراط: معناهما جانباه، ناحيتاه اليمنى واليسرى.

الرِّجَالِ[(١)] تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ[(٢)] وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ[(٣)] كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ[(٤)] فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

وفي هذا الخبر المتقدم أمرٌ مهم ألا وهو: أن الرحم والأمانة تقفان بجنبتي الصراط. **قال بعض العلماء:** إنهما تستوقفان من قطعهما وخانهما، فالرحم إذا مرَّ بها قاطع قالت: يا رب قطعني، وإذا وصلها واصل وشهدت، له بذلك ودعت له بالسلامة والأمان.

وكذلك الأمانة تقف على جانب الصراط تستوقف من خانها، فتقول: يا رب هذا قد خان الأمانة فانتصر لي منه، وإذا كان قد أدى الأمانة شهدت له بخير، ودعت له بخير، وساعدته في المرور على الصراط.

نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يعيننا وإياكم على أداء الأمانات إلى أهلها.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

---

(١) وشد الرجال: الشد هو العدو البالغ والجري.

(٢) تجري بهم أعمالهم: هو تفسير لقوله ﷺ: **«فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح...»**. إلى آخره.

(٣) حافتي الصراط: هم جانباه.

(٤) ومكدوس: قال في «النهاية» أي: مدفوع، وتكدَّس الإنسان إذا دُفع من ورائه فسقط.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فاعلموا - بارك الله فيكم - أنه لن يعيذكم من النار إلا خالقها وخالقكم سبحانه وتعالى.

فطلبًا للسلامة والنجاة نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من النار، فلن يعيذنا منها، ولن يجيرنا منها إلا الله سبحانه وتعالى.

وامتثالًا لأمر رسول الله ﷺ؛ فنعوذ بالله من النار، ثم نعوذ بالله من النار، ثم نعوذ بالله من النار.

فلقد أمر رسول الله ﷺ بالتعوذ من النار في جملة مواطن منها:

ما أخرجه مسلم في «صحيحه»[1] وفيه أن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ النَّارِ»، قالوا: نعوذ بالله من النار... الحديث.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»[2].

(١) مسلم (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، والترمذي (٢٥٧٢) بسند صحيح، ولكن اختلف في رفع هذا الحديث ووقفه.

وفي البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في شأن مجالس الذكر، أن الله عز وجل يسأل الملائكة عن الذاكرين وذكرهم - وهو أعلم - فيقول - أي عن الذاكرين -: «فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ».

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ...» الحديث.

فنسأل الله أن يجيرنا منها، وأن يُعيذنا منها، ونسأل الله أن يسكننا الفردوس.

اللهم أقلنا العثرات، واغفر لنا الزلات، وارحمنا في الحياة وبعد الممات.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

هذا؛ وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).
(٢) البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإسراء والمعراج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فقد أيَّد الله عز وجل أنبياءه الكرام بطائفة من الآيات الدالة على نبوتهم وصدقهم فيما يخبرون بهم عن ربهم عز وجل تدعيمًا لمواقفهم، وأحيانًا

تلبيةً لرغبة أقوامهم إذ علق بعضهم الإيمان على رؤية الآيات، وكذا تأكيدًا لنبوتهم عند المكذبين بهم.

فمن الأنبياء من سخرت له الريح، وكذا ملَّكه الله أمر الإنس والجن، وجنَّد له الطير، وأسال له عين القطر - النحاس - كسليمان عليه السلام.

ومنهم من ألان الله له الحديد، وسبحت معه الطيور والجبال كداود عليه السلام.

ومنهم من أحيا الله له الموتى، وأجرى شفاء الأكمه والأبرص على يديه، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، وذلك كعيسى عليه السلام.

ومنهم من أخرج الله له ناقة هائلة عظيمة لبنها يكفي لشرب الأقوام كلهم كصالح عليه السلام.

ومنهم من أنجاه الله من بطن الحوت كيونس عليه السلام.

ومنهم من أيده الله بالعصا التي تتحول إلى حية تسعى، وبيد توضع في الجيب فتخرج بيضاء من غير سوء، فتلك آية أخرى كموسى عليه السلام، بل اصطفاه الله على الناس بكلامه له.

إلى غير ذلك مما أيد الله به رسله الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

وأيد الله عزَّ وجل نبيه محمدًا ﷺ بأعظم الآيات، ألا وهي القرآن، قال

تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

ثم ما من آية ومعجزة أوتاها نبي إلا وقد أوتى نبينا محمدﷺ معجزة من جنسها.

فإن كانت الريح سخرت لسليمان عليه السلام، فقد سُخر البراق لنبينا محمد ﷺ، بل وعُرج برسولنا ﷺ حتى تجاوز السماء السابعة، وذلك في القصة الشهيرة المتواترة قصة **الإسراء والمعراج**.

فنسوق هذه القصة بمروياتها، والفوائد المستنبطة منها، سائلين الله جل وعلا أن يرزقنا مزيدًا من الإيمان والتصديق.

وأن يسكننا الفردوس مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

فأسوق وبالله التوفيق بعض المرويات الصحيحة الواردة في هذا الصدد.

فأقول وبالله التوفيق:

هذه رواية الإمام مسلم لهذه القصة المباركة قصة «الإسراء والمعراج» من حديث أنس رضي الله عنه، وهي رواية جيدة سالمة من كثير من الإشكالات الواردة في غيرها.

أخرج الإمام مسلم[١] من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) مسلم (١٦٢).

«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ.

فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً قَالَ:

فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ، فَفَتَحَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٤).

وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ[١].

قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِإِدْرِيسَ قَالَ: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عز وجل عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ. فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ

(١) الصحيح أنه في السابعة كما أفادته الروايات الأخر، أما هذه فمرجوحة.

انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

وهذه رواية مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين» أيضًا لمن أراد المزيد:

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ - حدثهم ليلة أسري به -:

«بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، وَذَكَرَ - يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ - الْبُرَاقُ - فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى

---

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

يُوسُفَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي؟ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى فَقَالَ:

مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً. قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْك، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَك لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّك فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلَاثِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ، فَجَعَلَ عِشْرِينَ ثُمَّ مِثْلَهُ، فَجَعَلَ عشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مِثْلَهُ فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا. فقَالَ: مِثْلَهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ. فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا».

وفي رواية عند أحمد[1] بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ، فَقَعَدَ مُعْتَزِلًا حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ. قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ. فقَالَ: هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي.

---

(١) أحمد (١/ ٣٠٩).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ. قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ، قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ قَالَ: فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ - أَوْ عُقَيْلٍ - فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ قَالَ: وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ، قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ».

هذا بيانٌ لبعض ما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج:

❑ لقد رأى النبي ﷺ في هذه الرحلة العظيمة أمورًا عظيمة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: ١٨].

لقد رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[(١)].

وفي رواية رأى رفرفًا أخضر سدَّ أفق السماء[(٢)].

وفي رواية عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣] قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عَلَيْهِ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ، يُنْثَرُ مِنْ رِيشِهِ التَّهَاوِيلُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ»[(٣)].

---

(١) صح ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٤٨٥٦)، ومسلم (١٧٤).
(٢) البخاري (٣٢٣٣).
(٣) أحمد بسند حسن (١/ ٤١٢).

ولقد رأى مالكًا خازن النار:

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ».

لقد رأى الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - كما قد تقدم:

وأيضًا ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ: مُضْطَرِبٌ، رَجِلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ قَالَ: وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَعْنِي حَمَّامًا - قَالَ: وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ - أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ - أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

لقد رأى نبي الله موسى عليه السلام قائمًا يصلي:

فقد أخرج مسلم في «صحيحه»[(٣)] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ - وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ».

---

(١) مسلم حديث (١٧٢).
(٢) البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).
(٣) مسلم (٢٣٧٥).

ولقد رأى رسول الله ﷺ البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه[١]:

ولقد رأى- صلوات الله وسلامه عليه - الكوثر:

أخرج البخاري [٢]في «صحيحه» من حديث أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ».

ولقد رأى - صلوات الله وسلامه عليه سدرة المنتهى -:

وكما تقدم في حديث أنس رضي الله عنه «ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا».

ولقد رأى المغتابين الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم:

فعند أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عز وجل مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» [٣]

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) البخاري (٤٩٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤).

ولقد رأى الخطباء الذين يقولون ما لا يفعلون:

أخرج أحمد في «مسنده»[١] بسند يصح لشواهده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

ومن صور الإكرام والتأييد التي أيد الله بها هذا النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أن الله عز وجل رفع له بيت المقدس حتى رآه ووصفه أجود الوصف وأحسن الوصف لما سأله المشركون عنه ، ولم يكن أتقن معالمه:

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ إليَّ أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ».

وفي «الصحيحين»[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

---

(١) أحمد (٣/ ١٢٠).
(٢) مسلم (١٧٢).
(٣) البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

هذا؛ ونسأل الله عز وجل أن يمن علينا وعليكم بالإيمان والعمل الصالح، وأن يسكننا جميعًا الفردوس مع نبينا محمد ﷺ.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فاعلموا بارك الله فيكم، وقد سمعتم قصة الإسراء والمعراج أن الله على كل شيء قدير، فربنا قادر على أن يسري بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في وقت أقل من أي وقت يمكن تصور. فربنا على كل شيء قدير، ولقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء: ١].

فتنزه ربنا عن الضعف والعجز، وتنزه عن المثيل والشريك والولد، وتنزه عن كل نقصٍ وعيب، فلقد أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك ما حوله كي يريه من عظيم الآيات، كي يُسري عن هذا النبي الكريم بعد شدة الابتلاءات التي تعرض لها وصنوف الأذى التي لحقته، فالله رحيم بالعباد بصير بهم وسميع.

هذا؛ وأذكر في هذا المقام بمزيد من الفوائد المأخوذة من هذه القصة:

فمن تلك الفوائد ما يلي: -

ابتلاء الناس واختبارهم بهذه الرحلة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا

ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾، فلما أُسري برسول الله ﷺ وعُرج به امتُحنَ الناس بذلك.

كيف يُسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم يعرج به إلى السموات ثم يرجع في تلك الليلة؟

فأما أهل الإيمان فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم فهم يعلمون أن الله على كل شيء قدير، فليس بعزيز على الله عز وجل أن يصنع هذا بنبيه ﷺ

أما أهل الكفر والإلحاد، ومن قلَّ علمهم بالله فيقولون: كيفْ يحدث هذا؟ ويستنكرونه أشد الاستنكار.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

هذا؛ ومن المستفاد من هذه القصة: أن الآيات - المعجزات - لا تنشئ إيمانًا، إنما الإيمان بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ

إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

وفي القصة بيان فضيلة نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء.

فقد صلى بهم إمامًا ﷺ، وتجاوز السموات التي هم فيها أيضًا لمستوى يسمع فيها صرير الأقلام، وكلمه ربه عز وجل، فنال بذلك شرفًا وفضيلة أخرى.

وفي القصة: فضيلة لنبي الله موسى عليه السلام، ومحبته الخير لأمة محمد ﷺ لما قال لرسول الله ﷺ: «**ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف...**» الحديث.

وفي القصة: فرض الصلاة.

ومن المستفاد أيضًا: التبصير برؤية المغتابين والخطباء الذين يقولون ما لا يفعلون، وبيان أليم العقاب المعد لهم.

وفي القصة: لفتة إلى ما وُصف به رسولنا ﷺ في قوله: ﴿ بِعَبْدِهِۦ ﴾، فمع ما مَنَّ الله به عليه من الكرامات والآيات فهو عبد لله، كما أن الخلق عبيد لله كلهم.

ويؤخذ من ربط النبي للبراق في حلقة عند باب المسجد، مع أن البراق مُسخرٌ، مشروعية الأخذ بالأسباب.

ولقد ذُكر أن أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إنما لُقب بالصديق لمبادرته إلى التصديق برحلة الإسراء والمعراج.

وهذا يحتاج مني إلى مزيد تحرير.

ولكن أبا بكر على كل حال كان من أوائل المصدقين بها بلا شك ولا ريب.

هذا ولا نعلم دليلًا صحيحًا على أن النبي ﷺ رأى ربه في تلك الليلة بعينيه: بل قال: «رَأيتُ نُورًا»[1]، وقال أيضًا: «نورٌ أنى أراه».

ولقد قال ﷺ «إنَّ اللَّهَ عز وجل لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ ينامَ»، فذكر الحديث وفيه: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[2].

فكل ذلك دالٌّ على عدم رؤيته لربه عز وجل.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال جل ذكره: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

هذا؛ وليُعلم أن الإسراء كان بالروح والجسد معًا:

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ: ومذهب جمهور السلف والخلف أن الإسراء كان ببدنه وروحه - صلوات الله وسلامه عليه -.

(١) مسلم (١٧٨).
(٢) مسلم (١٧٩).

وليُعلم أنه لم يشرع لنا قيام ليلة الإسراء والمعراج ولا إحياؤها بذكر أو صلاة فيْها أو احتفال:

ولم أقف على أحدٍ من الصحابة ﷺ فعل ذلك أو التابعين، أو أصحاب المذاهب الأربعة يرحمهم الله أجمعين.

وكذا؛ فلا نعلم تاريخًا صحيحًا يُحدد لنا الليلة والعام الذي أسري برسول الله ﷺ فيه:

وليس في هذا مطعنٌ في القصة وثبوتها، ولم يحدث إجماع على تحديد هذا التاريخ.

هذا؛ ونسأل الله أن يرزقنا الإيمان به . . . وحسن الإنابة إليه، وأن يُقر أعيننا يوم نلقاه بلذة النظر إلى وجهه والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلة.

اللهم علمنا كتابك وسنة نبيك ﷺ ، وفقهنا في ديننا.

اللهم توفنا على كلمة الإيمان والإسلام والهدى، وأنت راض عنا، اللهم احشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الهجرة النبوية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

فإن إقامة دين الله عز وجل في الأرض وتحقيق العبودية والخضوع له، وإقامة شرعه غاية من أسمى الغايات، بل أسماها وأفضلها.

فإن تحقق هذا للشخص في أرضه وبلده وبين أهله وذويه، فالحمد لله،

وإنْ لم يتحقق هذا للشخص في بلده وبين ذويه، فإن إقامة الدين وتحقيق العبودية أولى ثم أولى من البلدة والأهل والمال والولد.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

فمن ثَمَّ شرعت الهجرة، شرعت لإقامة الدين وحفظه، ومفارقة الباطل وأهله.

لقد قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٦]، ثم هوَّنَ الله أمر الدنيا بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

فشُرعت الهجرة كذلك فرارًا من الفتن.

ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»[(١)].

(١) البخاري حديث (١٩).

ولا يخفى أن رسول الله ﷺ أخبر بالرجل الذي قتل مائة نفس، وكيف وأن العالم أرشده!!. ترك أرضه أرض الفتن.

ففي «الصحيحين»(١) واللفظ لمسلم من حديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ. انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

ثم إن هذه الهجرة، ومفارقة أرض الشر والفساد سنة مطردة سلكها أنبياءٌ قبل نبينا محمد ﷺ:

فقد قال الخليل نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي

---

(١) البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾، [العنكبوت: ٢٥ - ٢٦].

وكان من طلبات موسى عليه السلام من فرعون قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٧].

ثم إن الله عز وجل قد أحسن الثناء على المهاجرين إليه لنصرة دينه وإعزاز رسوله ﷺ:

فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠].

هذا؛ ولقد كان رسول الله ﷺ ولكثير من أصحابه الكرام نصيب كبير من هذا الفضل، وتلك المنقبة والفضيلة، فضيلة الهجرة لله عز وجل ولإقامة شرعه ودينه.

فهاجر رسول الله ﷺ وترك مكة التي هي أحب بلاد الله إلى الله رغبةً إلى الله، ولإقامة شرع الله.

أخرج الإمام أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ فِي سُوقِ مَكَّةَ: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عز وجل، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[1].

---

(١) أحمد (٤/ ٣٠٥).

فهاجر النبي ﷺ وأصحابه.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

... فنسوق في هذا المقام - إن شاء الله تعالى - بعض ما يتعلق بهجرته - صلوات الله وسلامه عليه -، وبعض ما فيها من الفوائد والصبر والعظات.

فأقول ابتداء - وبالله التوفيق -:

لقد كان لهذه الهجرة مقدمات وأمور سبقتها.

ففي مكة اشتد الأذى برسول الله ﷺ وأصحابه فأمر النبي ﷺ طائفةً من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وعرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، وعرض عليهم دعوته، ونزل في جوار المطعم بن عدي، فحمل المطعم سلاحه للدفاع عن رسول الله ﷺ، وبايع النبي ﷺ فريقًا من الأنصار عند العقبة تمهيدًا لذهابه إليهم، ورأى النبي ﷺ رؤيا حاصلها أنه سيهاجر إلى أرض ذات نخل، فكانت هي المدينة.

وأرسل النبي ﷺ بين يدي هجرته إلى المدينة من أصحابه من يعلم أهلها.

فأرسل مُصعب بن عُمير رضي الله عنه، وقام ببعض هذا الغرض، وكذا ابن أم مكتوم، فقد هاجر مع أوائل من هاجروا، ثم بلال وعمار وسعد ثم عمر في طائفة من الرجال، ثم هاجر رسول الله ﷺ بعد ذلك على ما سيأتي.

أما في المدينة، فقد كانت هناك توطئات لذهابه كالقتال الذي دار بين الأوس والخزرج يوم «بُعاث»، وقُتل منهم عدد كبير، وكان يومًا قدَّمه الله عز وجل[(١)] لرسوله ﷺ، فقدم عليهم وقد افترق ملأهم وقتلت سراتهم، وكان هذا سببًا في دخولهم الإسلام.

وكما سلف فبين يدي قدوم رسول الله ﷺ المدينة قد كان هناك مصعب ابن عمير يُعلم أهلها.

وأيضًا فقد كان اليهود يتحدثون بشأن هذا النبي ﷺ، وأنه خارج، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ففي تفسيرها ما حاصله: أن اليهود لما كانوا يلاقون من الأذى ما يلاقون من الأوس والخزرج قبل مبعث النبي ﷺ كانوا يتوعدون الأوس والخزرج ويقولون: سيخرج عما قريب نبي نتبعه، ونقتلكم نحن وهو قتل عاد، فلما بعث النبي ﷺ، وكان من قريش كفرت به اليهود، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وكان بالمدينة أيضًا سلمان الفارسي الذي كان ينتظر مبعث النبي ﷺ بما حمله سلمان عن أهل الكتاب من علمٍ في هذا الصدد.

---

(١) انظر البخاري (حديث ٣٩٣٠).

أما عن هجرته ﷺ والحديث بذلك:

فقد أخرج البخاري من حديث عائشة[١] ﵂ قالت: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ.

فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ

---

(١) البخاري (٣٩٠٥).

وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عز وجل، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «**إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ**»، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى

يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ

يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا»، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ»، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالَا: لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ

وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ ... فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ.

وعند البخاري أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ

لَا يُعْرَفُ قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ لَحِقَهُمْ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فَارِسٌ قَدْ لَحِقَ بِنَا، فَالْتَفَتَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ**»، فَصَرَعَهُ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَامَتْ تُحَمْحِمُ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُرْنِي بِمَا شِئْتَ قَالَ: «**فَقِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا**»، قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ آخِرَ النَّهَارِ مَسْلَحَةً لَهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَانِبَ الْحَرَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمَا وَقَالُوا: ارْكَبَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلَاحِ فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟**» فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي قَالَ: «**فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا**»، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ.

فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ. قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ - قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ - قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ قَالَ: يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

فهذا بعض الوارد في الهجرة ألحقنا الله عز وجل بالسابقين الأولين...

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد سمعتم شيئًا عن هجرة نبيكم محمد ﷺ، وأُذكِّر نفسي وإخواني ببعض المستفاد من هذه الهجرة فيتضح من هذه الهجرة ما يلي:

- يتضح وبجلاءٍ حفظ الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه، وذلك في مواطن منها:
- حفظ الله لنبيه ﷺ عند خروجه من بيته ونوم علي رضي الله عنه في فراشه.
- حفظ الله عز وجل لنبيه ﷺ وصاحب نبيه أبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار، وأبو بكر يقول: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، وقول رسول الله ﷺ: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»**.
- حفظ الله لنبيه ﷺ لما اقترب سراقة بن مالك بن جعشم وساخت رجل فرسه في الأرض.
- وكذلك يتجلى مبدأ الحذر والاحتياط والأخذ بالأسباب، فمع أن رسول الله ﷺ الله ناصره إلا أنه لم يقصر في الأخذ بالأسباب، كنوم علي في فراش النبي ﷺ، والخروج ليلًا، والتجهز والتزود للرحلة، واستئجار

رجل من بني عبد الدِّيل هاديًا خِرِّيتًا، وكذا ما صنعه عبد الله بن أبي بكر من نقل الأخبار - أخبار قريش وما يكيدون به للنبي ﷺ - إلى النبي ﷺ وأبي بكر، وكذا التعريض الذي استعمله أبو بكر رضي الله عنه في قوله: هذا هاد يهديني السبيل.

❏ وكذا ظهرت فضائل عظيمة لبعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر، وعلي، وأسماء بنت أبي بكر، وعبد الله بن أبي بكر، وغير هؤلاء رضي الله عنهم أجمعين.

هذا فضلًا عن الفوائد المبثوثة في ثنايا قصة الهجرة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يسكننا الفردوس ولا يحرمنا الأجر والثواب.

هذا؛ وليُعلم أن الهجرة ما مازالت باقية إلى يوم القيامة، ولكنها هجرة من الباطل إلى الحق، ومن المنكر إلى المعروف، ومن أرض الشر والفساد إلى أرض الخير والصلاح.

أما الهجرة مع رسول الله فقد انتهت بفتح مكة، وقال ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**»، أما ما سواها مما قد ذكرنا فما زال باقيًا.

وعمومًا، فـ«**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**»، كما قال رسول الله ﷺ.

اللهم احشرنا مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم اجمعنا بالنبي الأمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ألا وأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم، فإن صلاتكم تصل إليه.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

آية الحقوق العشر أو الوصايا العشر

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

وبعد فكما تعلمون بارك الله فيكم أنه كي يسلم للمرء أمره ويلقى ربه متخففًا من الذنوب، والأوزار لزامًا عليه أن يؤدي لكل ذي حق حقه، فكما لا يخفى عليكم أن الله سبحانه وتعالى له علينا حقوق، ثم لسائر خلقه حقوق علينا، وهذه الحقوق بينها كتاب الله عز وجل وبينتها سنة رسول الله ﷺ فها نحن نذكِّر أنفسنا وإخواننا ببعض تلك الحقوق لعل الله أن يقينا وإياكم سوء العذاب، وأن يخرجنا وإياكم من الظلمات إلى النور.

ها نحن نتناول آية من كتاب الله عز وجل أجمع العلماء[1] على أنها من المحكم المتفق عليه، ليس منها شيء منسوخ، وكذلك هي في جميع الكتب، ويسميها العلماء آية الوصايا العشر، فخير وصايا، وصايا أوحى بها ربنا سبحانه وتعالى، وأوحي بها لنبيه محمد ﷺ ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

فقدمت الوصايا بأعظمها على الإطلاق ألا وهي الوصية بعبادة الله عز وجل وعدم الشرك به.

إذ الله قال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾.

فهذه أعظم الوصايا على الإطلاق، ومن لم يمتثلها فقد خسر دنياه

---

(١) قال هذا الإجماع القرطبي رحمه الله.

وأخراه، ثم هذه هي وصية الأنبياء عمومًا وبها أرسلوا.

ألا ترى أن كل الأنبياء كان قائلهم يقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] قالها نوح وهود وصالح وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

لقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

أما الشرك بالله فهو محبط لجميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فعلى الشخص أن يحرص تمام الحرص على عبادة ربه عز وجل وتوحيده واتقاء الشرك والحذر منه أشد الحذر، فكما سمعتم أنه محبط لجميع الأعمال، وهو الذنب الذي لا يغفر.

ثم يأتي بعد ذلك أعظم حق للعباد بعد حق الله عز وجل علينا ألا وهو حق الوالدين، وقد سبق مرارًا التذكير به، ولكن كما تعلمون أن الشيء إذا

كانَ من الأهمية بمكان كبير فإنه يكثر التذكير به والتنويه عليه، فنشير إشارة سريعة جدًّا إلى ما ورد في بر الوالدين إذ الله قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فنقول وبالله التوفيق إن العهود والمواثيق أُخذت حتى على بني إسرائيل بالإحسان إلى الوالدين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ولقد تكررت الأوامر لنا في كتاب ربنا بذلك.

فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

والآيات كثيرة جدًّا في هذا الصدد.

هذا وليعلم أن الوصية بالوالدين في حال الكبر أعظم منها في غير تلك الحال، قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال ﷺ: «رغم أنف امرئ أدرك والديه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة»(١).

(١) صحيح وتقدم تخريجه في خطبة بر الوالدين.

أيها الأخوة لقد سئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قيل: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قيل: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[(١)].

فجعل بر الوالدين مقدمًا على الجهاد في سبيل الله.

وفي المقابل فقد جاء العقوق في ترتيب الجرائم والكبائر بعد الشرك بالله ففي الحديث: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[(٢)].

إن الدعوات تستجاب ببر الوالدين.

ويشهد لذلك حديث أويس القرني، وهو رجل يمني بارٌ بأمه ولبره بأمه دعا الله سبحانه وتعالى فشفاه من مرض يعجز الأطباء ولا زالوا عن علاجه ألا وهو البرص.

أخرج مسلم[(٣)] في «صحيحه» من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

ويشهد لذلك أيضًا حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين انطبقت على فم غارهم صخرة فأحدهم توسل إلى الله بصالح عمله فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ

---

(١)، (٢) كلاهما صحيح، وتقدم تخريجهما في خطبة بر الوالدين.

(٣) مسلم (٥/ ٢٠٣).

لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِك دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِك ابْتِغَاءَ وَجْهِك فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ»[(١)].

وها هو جريج العابد استجيبت فيه دعوة أمه لما أقبل على صلاته وتركها تناديه.

ففي «الصحيحين»[(٢)] من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ...» فذكر الحديث وفيه: «وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ

(١) أخرج ذلك البخاري (مع الفتح) (١/ ٤٠٤).
(٢) البخاري (٦/ ٤٧٦)، ومسلم (٥/ ٤١٤).
وسيأتي بعد قليل إن شاء الله كم من الأدلة في التحذير من قطع الرحم.

بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ! فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا».

ثم تأتي الوصية بصلة الأرحام.

لقد وردت جملة من الآيات والأحاديث تحث على صلة الرحم وتحذر من قطعها، ومن الأدلة التي تحث على صلة الأرحام ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ٢١].

وقول الله سبحانه: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٦)، ومسلم (حديث ٢٥٥٧).

الله ﷺ قال: «من أحب أن يبْسَط له في رزْقِه، وينْسَأَ له[١] في أثره[٢] فليصل رحمه».

وأخرج البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «... ومن كانَ يؤمنُ باللهِ واليوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِل رَحِمَه».

وفي الصحيحين[٤] من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وأخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره: أن هرقل أرسلَ إليهِ فقالَ: مَا يَأْمُر؟ - يعني النبي ﷺ - فَقَال: «يأْمرُنَا بالصَّلاَة، والصَّدَقة، والعَفَاف، والصلة».

ولما قال رسول الله ﷺ لخديجة رضي الله عنها «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» وأخبرها الخبر خبر الوحي قائلًا: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ رضي الله عنها كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[٦].

---

(١) ينسأ: أي يؤخر.
(٢) أثره: أي أجله.
(٣) البخاري (٦١٣٨).
(٤) البخاري (حديث ٥٩٨٣)، ومسلم ص (٤٣).
(٥) البخاري (حديث ٥٩٨٠)، ومسلم ص (١٧٧٣).
(٦) البخاري (حديث ٣)، ومسلم (حديث ١٦٠).

وفي «الصحيحين»(١) من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ(٢) بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ صِلَةٍ(٣) وَعَتَاقَةٍ، وَصَدَقَةٍ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ قَالَ حَكِيمٌ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ».

لقد أحسن من أوصى ولده فقال في وصية له: يا بني لا تصاحب قاطع رحم فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله عز وجل في ثلاث مواطن:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢- ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧].

أيها الإخوة لقد استعاذت الرحم بربها تبارك وتعالى من قوم يريدون

---

(١) البخاري (٥٩٩٢)، ومسلم (١٢٣).
(٢) أتحنث: أتعبد.
(٣) في رواية البخاري (١٤٣٦): ومن صلة الرحم.

قطعها، لقد فرَّت إلى ربها مستجيرة به مستعيذة من قوم يريدون قطعها، لقد تعلقت بالعرش تستجير بالله وتستعيذ به.

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢]».

وفي الصحيح[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ[(٣)] مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

وفي الصحيحين[(٤)] من حديث عائشة رضي الله عنها، واللفظ لمسلم قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وفي الصحيحين[(٥)] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»[(٦)].

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨٧)، ومسلم (حديث ٢٥٥٤).
(٢) البخاري (حديث ٥٩٨٨).
(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: . . . وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة.
(٤) البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).
(٥) البخاري (حديث ٥٩٨٤)، ومسلم (حديث ٢٥٥٦).
(٦) المراد بالقاطع: قاطع الرحم.

إنَّ الرحم حتى الرحم الكافرة توصل.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

وفي «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَأَى عُمَرُ حُلَّةَ سِيَرَاءَ تُبَاعُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْتَعْ هَذِهِ وَالْبَسْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَإِذَا جَاءَكَ الْوُفُودُ، قَالَ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ» فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهَا بِحُلَلٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بِحُلَّةٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَلْبَسُهَا وَقَدْ قُلْتَ فِيهَا مَا قُلْتَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُعْطِكَهَا لِتَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ تَبِيعُهَا أَوْ تَكْسُوهَا» فَأَرْسَلَ بِهَا عُمَرُ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ.

وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] - واللفظ لمسلم - من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارًا غير سرٍّ يقول: «ألا إنَّ آلَ أبِي - يعني: فلانًا - ليسوا لي بأولياء، إنَّما وليي اللهُ وصالحُ المؤمنين».

وعند البخاري زيادة معلقة، وقد وصلها غيره، وفيها: «ولكن لهمْ رحمٌ أبُلها ببلالها»[(٣)] يعني: أصلها بصلتها.

---

(١) البخاري (حديث ٥٩٨١)، ومسلم (حديث ٢٠٦٨).

(٢) البخاري (حديث ٥٩٩٠)، ومسلم (حديث ٢١٥).

(٣) ولتقريب معنى أبلها ببلاها، فإن الرحم شبهت بالجلد اليابسة، إذا واصلت رشها بالماء لانت معك، فإذا وصلت الأرحام لانت بيديك واستمعوا لك وأطاعوا، كما أن الجلد يلين وتعتريه الطراوة إذا بُلَّ بالماء.

وحتى الرحم القاطعة توصل.

ففي الصحيح[١] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[٢].

وأخرج مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[٤]، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ[٥] عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

وكذلك تأتي الوصية باليتامى.

أما اليتيم فهو من مات أبوه وهو دون البلوغ فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «وأما الصبي فينقطع عنه اليتم إذا احتلم»[٦].

---

(١) البخاري (٥٩٩١).
(٢) المعنى والله أعلم، ليس الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من وصله، أي: ليس هو الذي يكافئ من وصاه بأن يصله كما وصله، ولكن الواصل كامل الوصل هو الذي يصل من قطعه، والله أعلم.
وقال الحافظ في «الفتح»: «... هم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه ولا يتفضل».
(٣) مسلم (حديث ٢٥٥٨).
(٤) المَلُّ: هو الرماد الحار، ومعنى تسفهم المَلَّ أي: أي تطعمهم الرماد الحار.
(٥) الظهير: المعاون.
(٦) أخرج ذلك أحمد (١/ ٢٢٤- ٢٩٤- ٣٠٨).

ولقد تواصلت الوصايا بالأيتام، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»**(١) وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئًا.

وقال ﷺ: **«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»**(٢).

ولقد توالت النصوص المحذرة من ظلم الأيتام.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

---

(١) البخاري (٥٣٠٤)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٣).
(٢) البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٢).

وقال تعالى: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

ويقول النبي ﷺ[(١)]: «اجتنبوا السَّبع الموبقات» قيل: وما هن يا رسول الله: قال: «الشرك بالله...» فذكر الحديث وفيه: «وأكل مال اليتيم».

وامتثالًا لأمر الله عز وجل أكرموا الأيتام، وامتثالًا لأمر الله عز وجل ارحموا الأرامل، وامتثالًا لأمر رسول الله ﷺ كونوا عباد الله إخوانًا.

ثم تأتي الوصية بالمساكين، وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم.

وقد تقدم قول النبي ﷺ: «الساعي عَلى الأراملة والمِسْكِين كَالمُجَاهِد في سَبِيلِ الله، أو القَائِم الصَّائِم النَّهار».

هذا، وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»[(٢)].

---

(١) الحديث وفيه: «... الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (حديث ٨٩).

(٢) البخاري (حديث ١٤٧٩)، ومسلم (حديث ١٠٣٩).

والسائل الذي ترده اللقمة واللقمتان مسكينٌ وحديث رسول الله ﷺ : «لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ...» معناه - والله أعلم -: ليس المسكين كامل المسكنة هو من ترده اللقمة واللقمتان وإنما هناك مسكين أشد من هذا المسكين وهو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس، والله أعلم.



الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وبعد:

فتتوالى الوصايا وصية بعد الأخرى فتأتي وصية حسنة بالجار[(١)]، والجار هنا على قسمين:

أحدهما: «الجار ذي القربى» وهو الجار الذي تربطك به قرابة.

والثاني: «الجار الجنب» الذي لا تربطك به قرابة.

أما الجار الأول، إن كان مسلمًا فله عليك حقوق: حق الإسلام، وحق القرابة وحق الجوار.

أما إذا كان كافرًا: فله حق القرابة، وحق الجوار.

أما الجار «الجنب» فله عليه حق الجوار.

ولقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالجار، كما في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

وأوصى به سيد الملائكة وعظيمهم وكبيرهم ورئيسهم جبريل عليه السلام، وأوصى به أيضًا رسول الله ﷺ.

وهذا كله دالٌّ على عظيم حق الجار، ذلكم الحق الذي ضُيِّع، وخاصة في

(١) وكما سترى فالجار في هذه النصوص كلها عام، لا يختص بالجار المسلم بل يعم الجيران. قال القرطبي رحمه الله: الأحاديث في إكرام الضيف جاءت مطلقة غير مقيدة حتى الكافر كما بيَّنا.

مدننا مع هذه المدنية الزائفة التي ترى فيها صاحب المنزل، وصاحب الشقة قد أغلق عليه بابه ويرقص طربًا أحيانًا، وجاره في غم وهم وكرب وحزن وبلاء.

لقد توالت النصوص بالإحسان إلى الجيران.

من ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١).

وقد ورد هذا الحديث من عدة طرق عن رسول الله ﷺ.

ومن الوارد أيضًا قول رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»(٢).

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»(٤).

(١) البخاري (حديث ٦٠١٤)، ومسلم (حديث ٢٦٢٤).
(٢) حسن، أخرجه الترمذي (ص ٣٣٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٤٢) بتحقيقي.
(٣) البخاري (حديث ٦٠١٨)، ومسلم (حديث ٤٧) ص (٦٨).
(٤) مسلم (٢٠٢٥).

وها هو رسول الله ﷺ يحث على الإهداء للجارة فيقول: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»[١].

وحتى الجار اليهودي يُهدى إليه، أخرج الترمذي وأبو داود والبخاري[٢] في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من طريق مجاهد: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ».

وفي «الصحيح» كذلك من حديث أبي شريح العدوي قال: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ...»[٣].

وأخرج البخاري[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنْ رسول الله ﷺ قال: «لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ؟ وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ.

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله: إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا»[٥].

---

(١) الحديث عند البخاري (٦٠١٧) ومسلم (١٠٣٠). ومعناه: لا تحقرن أن تهدي جارتها شيئًا ولو أن تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب، وهو «فرسن» حافر شاة.

(٢) الترمذي (حديث ١٩٤٣) وأبو داود (٥١٥٢) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٥).

(٣) البخاري (حديث ٦٠١٩)، ومسلم (حديث ٤٨).

(٤) البخاري حديث (٢٤٦٣)، ومسلم (حديث ١٦٠٩).

(٥) البخاري (حديث ٦٠٢٠).

وانظر إلى عقوبة من خان الجار في أهله.

ففي «الصحيحين»(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

وفي «الصحيح»(٢): أن رسول ﷺ قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

وفي رواية لمسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

وفي «مسند الإمام أحمد»(٣) من حديث المقداد بن الأسود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ» قَالَ: فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟» قَالُوا: حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ».

أما الصاحب بالجنب فهو: الرفيق في السفر، وهذا قول أكثر أهل العلم، ومنهم من قال: إنها الزوجة.

(١) البخاري (حديث ٤٤٧٧)، وانظر أطرافه هناك، ومسلم (حديث ٨٦).
(٢) البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» حديث (٦٠١٦) مسلم (حديث ٤٦).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٨) بإسناد صحيح.

وقول ثالث: إنه الرفيق الذي يلازمك، كالطلاب، والسائقين، والحاشية التي تصاحب الشخص، ونحو هؤلاء [(١)].

أما ابن السبيل، فالسبيل هو الطريق وابن السبيل هو المسافر الذي انتهت النفقة التي معه ولا يستطيع الرجوع إلى بلده فيعطى ما يوصله إلى بلده.

وزاد الحافظ ابن كثير فقال: «وكذا الذي يريد سفرًا في طاعة فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه».

وقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بابن السبيل هنا الضيف، فقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: «وابن السبيل» هو الضيف [(٢)]، قال: قد ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم

---

(١) قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن معنى الصاحب بالجنب: الصاحب إلى الجنب، كما يقال: «فلان بجنب فلانًا» وإلى جنبه وهو من قولهم: «جنب فلان فلانًا فهو يجنبه جنبًا» إذا كان لجنبه، ومن ذلك «جنب الخيل» إذا قاد بعضها إلى جنب بعض.
وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر والمرأة، والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه؛ لأن كلهم يجنب الذي هو معه، وقريب منه وقد أوصى الله تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب.

(٢) وهذا إسناد حسن عن قتادة، أما قوله: قد ذكر لنا، فهو مرسل، لكن قد أخرجه مسلم متصلًا.
قال ابن سعدي رحمه الله: «وابن السبيل» وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على إعطائه من المال ما يعينه على سفره لكونه مظنة الحاجة وكثرة المصارف فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوَّله من نعمته أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة، على حسب استطاعته، ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها.

الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»، قال: وكان يقول: **«حق الضيافة ثلاث ليال، فكل شيء أضافه بعد ذلك صدقة»**.

ثم ختمت الوصايا بالوصية بملك اليمين وهم العبيد والإماء وذلك لضعفهم وانكسارهم وللرق والعبودية اللتان يعيشان فيهما، وبهم أوصى رسول الله ﷺ في آخر حياته، فكان يقول: **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»** هذا وإن كان أمر الرق لا وجود له الآن، فتتأتى الوصية بالخدم، ومن يقوم مقام العبيد الإماء مع الفارق.

هذا، وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه من طريق المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: **«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»**.

هذا، ولما كان المختال يأنف من ذوي قرباته، ومن جيرانه، ويبخس أصحاب الحقوق حقوقهم ويقهر الأيتام، ويغلظ على المساكين.

ولما كان الفخر يحمل على الطغيان، وكان الفخور يفتخر على ذوي القربات، وعلى عموم الناس سوى نفسه ذُمَّ من أجل ذلك المختال الفخور، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) البخاري (حديث ٣١).

رزقنا الله وإياكم التواضع ونفعنا الله وإياكم بكتابه الكريم وبسنة نبيه الأمين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم أعنا على أداء الحقوق إلى أهلها.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك.

اللهم انصر الإسلام وأهله، وارفع سنة النبي ﷺ فوق كل السنن، ودينه فوق كل الأديان، اللهم ارزقنا رحمة عبادك المؤمنين، والرفق بهم، والحنو عليهم يا رب العالمين.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، وتقبل دعواتنا يا أرحم الراحمين.

ألا فأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ سيد ولد آدم، فصلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم وأهل بيته وصحبه الكرام أجمعين يا رب العالمين

وأقم الصلاة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تحريم الظلم وبيان بعض صوره

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فمن المعلوم بارك الله فيكم أن ثواب الأعمال قد يتضاعف لقرائن تحتف بتلك الأعمال، وكذلك جزاء السيئات قد يتضاعف لقرائن تحتف بتلك السيئات.

فصلاةٌ في مسجد رسول الله ﷺ تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام(١)!!

وصلاةٌ في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد(٢)!!

والصلاة هي الصلاة، والركعات هي الركعات.

وكذا في أبواب الصدقات، نجد الصدقة على القريب المحتاج لها أجران أجر الصدقة وأجر الصلة(٣).

أما الصدقة على البعيد فلها أجرٌ.

وأزواج النبي ﷺ قال الله لهن: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٠].

وفي ذات الوقت: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا

---

(١) البخاري حديث (١١٨٩، ١١٩٠)، ومسلم (٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦).
(٢) صحيح بمجموع طرقه، وانظر «مسند أحمد» (٣/ ٣٤٣). و«فتح الباري» (٣/ ٦٧) طبعة دار المعرفة.
(٣) البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠١).

نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٣١] .

وكما هو معلوم فأكل أموال الناس بالباطل حرام، ولكن أكل أموال اليتامى ظلمًا أشد تحريمًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٠].

والزنا عمومًا كبيرة من الكبائر، وفاحشة وساء سبيلا، ولكن الزنا بحليلة الجار أشد جرمًا وتحريمًا.

ففي الحديث في بيان عِظم الكبائر: «أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»(١).

هذا، ونحن في استقبال أشهرٍ حرمٍ قد أزفت علينا وأوشك هلالها أن يهل علينا، جعله الله هلال خير ورشد وبركة علينا وعليكم وعلى المسلمين.

أما ونحن في استقبالها فنذكر بقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة: الآية ٣٦] .

وقد بينها رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو

---

(١) في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: قُلْتُ لَهُ إن ذلك عند الله لعظيمٌ قال: قلتُ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم [٨٦].

الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»[(١)].

فنهانا ربنا سبحانه وتعالى عن ظلم أنفسنا في هذه الأشهر، وظلم النفس هذا يأتي بفعل ما يجب على تلك النفس نكدًا، وغمًّا، وهمًّا، وألمًا، وعذابًا في الدنيا والآخرة.

وهذه الجوالب التي تجلب على النفس الهموم والأحزان تحملها الشرور والآلام، منها ظلم النفس بالشرك بالله وبالرياء، وظلمها باقتراف الكبائر والمعاصي والآثام، وظلمها بظلم العباد، فما فائدة هذا الظلم عليك أيها الإنسان؟

فلا يسوغ ولا يجوز ولا ينبغي ولا يحل أن نجلب لأنفسنا ما نظلمها به وننزلها منازل لا يليق بها ولا تطيقها ولا تتحملها سواء في الدنيا أو في الآخرة.

بل علينا أن نرحم أنفسنا ونلتمس لها ما يسعدها ويطمئنها ويورثها فسيح الجنات، وشرح لها صدرها ويطمئن خاطرها، وذلك يتأتى بفعل ما أمرنا الله به واجتناب ما نهانا الله عنه.

وأتعرض في هذا المقام وبالله أستعين، وعليه أتوكل، وأستهديه واستغفره وأسأله أن يوفقني لتذكية نفسي وإخواني بشيء مما سلف حزرًا من الوقوع في المحظور، وتنبيهًا لنفسي وإخواني على مخاطر ومحاذير قد تُردي

(١) البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

وتُهلك وتذهب بالحسنات وتفتك، وتورث الجحيم وتوبق، عافانا الله والمسلمين من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

أحذر نفسي في هذه الأشهر والأيام، بل وفي عموم الأوقات والأزمان من ظلم النفس، ومنه ظلم العباد!!.

إذا الله قد حرم الظلم على نفسه، وجعله بين العباد محرمًا، قال تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»[(١)].

لقد حرم الله الظلم على نفسه، وذكرنا بذلك في عدة آيات كريمات:

فقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: الآية ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النِّساء: الآية ٤٠].

أما الإنسان فهو الظلوم الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤].

لقد نهانا الله عن الظلم أشد النهي، وحذرنا منه أشد التحذير، فخراب البيوت بسبب الظلم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: الآية ٥٢].

(١) مسلم حديث (٢٥٧٧).

والخيبةُ والخسران بسبب الظلم ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١] .

والهلاك والتباب بسبب الظلم ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ١٣] .

وعدم الفلاح بسبب الظلم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٢١] .

والضلال والتيه بسبب الظلم ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] .

وبيَّن لنا ربنا أن الظالمين لا يحبهم الله ولا يوفقهم ولا يهديهم، بل وأعدَّ لهم شديد العذاب وأليم العقاب، بل ويلعنهم ويزيدهم خسارًا.

الله لا يحبهم إذ قد قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٧] .

ولا يهديهم إذ قد قال سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٨] .

وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] .

وأعد لهم عذابًا أليما إذ قد قال ربنا: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفُرقان: الآية ٣٧] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٢] .

فالظالمون ربي بهم عليهم: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٥] .

وليس لهم من وليٍّ يتولاهم ولا نصير ينصرهم: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٠].

إن ربي ليس عنهم بغافل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤٢].

فالحذر الحذر من الظلم سلمنا الله وإياكم منه؛ فإنه ظلمات يوم القيامة!!!

قال رسول الله ﷺ: «بَاب الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

ظلمات عند مرورك على الصراط، وأي ظلمات؟

إن أنوار الظالمين... هنالك، عندما يقول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ [التحريم: الآية ٨].

احذروا بارك الله فيكم الظلم بأنواعه:

احذروا الشرط فـ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣].

احذروا الكبائر والمعاصي والآثام التي تجلب الشرور والعذاب، وبادروا بالاستغفار منها، يدفع عنكم العذاب، ويصرف عنكم السوء والمكروه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: الآية ١٤٧].

---

(١) البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

فاحذروا ظلم العباد، فالحقوق مؤداه في الدنيا وإلا فيوم يقوم الأشهاد.

أخرج البخاري[(١)] في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

وفي «الصحيح»[(٢)] أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

إن دعوة المظلوم تطارد الظالم أينما كان وحيثما -حلَّ-، ولقد قال النبي ﷺ لمعاذٍ لما بعثه إلى اليمن: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[(٣)].

وأُذكِّر نفسي وإخواني بقصتين في هذا الصدد:

إحداهما: لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أحد العشرة المبشرون بالجنة، وهي دعوة دعا بها على من ظلمه، فانظر كيف كانت العاقبة، وكيف كان الانتقام.

---

(١) البخاري (٢٤٤٠).
(٢) البخاري (٢٤٤٩).
(٣) البخاري (٢٤٤٨).

والثانية: لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة كذلك.

أما الأولى: فأخرجها البخاري في «صحيحه»[١]، من حديث جابر بن سمرة قال: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الْأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الْأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

والثانية: أخرجها الإمام مسلم[٢] رحمه الله من طريق هشام بن عروة عن أبيه أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ

---

(١) البخاري حديث (٧٥٥).

(٢) مسلم (ص١٢٣١).

أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ».

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ.

لا تظن أيها الأخ الكريم أن العباد سينزلون لك عن حقوقهم يوم القيامة، فالكلُّ هنالك يبحث عن جناتٍ، والكل يسأل من يحمل عنه السيئات.

ولكن هيهات هيهات!! ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: الآية ١٨]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: الآيتان ٣٤، ٣٥].

إن النفس المثقلة بالذنوب المُحملة بالأوزار تسأل من يحمل عنها شيئًا من وزرها، ولكن تأبى النفوس إلا الفرار والإمعان في الهرب، بل وتبحث هي الأخرى عن من يحمل عنها الذنوب والأوزار.

إن يوم القيامة أُطلق عليه يوم الفصل؛ لأنه يفصل فيه بين العباد، ويُميز فيه الظالم عن المظلوم والمؤمن من الكافر والمُلحد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: الآية ١٧] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الدخان: الآيتان ٤٠،٤١] .

إنه قد أُطلق عليه أيضًا يوم الفتح، أي يوم القضاء بين العباد.

قال تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [السجدة: الآية ٢٨] .

وسمى ربنا نفسه الفتاح، وهذا الاسم يشتمل القضاء أيضًا بين العباد.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: الآية ٢٦] .

وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٨٩] .

فالفتح هاهنا القضاء!!! .

فكل خصومة بين اثنين سيقضي الله فيها يوم القيامة.

سيقضي بين المسلم والكافر.

قال عليٌّ رضي الله عنه : أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: الآية ١٩] قَالَ: هُمْ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ أَوْ

أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ (١).

سيقضى بين المؤمنين وبعضهم، وسيؤخذ للمظلوم من الظالم.

ففي «صحيح مسلم» (٢) كذلك أن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

قضاءٌ بين الزوجة وزوجها المختلفين المتشاققين!!!

قضاءٌ بين الوالد وولده العاق!!!

قضاءٌ بين الجار وجاره الحاسد الحاقد!!!

قضاءٌ بين الرعية وراعيتهم، الغاش الذي لم ينصحهم بالنصيحة، ولم يحطهم برعايته.

قضاءٌ بين العالم والمتعلم، وبين المدرس والتلميذ، هل علَّمته ما ينفع ووقاه بإذن الله المحاذير والشرور أم لا؟

هل نصح له واجتهد؟!! وكشف له عما خفي عنه وغمض؟

(١) البخاري (٣٩٦٥)، وانظر البخاري أيضًا (٣٩٦٩).
(٢) مسلم (٢٥٨١).

قضاءٌ بين الطبيب والمريض، هل اجتهد في تشخيص الداء، ووصف المناسب من الدواء، أم راعى حظ نفسه على حساب الآخرين؟!!

قضاءٌ بين المهندس والمقاول وصاحب العمل!!

كذا قضاءٌ بين صاحب العمل وعموم الأجراء!!

قضاءٌ بين قاضي الدنيا ومن قضى فيهم!!

قضاءٌ بين بائع ومشتري، وبين أخٍ وأخٍ، وبين رئيس ومرؤوس، وأمير ومأمور، وجنديٍ وضابط، وكذا بين كل ظالم ومظلوم، وطاعن ومطعون منه.

ألا فليحذر الجميع الخصومات، فإنها ستكرر!!!

إن العلماء الذين حملوا الكتاب والسنة وكتموا ذلك عن العباد وحرموهم هذا الخير، وغشوهم وخدعوهم أيضًا، فكل هؤلاء ظلمة أشرار بكتمانهم، وأيضًا بغشهم وخديعتهم.

إن الله عز وجل توعَّد العلماء الذين علموا كتابه وسنة أنبيائه أشد الوعيد، إذا كتموا ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب، وأوضح سبحانه وتعالى أن اللعنة إنما ترتفع عنهم، وليس بالاستغفار فحسب، بل ترتفع عنهم بالتوبة والإصلاح والبيان.

لقد قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: الآيتان ١٥٩، ١٦٠].

وكذا الذي قذف المؤمنة المحصنة الغافلة، الذي قذفها بالزنا لا تتم له توبة إلا بتبرئتها مما قذفها به.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [النور: الآيتان ٤، ٥].

إن الشهيد يُغفر له كل ذنب إلا الدين. كما قد ورد عن رسول الله ﷺ(١).

وألحق بعض العلماء بالدَّين عموم حقوق العباد من اغتياب وطعن في الأعراض، وقذفٍ للمحصنات وغير ذلك، فالعبد مسئول عنه يوم القيامة، وهل يغفر للشهيد عنه أم لا؟

وجهان للعلماء عافانا الله والمؤمنين من خصلات الفتن.

فالحذر الحذر من انتهاك الحرمات، والحذر الحذر من الطعن في

(١) مسلم (١٨٨٦).

الأعراض، فإن الموازين يوم القيامة منصوبة. ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧].

فالفصل في الخصومات كائنٌ يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: الآيتان ٣٠، ٣١].

والقصاص كائنٌ لا محالة!!.

قال عليه الصلاة والسلام: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»(١).

ألا فبادروا بارك الله فيكم بأداء الحقوق إلى أهلها. وبادروا بالتحلل من المظالم.

ومن صور التحلل من المظالم إصلاح ما أفسده الشخص.

أخرج البخاري(٢) في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهَا، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي؟ ثُمَّ أَتَتْهُ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ.

(١) مسلم (٢٥٨٢).
(٢) البخاري (٢٤٨٢).

وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي.

قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ».

وعند البخاري[1] أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا فَكَسَرَتْ الْقَصْعَةَ، فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: «كُلُوا» وَحَبَسَ الرَّسُولَ ﷺ وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) البخاري (٢٤٨١).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فاعلموا بارك الله فيكم إنْ علماءنا الأولين رحمهم الله قد صنفوا في أبواب الظلم تصانيف، وألقوا فيها مؤلفات، وكتبوا فيه كتبًا تحذيرًا وبيانًا، ونصحًا وتبيانًا، كي يحذره الحذرون ويشفق منه المشفقون!!

لقد ذكروا أمورًا عظيمةً من الظلم لا تكاد تخفى على أحدٍ، منها:

أكل الميراث، وهذا مما يقع فيه كثيرٌ من الناس الذين قلَّ دينهم وخفَّت أماناتهم، فيأكلون ميراث أخواتهم البنات كما قال تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ [الفجر: الآية ١٩].

وكذا يقع الآباء في هذا الخطأ الفادح والظلم الكبير.

إذ يُعطون الأبناءِ الذكور التركة بكاملها، ولا يتركون للبنات شيئًا، وإنْ تركوا فهو الشيء اليسير الذي لا يكاد يُذكر، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى بعد أن قسَّم المواريث في كتابه الكريم، وبيَّن الحقوق: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: الآية ١٣].

ومن صور الظلم عمومًا أكل أموال الناس بالباطل، وسفك الدماء بغير

حلٍّ، وضرب الناس وشتمهم وأذاهم والخوض في أعراضهم والتشهير بهم، وإظهار الشماتة بهم، وخيانتهم في أزواجهم وبناتهم وأخواتهم، والكيد لهم الغدر بهم والغش والضرر، إلى غير ذلك من الجنايات وصور العدوان المتنوعة.

فهذه كلها صورٌ من الظلم واضحة لا تخفى على الجاهل فضلًا عن اللبيب العاقل، والعالم الفاضل.

ولكن ثَمَّ مظالم أخر قلَّ من يتفطن لها، قد أوردها علماؤنا رحمهم الله تعالى في كتبهم، وأوضحوها وجلّوها، وقد يراها البعض طفيفة يسيرة، وقد لا يراها قوم فلا يحسبونها مظلمة ابتداءً.

فمن هذه المظالم ما يلي:

عدم إعطاء الضيف حقه. إذ الضيف له حق، كما قد صحَّ عن رسول الله ﷺ من وجوه متعددة.

ففي «الصحيحين» قول رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ»(٢).

---

(١) البخاري حديث (٦١٣٦)، ومسلم [٤٧].
(٢) البخاري حديث (٦١٣٧)، ومسلم (١٧٢٧).

وكما لا يُخفى عليكم أن نبي الله موسى عليه السلام لما نزل هو والخضر قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، وبنى الخضر الجدار قال له موسى عليه السلام ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٧] .

وتلحق بهذه المسألة أيضًا، وتُعدُّ أيضًا من المظالم مسألة التطفل، فالمتطفل أيضًا ظالم للناس، وهو لا يشعر.

وصورة ذلك أن شخصًا ما يدعوا جماعةً لزيارته والأكل عنده، فيتبعهم من لم تُقدم له دعوة، وصاحب البيت يكره مجيئه، أو لم يتهيأ لاستقباله، فمثل هذا يُعدُّ ظالمًا.

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو شُعَيْبٍ وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ لَحَّامٌ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ فَقَالَ لِغُلَامِهِ: وَيْحَكَ اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةِ نَفَرٍ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ قَالَ: فَصَنَعَ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَدَعَاهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، وَاتَّبَعَهُمْ رَجُلٌ.

فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ» قَالَ: لَا بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!!.

ثم هذا رسولنا محمد ﷺ ، وهو سيد ولد آدم، يستأذن لعائشة رضي الله عنها.

(١) البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (٢٠٣٦).

ففي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارِسِيًّا كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ فَقَالَ «وَهَذِهِ لِعَائِشَةَ؟» فَقَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا» فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَهَذِهِ؟» قَالَ: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا» ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَذِهِ؟» قَالَ: نَعَمْ. فِي الثَّالِثَةِ فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ.

هذا، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣] الآية.

وذلك أن قوماً كانوا ينتظرون وقت نضج الطعام في بيت رسول الله ﷺ فإذا اقترب هذا الوقت أقبلوا على بيوت رسول الله ﷺ يطرقونها للدخول وقت تقديم الطعام، وهذا بلا شك - ومع كثرتهم ودوام ذلك الصنيع - يسبب حرجًا في البيوت، فنهوا عن ذلك، والله أعلم.

ومن صور الظلم مماطلة الغني في أداء الحقوق التي عليه للناس، ففي الحديث «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ»[(٢)]. يحل عرضه ويحل عقوبته.

أي أن الغني المماطل الذي لا يسدد للناس ما عليه لهم من ديون مع قدرته على السداد، يعدُّ ظالمًا لهم، وظلمه هذا يُسوِّغ لهم أن يتناولوه

---

(١) مسلم حديث (٢٠٣٧).
(٢) البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤).

ويتكلموا فيه ويصفونه للناس بالمماطلة، بل يسوغ سجنه وحبسه أيضًا.

ومما أورده العلماء في أبواب الظلم مسألة القران عند أكل التمر، وهي أنْ يكون الناس مجتمعين يأكلون تمرًا، وكلٌّ يأكل تمرةً تمرةً كما هو معلوم من آداب أكل التمر، فإذا جاء شخص وتناول تمرتين تمرتين فقد ظلمهم، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ الْإِقْرَانِ، إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ[1].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «... **وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

أيها الأخوة، لقد أورد البخاري في «صحيحه»[2] كتاب «المظالم» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ**».

ثم يقول أبو هريرة: مالي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم.

ومما أورده أيضًا في المظالم سلب من على اليمين حقه، فالذي يجلس عن يمينك له حق فهو مقدم في بعض الأمور على من هو عن شمالك، فإذا سلبته هذا الحق فقد ظلمته.

وفي «الصحيحين» من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) البخاري حديث (٢٤٥٥).
(٢) البخاري حديث (٢٤٦٣).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ(١).

فلو لم يكن له هذا الحق المؤكد ما استأذنه رسول الله ﷺ.

ومن صور ظلم العباد، ومن الذي يجلب للشخص اللعن البخلى «قضاء الحاجة من بول وبراز» في طرقهم أخرج الإمام مسلم(٢) في «صحيحه» من أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ».

فالطريق له حقٌّ، والتعديات -أيا كان نوعها- على الطريق ظلم للعباد، فالذي يخرج عند بناء بيته عن حدوده ويأخذ من الطريق شيئًا شخصٌ آثم، ولا يظن أبدًا أن يبارك له في هذا الصنيع الذي صنع

وفي «الصحيحين»(٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ» فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ».

---

(١) البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).
(٢) مسلم (حديث ٢٦٩).
(٣) البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

وليعلم أن المستأجر الذي وضع يده على أرضٍ ليست له أو منزلٍ منذ استأجره من زمن طويل ومكّنه القانون الوضعي من الأرض أو المنزل، كتلك القوانين الاشتراكية والشيوعية التي يأكل الناس بها أموال الآخرين، ألا فليعلم هذا المستأجر أنه ظالم لصاحب المنزل وصاحب الأرض، الهم إلا إذا كان ذلك بطيب نفسٍ من صاحب الأرض المنزل أو عقدٍ مُسبقٍ صريح يجوّز ذلك قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ظَلَمَ مِنْ الْأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[(١)].

ألا فلينظرن امرؤ في نفسه وأين يسكن؟! ومن أين يأكل؟!

يجدر بي أيضًا في هذا المقام أن أُذكّر بأن قضاء القاضي لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالًا، فإذا قضى القاضي بخلاف الشريعة، وبخلاف الحق فما زالت الزّمة لم تبرأ، بل وسيؤدي لكل ذي حقٍ حقه يوم القيامة.

أخرج البخاري في «صحيحه»[(٢)] من حديث أم سلمة رضي الله عنها عن زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا».

ألا فلا يظن ظان أن الحاكم إذا حكمت له بشيء نه أنه أصبح حلالًا له،

(١) البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٢)
(٢) البخاري (٢٤٥٨).

بل هو حرام سيُسأل عن ذلك يوم الوعيد.

جنبنا الله وإياكم المظالم صغيرها وكبيرها، ووقانا الله وإياكم ظلم النفْس وظلم العباد.

اللهم ارزقنا العدل والإنصاف ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين.

اللهم إنا نعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة.

اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

اللهم أسكنا فسيح جناتك، وجنبنا عموم صور عقابك... يا أرحم الراحمين.

اللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم صلِّ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين



فتنة المال

إنْ الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فإن من أعظم الفتن التي تمر بأمة محمد ﷺ، بل وأكثر الأمم «فتنة المال»(١).

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: الآية ١٥] .

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»(٢).

ولقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٤] .

وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٦] .

لقد وصف الله تبارك وتعالى حب الإنسان للمال بأنه شديد فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: الآية ٨](٣).

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٠] . .

● إن هذا المال بلاء وفتنة. قد يُفلح شخص بسببه، ويرتفع في الجنان

---

(١) ولا يتعارض هذا مع الوارد عن رسول الله ﷺ إذ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». فهذه خاصة بالرجال، أما فتنة المال فتعم الصغير والكبير والرجل والمرأة.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦).

(٣) قال عدد من العلماء: الخير هنا المال.

درجات عليَّةً، ويحظى بالدرجات العلى والنعيم المقيم.

- وقد يخسر شخص بسببه ويضل والعياذ بالله.
- قد تُوصل الرحم بالمال. وقد تُقطع بسببه.
- قد يبرُّ شخصٌ والديه بالمال، وقد يعقهما آخر بسببه.
- كم من شحناء وبغضاء حلَّت بسبب المال، وكم من توادٍ وتراحمٍ وتحاببٍ حل بسبب المال أيضًا.
- وكذا كم ساهم المال في نصرة هذا الدين، ومن ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: الآية ١١١].
- وكم حارب قومٌ الأديان بما أُوتوا من مالٍ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٦].
- ولقد حذر الله أشد التحذير من الافتتان بالمال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: الآية ٩].

ولقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ [الهمزة: ١، ٢].

واستمعوا - سلَّمكم الله - إلى هذا المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ لحرص الشخص على المال والوجاهة، وأثر ذلك على الدين.

لقد قال النبي ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»(١).

فانظروا - بارك الله فيكم - كيف يصنع الذئبان الجائعان مع الغنم إذا تُركا في ذريبة الغنم يصنعان بالغنم ما يشاءان؟!!.

- انظر إلى أثر الدمار الذي سيحل بالأغنام؟؟!!.

فكذلك يفعل الحرص على المال والشرف مع الدين، إنهما يدمران الدين كما تدمر الذئاب الغنم!!.

- إن المال قد يكون نعمة مآلها إلى خير في بعض الأحيان.

وقد قال النبي ﷺ «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»(٢).

- وقد يكون فتنة ونقمة وبلاءً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٢٧].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾.

إن هذه الأموال -إذا لم تُنفق في طاعة الله- فلن تغني عن أربابها

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٥٦) بسند صحيح من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.
(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/١٩٧، ٢٠٢).

وأصحابها شيئًا يوم الوعيد.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سَبَإ: الآية ٣٧].

وفي الوقت نفسه إذا أُنفقت في طاعة الله ومرضاته، فإنها تقرب الشخص من ربه ويرتفع بسببها درجات ويُفلح وينجح.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُور[1] بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَة، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»[2]. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا»[3].

إن قارون حلَّ به ما قد حلَّ من العذاب، وخسف الله به وبداره الأرض بسبب طغيانه وتعاليه وتكبره بماله وتطاوله إذ قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ [القَصَص: الآية ٧٨].

(١) الدثور: جمع دثر وهو المال الكثير.
(٢) المراد بذلك الجماع، وقد يطلق البضع على الفرج نفسه، وهو محتمل ها هنا أيضًا.
(٣) أخرجه مسلم حديث رقم (١٠٠٦).

فإنْ أُوتيت مالًا يا عبد الله من كسب حلال طيب فاحمد الله عزَّ وجل عليه، واعمل فيه بطاعة الله حتى يسلم لك أمرك يوم الحساب.

فإنْ أصحاب الجدِّ -وهم أصحاب الأموال والوجاهات والحظوظ في الدنيا- سيحبسون يوم القيامة، حتى يُؤدى لكل ذي حق حقه.

ففي «الصحيح»[(١)] من حديث أُسَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ».

وإن لم يؤتك الله مالًا وابتليت بنقص من الأموال، فاسأل الله من فضله ولا تتسخط على أقدار الله. إن أصحاب النبي ﷺ ما ضرهم كثيرًا كونهم فقراء، وما خشي عليهم رسول الله ﷺ الفقر قد ر خشيته عليهم الغنى.

فقد أخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث عمرو بن عوف الأنصاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ». قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا[(٣)] مَا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٧)، ومسلم حديث (٢٧٣٦).
(٢) البخاري حديث (٣٥١٨)، ومسلم (٢٩٦١).
(٣) أمِّلوا من الأمل، وهو الرجاء.

يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

وفي رواية أخرى عن عوف أيضًا بسند صحيح[(١)] عند أحمد رحمه الله قال عوف: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَ فَيْءٌ قَسَمَهُ مِنْ يَوْمِهِ، فَأَعْطَى الْآهِلَ حَظَّيْنِ، وَأَعْطَى الْعَزَبَ حَظًّا وَاحِدًا، فَدُعِينَا، وَكُنْتُ أُدْعَى قَبْلَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَدُعِيتُ فَأَعْطَانِي حَظَّيْنِ، وَكَانَ لِي أَهْلٌ، ثُمَّ دَعَا بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَأُعْطِيَ حَظًّا وَاحِدًا، فَبَقِيَتْ قِطْعَةُ سِلْسِلَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُهَا بِطَرَفِ عَصَاهُ، ثُمَّ رَفَعَهَا وَهُوَ يَقُولُ: «كَيْفَ أَنْتُمْ يَوْمَ يَكْثُرُ لَكُمْ مِنْ هَذَا؟!!».

وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث عقبة بن عامر، أن النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وعند مسلم[(٣)] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) أخرجه في «المسند» (٦/ ٢٥).
(٢) البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).
وفي رواية أخرى عند مسلم، «وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا». قَالَ عقبة: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
(٣) مسلم حديث (٢٩٦٢).

ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ(١)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»(٢).

أيها الأخوة:

إن الرغبة في جمع المال لا تنقطع، وجامعه لا يشبع، ولا يفتر، ولا ينثني عن جمعه.

أخرج الإمام أحمد(٣) في «مسنده» بسند حسن عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَيُحَدِّثُنَا فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ. وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ، لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا

(١) معنى ذلك، والله أعلم، نحمده ونشكره، ونسأله المزيد من فضله.

(٢) نقل النووي عن العلماء قولهم: «التنافس إلى الشيء» المسابقة إليه، وكراهة أخذ غيرك إياه.
وهو أول درجات الحسد.
وأما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها، والتدابر: التقاطع. وقد يبقى مع التدابر شيء من المودة أو: لا يكون مودة ولا بغض.
قلت: وهذا الخبر: «تنافسون ثم تحاسدون...» خبرٌ معناه: النهي، وهو يحمل في طياته الزجر الشديد عن مثل هذا الفعل، وقد يأتي الخبر أيضًا معناه الأمر كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٧]، أي: أمِّنوا أيها المسلمون من يدخل الحرم. والله أعلم.

(٣) أحمد (٥/ ٢١٨).

ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

إنْ أكثر من يبتليهم الله بالمال يحيدون عن سواء الصراط وتزل منهم الأقدام.

فالذين ابتلاهم الله وُفق واحدٌ منهم ورضى الله عنه وخسر اثنان، وسخط الله عليها.

وهؤلاء الثلاثة هم الأعمى، والأقرع، والأبرص. وهذا حديثهم:

أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ[(٢)]، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي[(٣)] النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ[(٤)]، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ» هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ، إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ «فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[(٥)]،

---

(١) البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) في رواية لمسلم: فأراد الله أن يبتليهم.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٢): قوله: «قذرني» بفتح القاف، والذال المعجمة المكسورة. أي: اشمأزوا من رؤيتي. وفي رواية حكاها الكرماني «قذروني الناس»، وهي على لُغة «أكلوني البراغيث».

(٤) مسحه: أي مسح جسمه.

(٥) قال النووي: «الناقة العشراء: هي الحامل القريبة الولادة». وقال الحافظ في «الفتح»: «هي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل. وقيل: يقال لها ذلك على أن تلد وبعدما تضع، وهي من أنفس المال».

فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْبَقَرُ، قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا. وَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ[1] هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ[2] فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ؛ أَسْأَلُكَ - بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ- بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ[3] فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ[4]، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي

(١) «أنتج هذان» أي: صاحب الإبل والبقر. قال النووي: «فأنتج»: رباعي، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور: نتج ثلاثي، وممن حكى اللغتين الأخفش، ومعناه: تولى الولادة، وهي: النتج والإنتاج، ومعنى «ولد هذا» بتشديد اللام: معنى «أنتج» و«الناتج» للإبل و«المولد» للغنم وغيرها، هو كـ«القابلة» للنساء.
وقال ابن حجر: «وأنتج» في مثل هذا شاذ، والمشهور في اللغة: نُتجت الناقة بضم النون-.
و«نتج الرجل الناقة» أي: حمل عليها الفحل، وقد سُمع «أنتجت الفرس» إذا ولدت. فهي «نتوج».

(٢) أي: الأسباب التي تقطع في طلب الرزق.

(٣) أي: أتوصل به إلى مُرادي.

(٤) قال النووي: أي: ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه من آبائهم =

صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ -أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ- شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ[(١)]، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

فحقًّا إن التكاثر بالأموال يُلهي ويُطغي، وقد قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾ [التكاثر: الآية ١].

وحتى يسلم لصاحب المال أمره، وتدوم عليه نعم ربه عليه يجمع المال من الحلال، وينفق أمواله في أبواب الخير وطرائقه، تلك الأبواب والطرائق التي بينها لنا ربنا وسنَّها لنا نبينا ﷺ.

لقد أخرج البخاري[(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ

= كبيرًا عن كبير في العز والشرف والثروة.

(١) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٨٢٠): قوله: «فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله تعالى» هكذا هو في رواية الجمهور: «أجهدك» بالجيم والهاء- وفي رواية ابن ماهان «أحمدك» بالحاء والميم-. ووقع في البخاري بالوجهين، لكن الأشهر في مسلم بالجيم وفي البخاري بالحاء، ومعنى الجيم: لا أشق عليك بردِّ شيءٍ تأخذه أو تطلبه من مالي، والجهد: المشقة.

(٢) البخاري (٢٠٥٩).

الْحَرَامِ؟»[١].

ونعم ما قاله النبي ﷺ، إذ قال: «وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ». -أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ- «وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وفي رواية أخرى في «الصحيح»[٣] عن حَكِيم بْنِ حِزَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ[٤]، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ[٥] بُورِكَ لَهُ فِيهِ. وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ[٦] لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ[٧]، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

---

(١) أي: لا يبالي المرء بما أخذ المال أمِن الحلال أمْ من حرام؟.

(٢) البخاري (١٤٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٥).

(٤) «خضرة حلوة» شبهه، في الرغبة، والميل إليه، وحصر النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة.
فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده. فاجتماعهما أشد، وفيه إشارة إلى عدم بقائه؛ لأن الخضروات لا تبقى ولا تُراد للبقاء.

(٥) «بطيب نفس» ذكر القاضي فيه احتمالينَ: أظهرهما أنه عائد على الآخذ. ومعناه من أخذه بغير سؤال ولا إشراف ولا تطلع بورك له فيه. والثاني: أنه عائد إلى الدافع. ومعناه أنه من أخذ ممن يدفع منشرحًا بدفعه إليه طيب النفس، لا بسؤال اضطره إليه أو نحوه، مما لا تطيب معه نفس الدافع.

(٦) «بإشراف نفس» قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه.

(٧) «كالذي يأكل ولا يشبع» قيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه. وقيل: يحتمل أن المراد التشبيه بالبهيمة الراعية.

أيها الأخوة:

لقد أخرج البخاري من حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلَانِ أَحدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالْآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. «أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[١].

وأخرج مسلم من حديث أبي أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ. وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»[٢].

نسأل الله أن يعصمنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يعصمنا وإياكم من الزلل، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) البخاري (١٤١٣).
(٢) مسلم (١٠٣٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فكما سمعتم - بارك الله فيكم - أن هذا المال فتنة وبلاء، سلمنا الله وإياكم من تلك الفتنة وهذا البلاء.

وكما أسلفتُ لك، فإن كنت فقيرًا فلا تتسخط أقدار الله.

أخرج مسلم[(١)] في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا».

وأخرج الترمذي[(٢)] بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ».

لقد قال رسول الله ﷺ[(٣)]: «قَالَ اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ».

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال لعمر رضي الله عنه، وقد قال له عمر: ادْعُ اللَّهَ

---

(١) مسلم (٢٩٧٩).
(٢) الترمذي (٢٣٥٣).
(٣) البخاري (٦٤٤٩).

فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(١).

رزقنا الله وإياك من فضله. وانظر إلى هذا الحديث الذي أخرجه البخاري(٢) من طريق سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بِطَعَامٍ -وَكَانَ صَائِمًا- فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ -أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا- مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ».

لقد قال رسول الله ﷺ(٣) «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا».

عليكم بالقناعة - بارك الله فيكم - فقد قال رسول الله ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»(٤).

---

(١) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).
(٢) البخاري (٤٠٤٥).
(٣) أخرجه مسلم حديث رقم (١٠١٣).
(٤) مسلم (١٠٥٤).

عليكم بالتعفف، فكما قال نبي الله ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعِفَّ، يُعِفَّهُ اللَّهُ»[(١)].

وقال أيضًا: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[(٢)].

أيها الفقير تعفف، فقد كان نبيك ﷺ يأخذ البيعة على بعض أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئًا[(٣)].

وقال أيضًا: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ»[(٤)].

ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»[(٥)].

نسأل الله أن يؤتينا وإياكم في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة، وأن يقينا وإياكم عذاب النار.

اللهم وسع علينا في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا وجهاء في الدنيا والآخرة.

---

(١) البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).
(٣) انظر مسلم (١٠٤٣).
(٤) أبو داود بسند صحيح (١٦٤٣).
(٥) البخاري (١٤٧٠)، ومسلم (١٠٤٢).

اللهم ارزقنا من حيث لا نحتسب.

اللهم أكرم مثوانا، وارحم موتانا، واشف مرضانا، وفك أسرنا، وانصر جندنا يا رب العالمين. اللهم ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك.

هذا، وأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم محمد ﷺ، وأقم الصلاة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من مكارم الأخلاق

التواضع وخفض الجناح

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ،

وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

إن الأخلاق الحميدة الحسنة ترفع صاحبها يوم القيامة عند ربه درجات وتضع عنه الأوزار وتثقل له الموازين، فلقد قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»[(١)].

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[(٢)].

وأخرج أبو داود[(٣)] بإسناد صحيح لشواهده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

وقال ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»[(٤)].

وأخرج الترمذي[(٥)] من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا».

وحديثنا بمشيئة الله عن خلقٍ جميل تحلَّى به المرسلون، واكتسى به الأولياء والصالحون، ألا وهو التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان.

(١) أخرجه عبدُ بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٢٠٤).
(٢) وهي عند الترمذي وغيره، ولها شواهد وهي صحيحة.
(٣) أبو داود (حديث ٤٧٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠)، وغيرهما.
(٤) مسلم (٢٥٥٣).
(٥) الترمذي (٢٠١٨).

وقد أمر بهذا الخلق سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام فقال تعالى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] وفي الآية الأخرى ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال سبحانه ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد أُوحي إلى نبينا محمد ﷺ أن يتخلق بهذا الخُلق الجميل ففي صحيح مسلم[١] من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أخي بني مجاشع قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطبنا فقال: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

وعند مسلم من حديث عياض بن حمار أيضًا أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته... «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»[٢].

ثم هذا جبريل عليه السلام يخبر نبينا محمدًا ﷺ ويرشده، ففي مسند أحمد[٣] بسندٍ حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ. قَالَ:

(١) مسلم (ص ٢١٩٨).
(٢) مسلم (٢٨٦٥).
(٣) أحمد (٢/ ٢٣١).

أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا. قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»(١).

ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

لقد قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

وذلك أخرجه مسلم(٢) في صحيحه من طريق عامر بن سعد قال: «كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ. فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَنَزَلَ. فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ(٣)، الْخَفِيَّ».

أيها الأخوة: إن أكرم الناس عند الله أتقاهم كما قال الله تبارك وتعالى قال تعالى﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٨).
(٢) مسلم (٢٩٦٥).
(٣) الغني هو غني النفس.

ولقد سئل النبي ﷺ أيُّ النَّاسِ أكْرَمُ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ[(١)] ...» الحديث.

لقد بيّن رسول الله ﷺ أن الفخر بالأحساب من أمر الجاهلية.

أخرج مسلم[(٢)] في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

ولقد أخرج البخاري[(٣)] من حديث سهل بن سعد الساعدي أنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

---

(١) البخاري (٤٦٨٩)، ومسلم (٢٣٧٨).
(٢) مسلم(٩٣٤).
(٣) البخاري (حديث ٦٤٤٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي[١] ﷺ قال: «تَعِسَ[٢] عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[٣] إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ[٤] وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ[٥]، طُوبَى[٦] لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

وانظر إلى هذا الحديث وأمعن النظر فيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»[٧].

أيها الأخوة: بارك الله فيكم، تعلمون أن كلَّ شخص له أسوة يتأسى بها، وله إمام يقتدي به، وإمامنا نحن المسلمون رسولنا محمد ﷺ فهوا إمامنا

(١) البخاري (٢٨٧٧).
(٢) تعس: خاب وهلك.
(٣) الخميصة: الكساء الجميل.
(٤) انتكس: من النكسة أي انقلبت عليه الأمور.
(٥) إذا دخلت في رجله شوكة فلا خرجت منها.
(٦) طوبى: قيل الجنة، وقيل شجرة في الجنة، وقيل غير ذلك وقيل أطيب حال لهذا الرجل.
(٧) البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

وقدوتنا، قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهذا رسولكم، وذاك شيء من تواضعه، فالتمسوا هديه، واقتفوا أثره، لقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى عن المغالاة في مدحه وإطرائه والمبالغة في الثناء عليه فعند البخاري[(١)] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تُطْرُونِي[(٢)] كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».

وعن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا ويَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيه اللهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولُه».

ولقد كان يهضم حق نفسه، فما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عزَّ وجل، قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

فهذا نبينا محمد ﷺ يبين مناقب إخوانه من الأنبياء ويظهرها:

فمن صور التواضع التواضع للإخوان والأصدقاء والفضلاء، وإظهار

---

(١) البخاري (٣٤٤٥).
(٢) أي لا تبالغوا في مدحي والثناء عليَّ.
(٣) مسلم (٢٣٢٧).

مناقبهم وفضائلهم:

❑ يناديه رجلٌ فيقول له ياخير البرية، فيقول عليه الصلاة والسلام (ذاك إبراهيم عليه السلام)(١).

❑ وكان إذا أوذي قال رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر(٢).

❑ وفي الصحيح(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ لُطِمَ وَجْهُهُ فَقَالَ. يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ: «ادْعُوهُ» فَدَعَوْهُ قَالَ: «أَلَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِالْيَهُودِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: فقُلْتُ: أَعلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ فَلَطَمْتُهُ، قَالَ: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا يُدْرِى أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

❑ ويقول عليه الصلاة والسلام: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»(٤).

---

(١) مسلم (١٣٦٩).
قال الإمام أحمد في شرح هذا الحديث: هو على وجه التواضع.
(٢) البخاري (٣١٥).
(٣) البخاري (٦٩١٧).
(٤) البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (٢٣٧٧).

وقوله «أنا خير»: إما أن تحمل على العبد أي لا ينبغي لعبد أن يقول عن نفسه «أنا خير من يونس بن متى» لكونه ذهب مغاضبًا وأنا لم أُغاضب.

أو أنْ قوله «أنا» عائدة على رسول الله، أي لا ينبغي لأحد أن يقول عن رسول الله محمد ﷺ إنه خيرٌ من يونس بن متي، وهذا يحمل على تواضعه عليه الصلاة والسلام أو على أنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

❑ ويقول عليه الصلاة والسلام: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ».

ومن ذلك إقرار النبي ﷺ للأنصار بفضلهم:

❑ أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: آثَرَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ: «أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟» قَالُوا: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي أَلَا تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ؟ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ - يَعْنِي الْبَقَرَ - وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُدْخِلُونَهُ بُيُوتَكُمْ؟ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى

تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[(١)] .

فكما بيَّنا فمن صور التواضع:

الإقرار لأهل الفضل بفضلهم:

❑ وهذا رسولنا ﷺ يُذكِّر بفضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول[(٢)] : «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ».

❑ ويقول أيضًا[(٣)] : «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟».

❑ وفي مسند الإمام أحمد[(٤)] بسندٍ صحيح: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ جاء بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَحْمِلُهُ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ «لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ لَأَتَيْنَاهُ مَكْرُمَةً لِأَبِي بَكْرٍ».

❑ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتقدم قومًا فيهم أبو بكر[(٥)] .

---

(١) أحمد في المسند (٣/ ٥٧)، وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٩١٣). وأصل هذا الحديث في الصحيحين من طرق، انظر البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).
(٢) أحمد (٢/ ٢٥٣).
(٣) البخاري (٣٦٦١).
(٤) مسند أحمد (٣/ ١٦٠).
(٥) ابن أبي شيبة (١١٩٨٣).

❑ وفي الصحيح[١] أيضًا أن عمر رضي الله عنه قال: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعني بلالًا.

ومن إقرار الصحابة لبعضهم بالفضل:

❑ إقرارُ عليٍّ رضي الله عنه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي صحيح البخاري[٢] من طريق مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

❑ وعمر رضي الله عنه أيضًا يقول: «أقرؤنا أُبي، وأقضانا عليٌّ».

❑ ومن ذلك أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَوْا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ - إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

❑ وعائشة رضي الله عنها تثني غاية الثناء على زينب رضي الله عنها ولم يمنعها من هذا الثناء كونها ضرتها.

---

(١) البخاري (٣٧٥٤).
(٢) البخاري (٣٦٧١).
(٣) البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩).

❑ فقد قالت عائشة رضي الله عنها في شأن زينب: «هي التي كانت تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ»[1].

❑ ولقد كان ﷺ يتاجر ويمشي في الأسواق، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

❑ بل وكان المرسلون عمومًا كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقد كانوا يحترفون ويتاجرون:

❑ فقد أُمر نوح عليه السلام أن يصنع الفلك: قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.

❑ وكان إبراهيم عليه السلام يبني ويرفع القواعد من البيت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

❑ وموسى عليه السلام كان يرعى الغنم، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ

(١) مسلم (٢٤٤٢).

غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٧، ١٨].

❑ بل وكلُّ نبيٍّ قد رعى الغنم: أخرج البخاري [(١)] في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ [(٢)] لِأَهْلِ مَكَّةَ».

❑ وداود عليه السلام كان حدادًا يعمل السابغات، أي الدروع السابغة التي تتقى بها سهام الأعداء وضربات السيوف.

❑ قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

❑ «وزكرياء عليه السلام كان نجارًا» كما قال النبي ﷺ [(٣)].

ومن صور التواضع مع الناس:

خفض الجناح لهم عند مخاطبتهم وعدم التعالي عليهم في الحديث معهم، وقد ضرب الأنبياء والصالحون في ذلك مُثلًا عالية.

❑ فها هو يوسف الصديق عليه السلام، بعد أن مكن الله له في الأرض وجعله الله عزيزًا على مصر، ويأتيه إخوته يطلبون الميرة والطعام، يقولون

---

(١) البخاري (٢٢٦٢).

(٢) قيل القراريط الدراهم والدنانير، أو أجزاء من الدراهم والدنانير وقيل إنها اسم مكان بمكة.

(٣) أخرجه في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا».

له ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ فيقول متواضعًا ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ﴾ فلم يقل أنا العزيز يوسف ولا أنا الوزير يوسف، ولا نحو ذلك مما هو مصحوب بالألقاب الضخمة الكبيرة التي تتقدم الأسماء الآن.

❑ ثم يلفت النظر إلى أخيه المظلوم كظلمه، قائلًا ﴿وَهَٰذَآ أَخِي﴾ أي وهذا أخي المظلوم كظلمي فلا تنسوا ظلمكم له أو ولا تنسوا أن تتحلوا من مظلمته أيضًا.

❑ ثم يبين أن الفضل الذي هو فيه ليس عن كبير اجتهاد منه إنما هو من الله سبحانه وتعالى فله النعمة وله الفضل، فيقول: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ ثم يبين أنهم قد يحصلون على مثل هذا الفضل من الله، وكذا قد يحصل عليه غيرهم، ولكن ذلك يتم بالتقوى والصبر، فيقول ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

فصلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم.

❑ وهذا نبي الله سليمان عليه السلام، الذي سخرت له الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، وكذلك تجري عاصفة إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

❑ سليمان الذي سخرت له الجن والشياطين وعلمه الله لغة الطير، هذا النبي الكريم يرسل رسالةً متواضعًا فيه قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١].

❑ وها هو ذو القرنين يصبر على مقولة القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا، وهم يقولون له: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

فلم يعاقبهم لكونهم نادوه باسمه وخاطبوه بالذي خاطبوه به.

❑ وهذا مسلك مضطرد لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم فهذا رسولنا محمدٌ ﷺ يرسل رسالته لهرقل يقول فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم» وفيها «وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ».

فحقًا إنه لعلى خلقٍ عظيم!!!

❑ وكذا من صور التواضع مجالسة الفقراء من أهل الإيمان والاستماع إليهم والإقبال عليهم، ولقد أُمر نبينا بذلك فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

❑ لقد كان أهل التكبر والغرور يطلبون من رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء ولا يجالسهم ويقولون له اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا، فحدثت رسول الله نفسه بما شاء الله أن تحدثه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ

حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٦].

❑ ولقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

❑ ثم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالترحيب بهؤلاء الضعفاء وتبشيرهم، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام: ٥٤].

❑ ولقد نزل قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ١، ٢] عتابًا لرسولنا محمد ﷺ وتعليمًا لأمته، لما أقبل رسول الله ﷺ على كبار كفار قريش يدعوهم وهم معرضون، وأعرض عن ابن أم مكتوم الذي جاء يسعى وهو يخشى.

أخرج الترمذي وغيره(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أُنزِل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول الله يُعرِضُ عنه ويُقبلُ على الآخر ويقول: «أترى بما أقول بأسًا؟» فيقول: لا. ففي هذا أنزل.

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٣٣١)، والطبري عند تفسير الآية الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

ومن صور التواضع هضم النفس وعدم المبالغة في الثناء عليها لغير حاجة.

❑ فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ﴾ [النجم: ٣٢].

❑ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦].

❑ وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء: ٤٩].

ومن صور التواضع: طلاقة الوجه وانبساطه عند الخطاب:

وعليك بطلاقة الوجه وانبساطه لإخوانك أثناء حديثك معهم:

❑ قال لقمان لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨].

❑ وقال النبي : «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(١) أخرجه مسلم.

❑ وفي رواية عند أحمد من حديث أبي جري الهجيمي: «وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ»(٢).

❑ وجرير البجلي يقول: «ما رآني النبي ﷺ إلا تبسم في وجهي»(٣).

ومن صور التواضع: التواضع لطلب العلم وتحصيله:

❑ إن أفضلية موسى عليه السلام، وكونه كليم الله، ومن أولي العزم من

(١) مسلم (حديث ٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) أحمد (٥/ ٦٣) بإسناد صحيح وله شواهد.
(٣) البخاري (حديث ٦٠٨٩)، ومسلم (٢٤٧٥).

الرسل، كل ذلك لم يمنعه من أن يسافر إلى الخضر ويتجشم المشاق لتعلم العلم الشرعي، ويقول مستئذنًا الخضر ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

❑ وانظر إلى تواضع الراهب الإسرائيلي الذي ورد ذكره في حديث[١] أصحاب الأخدود، وهو يقول للغلام وكان الغلام قد تعلم على يديه. أي بني اليوم أنت أفضل مني..

ومن صور التواضع: قبول الحق ممن جاء به:

فقد أقَّر رسول الله ﷺ أبا هريرة على ما قاله الشيطان في شأن آية الكرسي وأن الله يحفظ قارئها حتى يصبح[٢].

❑ والرسول ﷺ منع أصحابه من قولهم: ما شاء الله وشاء محمد، ومن قولهم: والكعبة، لما جاءه اليهود وقالوا: إنكم تشركون وتنددون[٣]... الحديث.

---

(١) الحديث بذلك في صحيح مسلم.

(٢) في البخاري معلقًا مع «الفتح» (٤/ ٤٨٧) من حديث أبي هريرة وفيه أن الشيطان قال له: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ [البقرة: ٢٥٥] فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ رسول الله ﷺ **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ»**.

(٣) أخرج النسائي في «السنن» (٧/ ٦) بإسناد صحيح من حديث قتيلة - امرأة من جهينة - «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النبي ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: «وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، وَيَقُولُونَ: **«مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»**. وأخرجه أيضًا في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١- ٣٧٢).

❑ ولما جاء الحبر اليهودي إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع . . الحديث، وفيه فضحك النبي ﷺ[(١)] . . ، قال ابن مسعود: تصديقاً لخبر الحبر.

وهذا شيء من تواضع رسول الله ﷺ في بيته:

لقد كان رسول الله ﷺ في بيته في مهنة أهله.

❑ أخرج البخاري في صحيحه من طريق الْأَسْوَدِ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ»[(٢)].

فمن ثَمّ فلا مانع أبدًا - بل هو مستحب - أنْ يساعد الرجل أهل بيته في عمل البيت، يحمل الطفل أحيانا، يساعد في الطهي أحيانا، يساعد في الغسيل أحيانا، يُرتب البيت أحيانا فبمثل هذا تحل المودة، وتثبت المحبة وينمو الخير ويزداد.

وهذا شيءٌ من تواضعه في طعامه:

❑ فما أكل على خوانٍ[(٣)] قط، ولا خبز له خبزٌ مرقق قط، أخرج

(١) وتمام الحديث: «وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

(٢) البخاري حديث (٦٠٣٩).

(٣) والخوان: الشيء المرتفع بمنزلة السُّفرة.

البخاري في صحيحه من حديث أَنَسٍ قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكُرُجَةٍ قَطُّ، وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ».

❑ وكان يقول: «إني لا آكل متكئًا»[٢] ويقول: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ»[٣].

❑ وكان يقول أيضًا: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ؛ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَالْأُخْرَى شِفَاءً»[٤].

❑ وكان يدعو قائلًا «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[٥].

❑ وقالت عائشة رضي الله عنها لابن أخيها عروة بن الزبير: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ[٦].

❑ ولقد قال عمر رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله ﷺ يظلُّ اليوم يلتوي ما يجد دقلًا يملأ به بطنه[٧].

---

(١) البخاري (٥٣٨٦).
(٢) البخاري (٥٣٩٨).
(٣) مسلم (٢٠٣٤).
(٤) البخاري (٣٣٢٠، ٥٧٨٠).
(٥) البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).
(٦) البخاري (٦٤٥٩)، ومسلم (٢٩٧٢).
(٧) مسلم (٢٩٧٨).

ويقول عمر أيضًا[١] في حديث طويل: «فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ. فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ. وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ!» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَمَا لِي لَا أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى».

وهذا رسولنا صلوات الله وسلامه عليه مع أصحابه:

لقد كان بين أصحابه كواحدٍ منهم لا يكاد يعرف، وهو سيد ولد آدم:

❑ عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ...»[٢].

❑ وعن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ

---

(١) مسلم (١٤٧٩).
(٢) البخاري (حديث٦٣).

تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» (١).

❑ ويتبادل يوم بدر الركوب مع عليٍّ وأبي لبابة رضي الله عنهما فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ مِنَّا عَلَى بَعِيرٍ كَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا كَانَ عُقْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَا: ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ، فَيَقُولُ: «مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا» (٢).

❑ وقد ورد عن أنس رضي الله عنه قال: مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ (٣).

وكان يستأذن أصحابه حتى الصغير منهم.

❑ أخرج البخاري ومسلم (٤) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ» قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

❑ ويُسلم على صبيانهم ولقد كان يمازحهم، بل ويمازح صبيانهم أخرج

---

(١) البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٣٧).
(٢) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤١١).
(٣) البخاري في الأدب المفرد (٩٤٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٢- ١٣٤)، والترمذي (٧٥٤) وغيرهم، ورجاله ثقات.
(٤) البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

أحمد بسند حسن [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا. قال: «نعم غير أني لا أقول إلا حقًّا».

ومن ذلك:

□ما أخرجه أيضا [٢] من حديث أنس رضي الله عنه بسند صحيح: «أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ».

□وقد كان يصبر على جاهلهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ [٣] غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ [٤] فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» [٥].

□وكان يجيب دعوتهم إذا دعوه لطعام ويقبل هديتهم ويثيبهم عليها فقد دعاه خياط لطعام صنعه فذهب إليه رسول الله ﷺ [٦].

---

(١) أحمد (٢/ ٣٦٠).
(٢) أحمد (٣/ ٢٦٧).
(٣) البرد: هو الرداء.
(٤) غليظ الحاشية: أي غليظ طرف الثوب.
(٥) البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).
(٦) البخاري (٥٣٧٩).

❑ ولقد قال رسول الله ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[١].

وكان يماشيهم ويأخذ بأيديهم:

❑ أخرج مسلم[٢] في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنت جالسًا في داري فمرَّ بي رسول الله ﷺ فأشار إليَّ فقمت إليه فأخذ بيدي فانطلقنا... الحديث.

وتأتيه المرأة في عقلها شيء فيقضي لها حاجتها:

❑ أخرج مسلم في صحيحه[٣] من حديث أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا.

ولقد كان يجالس أصحابه[٤]:

❑ عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَثِيرًا. كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ».

---

(١) البخاري (٢٥٦٨). أما الكُراع: فهي التي تطلق عليها الكوارع.
(٢) مسلم (٢٠٥٢).
(٣) مسلم (٢٣٢٦).
(٤) مسلم (٦٧٠).

وكان يسابقهم:

❑ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»[١].

ولقد كان يعود مرضاهم، ويُعَبِّر لهم رؤياهم.

❑ أخرج مسلم[٢] في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَخَا الْأَنْصَارِ! كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ. مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلَا خِفَافٌ وَلَا قَلَانِسُ وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ.

❑ وأخرج البخاري[٣] في صحيحه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين... الحديث.

❑ وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠١).
(٢) مسلم (٩٢٥).
(٣) البخاري (٤٥٧٧).

شَاءَ اللَّهُ»[١] الحديث.

بل وعاد الغلام اليهودي الذي كان يخدمه أيضًا[٢].

وهذه صور موجزة جدًا من تواضع أصحابه رضي الله عنهم:

فمن تواضع أبي بكر رضي الله عنه للفقراء والضعفاء:

❑ أخرج مسلم[٣] من حديث عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ فقَالُوا: وَاللَّهِ! مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا قال: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ! أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي».

ومن تواضع عمر رضي الله عنه لربه عز وجل:

❑ أخرج البخاري[٤] من طريق أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري قال: «قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: هَلْ تَدْرِي مَا قَالَ أَبِي لِأَبِيكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّ أَبِي قَالَ لِأَبِيكَ: يَا أَبَا مُوسَى هَلْ يَسُرُّكَ إِسْلَامُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِجْرَتُنَا مَعَهُ وَجِهَادُنَا مَعَهُ وَعَمَلُنَا كُلُّهُ مَعَهُ بَرَدَ لَنَا، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدَهُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ؟ فَقَالَ أَبِي: لَا وَاللَّهِ، قَدْ جَاهَدْنَا

(١) البخاري (٣٦١٦).
(٢) البخاري (١٣٥٦، ٥٦٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٠٤).
(٤) البخاري (٣٩١٥).

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَعَمِلْنَا خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَسْلَمَ عَلَى أَيْدِينَا بَشَرٌ كَثِيرٌ، وَإِنَّا لَنَرْجُو ذَلِكَ فَقَالَ أَبِي: لَكِنِّي أَنَا وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ بَرَدَ لَنَا وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْنَاهُ بَعْدُ نَجَوْنَا مِنْهُ كَفَافًا رَأْسًا بِرَأْسٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ أَبَاكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَبِي».

❑ وانظر إلى هذا التواضع المشوب بالعدل والإنصاف، أخرج ابن سعد في الطبقات[1] بسند حسن لغيره أن عمر بن الخطاب فضَّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر فقال عبد الله بن عمر: فضلت علي رجل فضَّل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سنًا ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد. قال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضلت عليَّ من ليس هو بأقدم مني سنًا ولا أفضل مني هجرة، ولا أشهد من المشاهد ما لم أشهد قال: ومن هو؟ قلت أسامة بن زيد قال: صدقت لعمر الله! فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر فلذلك فعلت.

❑ وانظر إلى فضل أويس وتواضعه، وكذا تواضع عمر رضي الله عنه أخرج مسلم[2] من طريق أسيد بن جابر قال: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ،

(١) ابن سعد (٤/ ١/ ٤٩).
(٢) مسلم (٥/ ٤٠٣).

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**». فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ.

وكذا تواضع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

❑ أخرج البخاري [(١)] من طريق ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قُبَيلَ مَوْتِهَا - عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ قَالَت: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ، فَقِيلَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَتِ ائْذَنُوا لَهُ. فَقَالَ كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ إِنِ اتَّقَيْتُ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، زَوْجَةُ

(١) البخاري (٤٧٥٣).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا.

أيها الأخوة:

- إنه جميل جدًا أن يتواضع ويأكل رئيس مع مرؤوس وكذا مديرٌ مع عاملٍ، وطبيب مع ممرض، جميل وطيب أن يجالس لواء شرطة مع غفير ويؤاكله ويشاربه.

- وما المانع أن يمشي هذا مع ذاك، وأن يركب هذا مع ذاك؟

- ما المانع من أن يمشي غنيٌ مع فقير؟!!! أو ذو حسبٍ مع وضيعٍ في الحسب!!

لقد قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

رزقنا الله وإياكم التقوى، ومنَّ علينا وعليكم بالتواضع، ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد . .

فقد سمعتم بارك الله فيكم شيئًا من الوارد في فضل التواضع فتواضعوا يرفعكم الله.

واحذروا أن تكونوا من المستكبرين! فإن الله لا يحب المستكبرين. واحذروا من الاستكبار عن عبادة الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

واحذروا التعالي على سنة رسول الله ﷺ. فعن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، فقَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ(١).

❑احذروا أن تأخذكم العزة بالإثم إذا ذُكِّرتم بأمر الله ورسوله فإن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الكريم شخصا قال في شأنه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٦].

❑احذر أيها المسلم أن تجادل في الله بغير علم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ

(١) مسلم (٢٠٢١).

عِطْفِهِۦ[(١)] لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ [الحج: ٨، ٩].

❑ احذر التعالي على الناس. لقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧].

❑ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

❑ ولقد قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

❑ احذروا الفخر بالأحساب، وكذا الطعن في الأنساب فإن ذلك من أمر الجاهلية.

❑ لقد قال النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ»[(٣)].

❑ إن كنت عالمًا أو طبيبًا ماهرًا أو مهندسًا حذقًا أو طالبًا ذكيًا أو معلمًا

---

(١) ثاني عطفة: لاوي عنقه

(٢) البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) مسلم (٩٣٤).

مُربيًا أو صانعًا تجيد صنعتك فاذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦].

انظروا بارك الله فيكم إلى عواقب المستكبرين:

- هذا إبليس المستكبر اللعين، طرد من الجنة وأُخرج منها مذءومًا مدحورًا.

- هذا فرعون المتعالي المستعظم قال الله في شأنه ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات: ٤٠].

- هذا قارون الفرح الفخور، يقول ربنا في شأنه ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص: ٨١].

وإن كنت فقيرًا تعول أطفالًا ونساء، أو تعول كبارًا فإياك أن تستكبر وتتعالى فإن الذم في حقك أشد، والوعيد في حقك أعظم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ» قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: «شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[1].

---

(١) مسلم (حديث ١٠٧).

❑ إياك أن تتألى على الله، فقد أخرج مسلم من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(١).

❑ احذر أن تُسِّمع بأعمالك فيسمع الله بك، واحذر أن تراءي فيراءي الله بك.

ففي الحديث «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»(٢).

❑ إياك أن تحب أن يتمثل لك الرجال قيامًا كلما دخلت عليهم ففي الحديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الْعِبَادُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ»(٣).

إياك أن تحقر مُسلمًا:

❑ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(٤).

❑ لقد خطب النبي ﷺ في وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا

---

(١) مسلم (٢٦٢١).
(٢) البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٩٨٦).
(٣) أحمد (٤/ ٩١/ ٩٣)، وهو صحيح.
(٤) مسلم (٢٥٦٤).

لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟»[(١)]

❑ ولقد صح عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[(٢)].

❑ وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ، إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»[(٣)].

❑ ولقد قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[(٤)].

اللهم ارزقنا حسن الخلق.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

---

(١) صحيح لشواهده، وأخرجه أحمد (٥/ ٤١١).

(٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٧).

(٤) مسلم (٢٦٢٢).

اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

اللهم ارزقنا التواضع واحشرنا مع المخبتين لك يارب العالمين.

اللهم جنبنا الكبر والغرور، واصرفنا عن المستكبرين ولا تحشرنا معهم يارب العالمين.

اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين وفك أسرانا وأسرى المسلمين يارب العالمين.

اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين خيرًا فوفقه لكل خير، ومن أراد بالإسلام والمسلمين شرًا فعليك به اجعل كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره ياسميع الدعاء.

اللهم ارفع راية المسلمين فوق كل الرايات.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأقم الصلاة.



فضل حسن الخلق

إنَّ الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فإن حسن الخلق سبب عظيم من أسباب رفعة الدرجات يوم القيامة وكذا فإنه سبب عظيم من أسباب الأمن يوم الوعيد.

وكذا فهو سبب من أسباب نيل محبة الخلق بعد محبة الخالق سبحانه وتعالى.

ولهذا بارك الله فيكم فقد تواردت النصوص التي تحث على حسن الخلق والتي ترغب فيه، وتوالت أيضًا النصوص الموضحة لعلو مكانته وبيان عظيم منزلته.

ولا أدل على علو منزلة حسن الخلق من كون النبي ﷺ بعث مع دعوته إلى التوحيد لتتميم مكارم الأخلاق، قال ﷺ: «إنمَّا بعِثْت لأتَمِّمَ مكارمَ الأَخْلاقِ»[1] وفي رواية: «لأتمم صالح الأخلاق».

وهذا أبو ذر رضي الله عنه لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع منه، فرجع أخوه إليه بعد أن التقى برسول الله ﷺ قائلًا: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق[2].

وكذا مما يبين عظيم منزلة حسن الخلق، قوله ﷺ: «أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهم خُلُقًا وَخِيَارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِم»[3].

وبين النبي ﷺ فضل حسن الخلق، وما فيه من أجر وثواب بقوله: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَان مِنْ خُلُق حَسنٍ»[4].

(١) أحمد في «المسند» (٢/٣١٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا رضي الله عنه بإسناد حسن لشواهده.

(٢) البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) وقال حسن صحيح، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٢٠٤)، والترمذي (٢٠٠٤) =

وفي بعض الزيادات الصحيحة في هذا الحديث: «وإنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخلق لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ والصَّلاَة»(١).

وأخرج أبو داود(٢) بإسناد صحيح لشواهده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليُدْرك بحُسْن خُلُقِه دَرَجَةِ الصَّائِم القَائِم».

وقال ﷺ «البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ»(٣).

وأخرج الترمذي(٤) من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُم مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُم مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَما الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُون».

قَالَ الترمذي: وَالثَّرْثَارُ هُوَ كَثِيرُ الْكَلاَمِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَنَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلاَمِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح(٥) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال

= وغيرهما.

(١) وهي عند الترمذي وغيره، وله عدة شواهد صحيحة.

(٢) أبو داود حديث (٧٤٩٨)، وأحمد (٦/ ٩٠/ ١٣٣) وغيرهما.

(٣) صحيح: مسلم (٢٥٥٣).

(٤) الترمذي (٢٠١٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قلت: وللحديث شواهد يحسَّن بها.

(٥) أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩) من طريق عبد الرحمن بن القاسم ثنا القاسم عن عائشة أن =

لها: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».

وبين النبي ﷺ أن الخيرية تكمن بعد تقوى الله في حسن الخلق قال ﷺ: «إن خيارَكُم أحْسَنُكُم أخلاقًا»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد»[2] وكذلك عند البخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ فِي الإسلام أَحَاسِنُكم أَخْلاقًا».

وعند أحمد زيادة بنفس الإسناد الصحيح: «إذا فَقُهُوا».

وسئل[3] النبي ﷺ فقيل له: يا رسول الله ما خيرُ ما أعطي الإنسان؟ قال: «حسْنُ الخُلُق».

ولحسن الخلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين.

= النبي ﷺ قال لها.. فذكره.
وإسناده صحيح، لكن قد أشار بعض أهل العلم إلى ما يُفيد أنه وقف عليه من طريق عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة رضي الله عنها (أي: بدون ذكر القاسم) فالله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (حديث ٢٣٢١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا لا متفحشًا وإنه كان يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقًا».

(٢) أحمد في المسند (٢/ ٤٨١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٢٨٥)

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» حديث (٢٩١) وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨) وابن ماجه (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك مرفوعًا بإسناد صحيح.

فإذا كان للشخص رصيد طيب من حسن الخلق كانت دعوته أنفع وأنجع وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثم أثار رسول الله ﷺ شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقه في الحديث ﷺ فقال للمشركين: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟[1]» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا!

ولما سأل هرقل[2] أبا سفيان عن رسول الله ﷺ فقال له: ماذا يأمركم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة».

وقبل ذلك سأله هرقل أيضًا فقال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وسأله أيضًا فهل يغدر؟ قال: لا.

ومن ثم قال هرقل لأبي سفيان: «فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه».

فانظر إلى آثار حسن الخلق من توحيد وصلاة وصدق وعفاف وصلة؟!!

ولهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم في حسن الخلق فقد كُلِّلت به

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (حديث ٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم، وفي لفظ للبخاري: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونني؟» قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

(٢) البخاري (حديث ٧).

العبادات وزيِّنت به المعاملات وتوِّجت به العادات فما من عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى إلا وهي مزينة بحسن الخلق وما من معاملة بين الناس إلا وقد جاء فيها الحث على حسن الخلق، وما من عادة من العادات التي أقرها الإسلام وجاء بها إلا وهي مصحوبة بحسن الخلق.

ففي الصلوات قال النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ»(١).

وفي رواية أخرى: «إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة»(٢).

ومن ثمرات الصلوات ما ذكره الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي الصيام قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة: ١٨٣].

وقال النبي ﷺ(٣): «الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ...».

وقال ﷺ(٤): «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

---

(١) البخاري (حديث ٦٣٦)، ومسلم (حديث ٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) البخاري (حديث ٦٣٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) البخاري (حديث ١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٤) البخاري (١٩٠٣).

وفي الحج قال الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي الزكاة قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وفي المعاشرة الزوجية قال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وفي البيوع ونحوها قال ﷺ: «من غشنا فليس منا»(١).

وقال: «إن خياركم أحسنكم قضاء»(٢) وهكذا في سائر الأمور(٣).

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٤).

---

(١) مسلم (١٠١).
(٢) البخاري (٢٣٠٥).
(٣) والمقام لا يتسع للاستفاضة في ذلك.
(٤) أخرجه مسلم (حديث ١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا.

وانظر إلى فضل حسن الخلق والتأدب مع حديث رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٣].

فالحمد لله على هذا الدين القيم الطيب.

الحمد لله على الحنيفية السمحة.

ولقد أحسن من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أيها الإخوة، ولعظيم أثر حسن الخلق فقد اجتمعت في رسولنا محمد ﷺ مكارم الأخلاق!

لقد اجتمعت فيه خصال الخير من حياء وكرمٍ وشجاعةٍ ووفاءٍ ونجدةٍ وشهامةٍ وحسن استقبال وحلمٍ وإكرام يتيمٍ وحُسن سريرة وصدقِ حديث وعفةٍ وطهارة وزكاء نفس وسائر خصال الخير.

وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

وصف موجز وبليغٌ تصف به أم المؤمنين الفقيهة العالمة رسول الله ﷺ وصف شامل وجامع «كان خلقه القرآن» صلوات ربي وسلامه عليه.

(١) أخرج مسلم (٧٤٦) من طريق هشام بن عامر قال: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق النبي ﷺ كان القرآن.

خلقه هذا القرآن الذي ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢].

خلقه القرآن، ذلكم الكتاب الذي: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] كتاب مبارك ما فرط الله فيه من شيء!!

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١- ٤٢].

جمع هذا الكتاب المبارك مكارم الأخلاق خير جمع ونظمها خير نظم، وسار به رسول الله ﷺ خير سيرة وقام به خير قيام.

فلزمنا الفقه في كتاب الله وتدبر آياته فقد أمرنا الله بذلك وحثنا عليه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ولزمنا أيضًا النظر في سيرة رسولنا ﷺ والتأسي به وطاعته صلوات الله وسلامه عليه.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

فلا بد ولا مفر من النظر في سيرة الرسول ﷺ واتباعها لمن أراد التحلي بمكارم الأخلاق.

وقد كانَ النبي ﷺ في مستهل دعوته إلى التوحيد يأمر أيضًا مع دعوته بمكارم الأخلاق وفقنا الله وإياكم لجميع الأخلاق، وهدانا الله وإياكم سبل السلام وكسانا الله وإياكم حُلَّتها وجلبابها.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كانَ غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

أما وقد سمعتم بارك الله فيكم شيئًا من الوارد في فضل حسن الخلق، كسانا الله وإياكم ثوبه، وأسدل الله علينا وعليكم حلله.

فلا يخفى على البيت أن الثواب كي يعظم والدرجات كي ترتفع، يلزم أن المبتغى من وراء حسن الخلق وجه الله سبحانه وتعالى. فلا تُحسَّن الأخلاق كي يقال إن فلانًا حسن الخلاق إنما تُحسَّن الأخلاق امتثالًا لأمر الله عز وجل وطلبًا لثوابه تبارك وتعالى.

فإذا أردت أن تتحلى بالكرم مثلًا، وأن تكتسي بثيابه فليكن عطاؤك وكرمك لله سبحانه وتعالى.

فإذا أعطيت تعطي لله، وإذا أكرمت تكرم لله وإذا منعت تمنع لله.

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٨- ٩].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٨- ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

وإذا تخلقت بالصبر، وذلك العطاء الواسع فليكن صبرك على جهالات الناس وحماقات الناس ابتغاء وجه ربك، لا ليقال عنك صابر.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢].

وإذا شهدت شهادة فاشهد لله: قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ [الطلاق: ٢]. فلا تشهد ليقال عنك قوال بالحق.

ولكن اجعل شهادتك وكلمتك لله سبحانه: طلبًا لثوابه وابتغاء رضوانه.

إذا تعلمت فتعلم لله، وإن جاهدت فجاهد لله، وإذا أنفقت فأنفق لله.

فإنك إذا تعلمت ليقال عالم، سعرت بك النار، وكذلك إذا جاهدت ليقال مجاهد، وكذلك إذا أنفقت ليقال عنك منفق، وبهذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ:

ففي صحيح مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

---

(١) مسلم (حديث ١٩٠٥).

ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» .

إذا تبسمت في وجه إخوانك فاجعل هذه الابتسامة لله، وابتغاء وجه الله حتى يكتب لك الأجر العظيم وفي الحديث: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[(١)] وفي صحيح مسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلق أخاك بوجه طلق»[(٢)] .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنها سيئها إلا أنت.

(١) الترمذي (١٩٥٦) بسند فيه مقال، لكن يشهد له ما بعده.
(٢) مسلم مع النووي (٥/ ٤٨٣).

اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

اللهم احشرنا في عداد الطيبين، واحشر نساءنا وبناتنا في عداد الطيبات يا أرحم الراحمين.

اللهم ارفع درجاتنا في عليين، وألحقنا بالمنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم ارحم إخواننا واشف مرضانا واستجب دعاءنا وفك أسرانا يا رب العالمين.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا يا رب العالمين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وعاشروهن بالمعروف

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بلَّغ عن الله وأدّى ونصح لأمته خير نصح وبيَّن لهم خير بيان.

أما بعد..

فاعلموا بارك الله فيكم أننا كمسلمين لا يسعنا أن نفعل ما شئنا ونترك ما شئنا، بل نحن عبيدٌ لله مستسلمون لأمره منقادون لشرعه، يأمرنا فنسمع ونطيع!

ينهانا فننكف وننزجر وننتهي ونجتنب!

ألا فاعلموا بارك الله فيكم أننا مأمورون بحسن معاشرة نسائنا فقد قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فما دامت الزوجة قائمة بأمر الله، ثم مطيعة للزوج فيما لا يسخط الله،

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي طيبوا أقوالكم وحسِّنوا أفعالكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله.

فليس لنا خيار في إحسان المعاشرة أو إساءتها.

بل يلزمنا حسن العشرة، وإلا فإحسان المفارقة هذا، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

أي أن المرأة إذا كانت مطيعة، فليس لك أن تلتمس العلل، وتبحث عن الأسباب لإيذائها، وإلحاق الضرر بها، فإن فعلت فاعلم أن الله أكبر منك، وأقدر عليك من قدرتك على زوجتك.

هذا، وكما هو معلوم فأسوتنا دومًا هو رسولنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

أما وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُم لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي».

فأذكر نفسي وإخواني بشيء من هدي رسول الله ﷺ في معاملته مع أزواجه، سائلًا الله سبحانه وتعالى أن يرزقني وإياكم حسن الخلق، وحسن المعاملة، وأن يتفضل علينا بعظيم الأجر وجميل الثواب.

ألا واعلموا بارك الله فيكم أن المرأة ليست كالرجل!

والفتاة ليست كالفتى!

لقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

فالنسوة رقيقات القلوب، سريعات التأثر، قريبات الدمع، فضلًا عن ضعف البدن ونقصان العقل والدين.

فلا تتعامل مع المرأة بفظاظة وغلظة، وجلافة وجفاء، لقد قال رسول الله ﷺ: «يا أنجشة رويدك، رفقًا بالقوارير»(١).

صحيح أن الرجل هو القيم على المرأة كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] لكن هذه القوامة ليس معناها أن يكون الأمر مصحوبًا بفظاظة وغلظة، ولا أن يكون النهي مصحوبًا بجلافة وجفاء.

بل القوامة تحتاج إلى رفق ولين، فهذا نبينا محمد ﷺ خير البشر عليه أفضل الصلاة وأتم تسليم صاحب الخلق الكريم القويم مع كوننا أمرنا بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه، فقد رزقه الله عز وجل اللين وأمره بخفض الجناح للمؤمنين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

---

(١) أخرجه البخاري «مع الفتح ١٠/ ٥٣٨» ومسلم (٥/ ١٧٧) وقد شبه رسول الله ﷺ النساء بالقوارير، وأمر أنجشة أن يتلطف في إنشاده وهو يحدو للإبل فإن الإبل إذا سمعت صوت الحادي أسرعت، فخشي على النساء من سرعتها أن يسقطن أو أن يتضررن.

وأمر صلوات الله وسلامه عليه بالرفق فقال: «عَلَيْكِ بالرِّفْقِ»[(١)].

وحث عليه بقوله: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[(٢)].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»[(٣)].

«وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[(٤)].

فإذا كان الله عز وجل أمر الزوجة بطاعة زوجها فيلزم الزوج كما أسلفنا أن يكون سهلًا لينًا رفيقًا حليمًا كذلك.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الزوجة سكنًا لزوجها فليكن رحيمًا بها وعلى مودة معها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

---

(١) مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) مسلم (٢٥٩٤) أيضًا.
(٣) البخاري (٦٠٢٤).
(٤) مسلم (٢٥٩٣)، وفي رواية لمسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير عن النبي ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ».

والمرأة إذا كانت صالحة فهي خير متاع يكتنزه الزوج، قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[١].

فحري بالرجل أن يكون خيِّرًا كريمًا مع أهله، قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[٢].

والمرأة أسيرة عند الرجل كما قال النبي ﷺ: «فإنَّما هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُم»[٣] أي أسارى عندكم فلهذا مع غيره جاءت وصايا رسول الله ﷺ بالنساء، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ... وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[٤].

وفي «صحيح ابن حبان» من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرأة كالضِّلَع إِنْ أَقَمْتَهَا كسرْتَهَا فدَارِهَا تَعِشْ بِهَا»[٥].

ولقد كان النبي ﷺ حسن المعاشرة لطيفًا في المداعبة مع أهله، وفي الوقت نفسه يحثهن على طاعة الله عز وجل والإكثار من العبادة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٦٥٦).
(٢) أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح بمجموع طرقه (٢/ ٤٧٢).
(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٣) من حديث عمرو بن الأحوص مرفوعًا، وسيأتي إن شاء الله.
(٤) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٢٥٢)، ومسلم (ص ١٠٩١).
(٥) أخرجه ابن حبان بإسناد صحيح «موارد الظمآن» (١٣٠٨).

فمن صور تلطفه ومداعبته مع أهله ما أخرجه البخاري ومسلم[(١)] في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ تَسْمَعُ اللَّهْوَ».

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: «**يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**» قالت: نعم[(٢)].

تأتيه زوجته وهو معتكف، فيجلس معها يحدثها في معتكفه ساعة، ثم يقوم معها يردها إلى قريب من بيتها[(٣)].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٤)] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي.

فها هي أم المؤمنين عائشة وقد تزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين ومكث معها تسع سنين تلعب مع زميلاتها وصويحباتها بالبنات (وهي الصور التي كانت تصنع من العهن أو

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٠)، ومسلم (في طرق حديث ٨٩٢).

(٢) عزاها الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٤٤) إلى النسائي، وصحح إسنادها.

(٣) أخرج البخاري (حديث ٢٠٣٥)، ومسلم (١٧١٢) من حديث صَفِيَّةَ بنت حيي رضي الله عنها أم المؤمنين أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا... الحديث.

(٤) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٥٢٦)، ومسلم مع «النووي» (٥/ ٢٩٥).

من القطن على هيئة بنات) فيدخل النبي ﷺ فتختفي صويحباتها فيرسلهن رسول الله ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها يلعبن معها، فأي حلمٍ بعد هذا مع الزوجة!!

ويحبس[1] النبي ﷺ (أي: يؤخر الجيش) للبحث عن قلادة أسماء التي فقدت من عائشة رضي الله عنها في السفر[2].

وفي «صحيح البخاري»[3] أن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها سُئِلَتْ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ.

❑ وروى أبو داود[4] بإسناد حسن لغيره من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «... لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ إِلَّا ثَلَاثٌ: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ».

وقد حث رسول الله ﷺ على ملاعبة الأهل ومداعبتها، فأخرج البخاري في «صحيحه»، ومسلم[5] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «... أَتَزَوَّجْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلْ

(١) ومحل هذا إذا لم يكن فيه مشقة على عموم المسلمين.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ - أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ - انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ ... الحديث.
(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ١٦٢).
(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١٣) وللحديث شواهد ذكرتها في كتابي «جامع أحكام النساء» (أبواب الأدب...).
(٥) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٤٧)، ومسلم (حديث ٧١٥) من عدة وجوه.

ثَيِّبًا قَالَ: «فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ» قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: «أَمْهِلُوا؛ حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَيْ: عِشَاءً - لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ».

ويدعوه رجل إلى وليمة فيشترط[1] على الرجل أن يصطحب أهله معه فقد أخرج مسلم من حديث أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ جارًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارِسِيًّا كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ فَقَالَ: «وَهَذِهِ» لِعَائِشَةَ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا» فَعَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَذِهِ» قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا» ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَهَذِهِ» قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ[2].

ويجلس عليه الصلاة والسلام مستمعًا إلى أم المؤمنين عائشة وهي تقص عليه حديث النسوة اللاتي جلسن وتعاقدن على أن لا يكتمن من خبر أزواجهن شيئًا ألا وهو حديث أم زرع، وهو حديث طويل ومع ذلك لا يمل رسول الله ﷺ من عائشة وهي تَقُصُّه عليه.

فقد يقول قائل كيف يجلس النبي ﷺ هذا الوقت الطويل مع عائشة يستمع إليها، وجواب ذلك أن الأهل لهم حق، وفي أداء هذه الحقوق أجر وثواب، بل وفي أدائها التخفف من تبعات.

فحسن المعاشرة مطلوب والترفيه عن الأهل بين الحين والآخر مطلوب.

---

(١) وليس هذا في كل الأحوال.

(٢) أخرجه مسلم حديث ٢٠٣٧).

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَتَّقِي الْكَلَامَ وَالِانْبِسَاطَ إِلَى نِسَائِنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، هَيْبَةَ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا شَيْءٌ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ تَكَلَّمْنَا وَانْبَسَطْنَا.

رزقنا الله وإياكم حسن الخلق، وأسبغ الله علينا وعليكم آلاءه ونعمه الظاهرة والباطنة. ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.

---

(١) مسلم مع «النووي» (١٧/ ٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٨٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعد..

فمع هذه المعاشرة الطيبة التي قد سمعتموها عن نبيكم محمد ﷺ ومع هذا الخلق الحسن الذي اطلعتم عليه، إلا أن رسول الله ﷺ لم يكن يتوانى ولا يفتر عن تقديم النصح لأزواجه.

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه يقوِّم المرأة من نسائه إذا صدرت منها بوادر اعوجاج فالنساء ناقصات عقل ودين.

فإن صدرت منها زلة علمها وأدبها فهو قيم عليها كما أسلفنا، وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لرسول الله ﷺ مشيرةً إلى قِصر أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها... حسبُك من صفية هكذا (تعني أنها قصيرة)، فماذا قال رسول الله ﷺ لعائشة أحب امرأةٍ[1] إليه؟! قال عليه الصلاة والسلام: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»[2].

أي (باصطلاحنا في مصر) إنها كلمة تنجس بحرًا.

---

(١) سئل النبي ﷺ من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة...».

(٢) أخرج الترمذي بإسناد صحيح (٢٥٠٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا - كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: «لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ».

فمع محبته لها عليه الصلاة والسلام لم يتركها تخوض في عرض أختها المسلمة وتغتابها وتأكل من لحم أختها الميتة.

☐ ولما رأى[(١)] النبي ﷺ النمرقة في بيت عائشة ورأى التصاوير فيها اشتد على أم المؤمنين عائشة وقام على الباب فلم يدخل حتى نزعتها.

ولا تمنعه محبته عليه الصلاة والسلام لعائشة من أن يكون منصفًا معها مقتصًّا منها لغيرها إن احتاج الأمر إلى قصاص.

أخرج البخاري[(٢)] من حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.

---

(١) أخرج البخاري مع «الفتح» (٤/ ٣٢٥)، ومسلم (٨/ ٢١٣) من حديث أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٢٥).

ونحوه عند النسائي(١) بإسناد صحيح من حديث أُمّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ(٢) فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ» مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ.

وأخرج أبو يعلى الموصلي(٣) بإسناد حسن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أتيتُ النبي ﷺ بخزيرةٍ قد طبختُها لهُ فقلتُ لسودةَ - والنبي ﷺ بيني وبينها -: كُلي. فَأَبَتْ فقلتُ: لتأكلِنَّ أو لألطخن وجهك، فَأَبَتْ فوضعتُ يدي في الخزيرة فطليتُ وجهها. فضحك النبي ﷺ فوضع بيدهِ لها وقال لها: «الطخي وجْهَهَا»، فضحك النبي ﷺ، فمر عمر فقال: يا عبدَ الله، يا عبد اللهِ فظن أنه سَيَدخُل فقال: «قوما فاغسلا وجوهَكُما». فقالت عائشة: فما زلت أهاب عُمر لهيبةِ رسولِ الله ﷺ.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم حسن الخلق وحسن التعامل مع الناس ومع الزوجة على وجه الخصوص.

اللهم وفقنا لكل ما يرضيك عنا.

اللهم وفقنا لاتباع كتابك وسنة نبيك ﷺ.

---

(١) النسائي (٧/ ٧٠).

(٢) فهر أي: حجر.

(٣) أبو يعلى (٧/ ٤٤٩).

اللهم أصلح لنا أزواجنا وبارك لنا فيهن وفي ذرياتنا يا رب العالمين.

اللهم أصلح بنات المسلمين ونساء المسلمين.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

اللهم اجمعنا مع أزواجنا في الفردوس ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين.

واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

واقض الدين عنا وعن المدينين.

وفك أسرانا وأسرى المسلمين.

وصل اللهم وسلم على نبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنْ محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فتعلمون جميعًا بارك الله فيكم أن الحقوق ستؤدى إلى أهلها يوم القيامة صغيرة كانت، أو كبيرة، فقد قال رسول الله ﷺ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[(١)].

قال ﷺ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا»[(٢)].

فكل ذي حق سيطالب بحق، والقصاص يومها شديد والأمر يومها عصيب، إذ القصاص بالحسنات والسيئات فقد يؤخذ من حسنات العبد، وقد يطرح عليه من سيئات الآخرين كما في حديث المفلس[(٣)] الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أنْ يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»[(٤)].

ألا فاعلموا بارك الله فيكم أن الزوجين لكل واحد منهما على الآخر حق كما قال النبي ﷺ «إِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.
(٣) أخرجه مسلم حديث (٢٥٨١).
(٤) البخاري (١٩٧٥) ومسلم ص (٨١٧).
(٥) قال سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما، وأقره على ذلك النبي ﷺ بقوله: «صدق سلمان» البخاري (١٩٦٨).

وفي رواية: «ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»(١).

فهذه الزوجة العطوف عليك الآن، الحانية المشفقة ستفر منك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٠﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ [عبس: ١٠ - ١٢].

فالصاحبة هي الزوجة.

هذه الزوجة ستطالب بحقها إن كان لها حق، فكل نفس نفسي نفسي.

فعليك بارك الله فيك أن تعرف حق زوجتك عليك، وهل ضُيِّع معك أم أنك قد أديت ووفَّيت؟!!

وكذلك على الزوجة أن تعرف حق زوجها عليك، وإن كان قد أُدي أم لا؟

ألا فاعلموا أن لنسائكم عليكم حقًا، وإن لكم على نسائكم حقًا، وذلك كما قال النبي ﷺ في خطبته الفاذة الجامعة في حجة الوداع: «ألا إن لكم على نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا»(٢).

فنذكر في هذا المقام بحقوق كل زوج على الآخر، سائلين الله لنا ولكم العصمة من الزلل، ومتعوذين له من أن نظلم أن نُظلم راجين من الله الأمن يوم الوعيد.

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وسيأتي إن شاء الله.
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

فنقول، وبالله التوفيق، إن الزوجة لها من الحق عليك أن تذكرها بما يقربها من الله عز وجل، وأن تحثها عليه، وأن ترغبها فيه!! ولها أن تحذرها مما يسخط الله عز وجل عليها، وأن تنفرها من ذلك.

- إذ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: ٦].

- وقال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

- وقال النبي ﷺ لمالك بن الحويرث ومن معه: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ»(٢).

إن لك على زوجتك هذه القوامة، وأن تسمع لك وتطيع في المعروف.

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

ومن حقها عليك أن ترفق بها.

---

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٣/ ٢٣١)، ومسلم (حديث ٦٧٤).
(٢) مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة ﵂.

❑ فقد أمر صلوات الله وسلامه عليه بالرفق فقال: «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ»(١).

❑ وحث عليه بقوله: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(٢).

❑ وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»(٣). «وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(٤).

❑ فإذا كان الله عز وجل أمر الزوجة بطاعة زوجها فيلزم الزوج كما أسلفنا أن يكون سهلًا لينًا رفيقًا حليمًا كذلك.

ولكن أن تقومها إذا اعوجت وإن صدرت منها زلة علمها وأدبها فهو قيم عليها كما أسلفنا، وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لرسول الله ﷺ مشيرةً إلى قِصر أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها... حسبُك من صفية هكذا (تعني أنها قصيرة)، فماذا قال رسول الله ﷺ لعائشة أحب امرأةٍ(٥) إليه؟! قال عليه الصلاة والسلام: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»(٦).

---

(١) مسلم (٢٥٩٤) أيضًا.
(٢) البخاري (٦٠٢٤).
(٣) مسلم (٢٥٩٣)، وفي رواية لمسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير عن النبي ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ».
(٤) سئل النبي ﷺ من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة...».
(٥) أخرج الترمذي بإسناد صحيح (٢٥٠٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا - كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: «لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ».
(٦) أخرج البخاري مع «الفتح» (٤/ ٣٢٥)، ومسلم (٨/ ٢١٣) من حديث أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ =

فمع محبته لها عليه الصلاة والسلام لم يتركها تخوض في عرض أختها المسلمة وتغتابها وتأكل من لحم أختها الميتة.

ولما رأى[١] النبي ﷺ النمرقة في بيت عائشة ورأى التصاوير فيها اشتد على أم المؤمنين عائشة وقام على الباب فلم يدخل حتى نزعتها.

ولا تمنعه محبته عليه الصلاة والسلام لعائشة من أن يكون منصفًا معها مقتصًّا منها لغيرها إن احتاج الأمر إلى قصاص.

أخرج البخاري[٢] من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.

= عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ».

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٢٥).

(٢) أخرج البخاري (٥١٩٣)، ومسلم (١٠٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

من حقك على زوجتك أن تحفظ فراشك ولا تأذن لأحدٍ على تكرمتك إلا بإذنك. قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤]. أي فالصالحات مطيعات لأمر الله ثم للأزواج حافظات لأنفسهن ولبيوتهن في غياب أزواجهن.

وقد قال ﷺ أيضًا فيما تقدم من الحديث: «**ولا تأذن لأحدٍ على تكرمته إلا بإذنه**».

من حقك عليها أن لا تمنع من فراشك ومن حقها عليك الإعفاف.

فأخرج البخاري ومسلم(١) مِنْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**».

وفي رواية لمسلم(٢) مِنْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**».

ومن حق زوجتك عليه أن تعفها ولا تذرها كالمعلقة.

فكم من مشكلة تثار في البيوت إما من الرجل وإما من المرأة ويكون من ورائها امتناع الآخر من الجماع فإذا تم سكنت النفوس بإذن الله وهدأت الأعصاب وارتاح البال، وقد حث رسول الله ﷺ ورغَّب فيه وبيَّن أن فيه

(١) مسلم (٣/ ٦١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) مسلم (٢/ ٤٣).

الأجر.

وقد قال رسول الله ﷺ[(١)]: «وَفِي بُضْعِ[(٢)] أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُم لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا».

وأيضًا فقد أوصى رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله رضي الله عنها وكان راجعًا من سفر بالجماع، إذ قال له: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَالكَيْسَ الْكَيْس»[(٣)].

قال بعض العلماء: هذه وصيته بالجماع وقال آخرون: إنها الحث على التماس الذرية والأولاد.

وكما أنك تحب أن تتزين لك زوجتك وأن تتطيب لك ولا تخرج لك برائحة الثوم والبصل والكراث، فتزين لها أنت كذلك، فإنها تحب ما تحب!

تحب منك الرائحة الطيبة، تحب منك المظهر الجميل وقد قال تعالى:

---

(١) قال النووي رحمه الله: قوله ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» هو بضم الباء، ويطلق على الجماع، ويطلق على الفرج نفسه، وكلاهما تصح إرادته هنا. وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقة، فالجماع يكون عبادة إذا نوي به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعًا من النظر إلى حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة.

(٢) البخاري (٢٠٩٧) ومسلم (١٠٨٩).

(٣) مسلم حديث (٩١).

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَال**»(١).

ولما سئل النبي ﷺ أي النساء خير؟ قال: «**التي تَسُرُّه إِذَا نَظَر، وَتُطِيعُه إذا أَمَر، ولاَ تُخَالِفُه فِي نَفْسِهَا، وَمالَهَا بِمَا يَكْرَه**»(٢).

فمن دواعي إدخال السرور على الرجل أن يدخل على امرأته فيجدها امرأة جميلة مكتحلة متزينة تلبس جميل الثياب تضع جميل الطيب وكذلك فالمرأة ترجو في زوجها مثل هذا.

وليس لك ولا لها أن تتزين بمحرم فلا يجوز لها أن تتنمص، ولا يجوز لها أن تستوشم، ولا يجوز لها أن تصل برأسها شعرًا، ولا يجوز لها أن تتلفج، فإن فعلت فإنها معلونة.

❑ ففي «الصحيحين»(٣) من طريق عَلْقَمَةَ قَالَ: لَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ (يعني ابن مسعود) الْوَاشِمَاتِ(٤) وَالْمُتَنَمِّصَاتِ(٥) وَالْمُتَفَلِّجَاتِ(٦) لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ

(١)

(٢) أحمد (٢/ ٢٥١) بإسناد صحيح.

(٣) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٣٧٧)، ومسلم (٤/ ٨٣٦).

(٤) الواشمة: هي التي تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش، وقد تكثره وقد تقلله، وفاعلة هذا واشمة، قاله النووي رحمه الله.

(٥) أما النامصة: فهي التي تنقش الحاجب حتى تُرقَّه، والمتنمصة المعمول بها. قاله أبو داود، ومن العلماء من أطلق ذلك على عموم شعر الوجه بالنسبة للمرأة.

(٦) أما المتفلجات للحسن: فهن مفلجات الأسنان، وهن اللواتي يبردن ما بين أسنانهن =

اللَّهِ، فَقَالَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ: مَا هَذَا؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ فَمَا وَجَدْتُهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَئِنْ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وكذلك لا تصل شعرًا بشعرها لأن النبي ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة[١]، وصح عن عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا فَقَالَ: «لَا إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمُوصِلَاتُ»[٢].

❑ وإذا دعاها للجماع وهي حائض فلا تطيعه لأن الله يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

❑ وكذلك إذا طلب منها أن يجامعها في دبرها لا تطيعه لأن النبي ﷺ لعن من فعل ذلك[٣].

= بالمبرد كي يبدو للناس أنهن صغيرات حسناوات. (أما إذا كان التفلج لعلة طبية كأن تكون الأسنان تجرحها فلا بأس، لأن الحديث فيه والمتلفجات للحسن...) والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٣٧٤)، ومسلم (٤/ ٨٣٠) من حديث أسماء رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٠٥)، ومسلم (ص١٦٧٧).

(٣) وهذا بمجموع طرقه صحيح.

❑ ولا تصف له امرأة أجنبية لغير علة فيُفضي ذلك إلى المكروه والمحرم، فقد أخرج البخاري[(١)] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»[(٢)].

❑ وبالجملة فلا يطيع الزوج امرأته في معصية الله، ولا تطيع المرأة زوجها في معصية الله وذلك حتى تدوم المودة فيما بينهما، فالمودة نعمة من الله عز وجل تذهبها المعصية، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

فيستحب لك أن تذكرها بالله عز وجل وتحثها على صلاة النفل بعد الفرض، كما يستحب لك أن تذكرك كذلك.

أخرج الإمام أحمد في «مسنده»[(٣)] بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ».

وطرق النبي ﷺ عليًّا وفاطمة ليلة فقال لهما: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»[(٤)].

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٣٣٨).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: قال القابسي: هذا أصل لمالك في سد الذرائع فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة.

(٣) «المسند» (٢/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٢٤)، ومسلم (٧٧٥) من حديث علي رضي الله عنه.

وفي «صحيح البخاري»[(١)] أيضًا من حديث أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قالَتِ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ؟ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ».

ولك أن تلاعبها وتتلطف بها.

واحذر الافتتان بها.

أما ملاعبتها، فقد كان النبي ﷺ حسن المعاشرة لطيفًا في المداعبة مع أهله، وفي الوقت نفسه يحثهن على طاعة الله عز وجل والإكثار من العبادة.

❑ فمن صور تلطفه ومداعبته مع أهله ما أخرجه البخاري ومسلم[(٢)] في «صحيحيهما» من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَنْظُرُ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الحريصة على اللَّهْوَ.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها: «يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟» قالت: نعم[(٣)].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم[(٤)] من حديث عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ:

---

(١) البخاري (حديث ١١٥).
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٩٠)، ومسلم (في طرق حديث ٨٩٢).
(٣) عزاها الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٤٤) إلى النسائي، وصحح إسنادها.
(٤) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٥٢٦)، ومسلم مع «النووي» (٥/ ٢٩٥).

كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي.

أما عدم الافتتان بها، فلقول الله تعالى: قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤].

❑ وقال النبي ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «... فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٢).

❑ فليحذر المسلم من هذا أشد الحذر، فمن الناس من يحمله حبُّه الزائد لزوجته على عقوق والديه وقطيعة رحمه والإفساد في الأرض، ومن ثَمَّ تحل عليه اللعنة كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

❑ ومن الناس من يحمله حبه لزوجته على أن يكتسب المال من الحرام

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما مرفوعًا.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

لإمضاء رغباتها وإشباع شهواتها.

❑ ومن الناس من يتقاتل مع جيرانه وأهل بلده من أجل كيد زوجته وإفسادها وتدبيرها.

وها هو نبينا محمد ﷺ يعاتبه ربه سبحانه وتعالى فيقول له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ②﴾ [التحريم: ١-٢].

والاقتصاد مع الزوجة واقتصاد الزوجة مع زوجها أصل له أدلته من سنة رسول الله ﷺ.

فأخرج البخاري(١) وغيره من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً(٢) فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ له: كُلْ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ له النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).
(٢) أي: أنها لابسة ثياب المهنة، والمراد: أنها تاركة للباس الزينة وغير متزينة في نفسها.

وأخرج البخاري ومسلم [(١)] من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ [(٢)] عَلَيْكَ حَقًّا ...» الحديث.

لك أن تهجرها في المضجع إذا نشزت.

وإذا استمرت في النشوز لك أن تضربها.

ولكنه ضرب غير مبرح، ضرب غير مؤثر، ضرب غير مشين ولا فاضح.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ أصل النشوز: هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة المستكبرة على زوجها وتحب معصيته وخلافه.

وقوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي ذكّروهن بكتاب الله، وبما فيه من حق الزوج على زوجته، وبسنة رسول الله ﷺ وما فيها من بيان حق الزوج على زوجته وإثم مخالفة الزوجة لزوجها. والله أعلم.

(١) البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (ص٨١٧) فما قبلها.
(٢) الزور: الضيف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ قال بعض أهل العلم: إن المراد بالهجر هجر الجماع بمعنى أنه يكون معها في فراش واحد ولا يجامعها.

وقال بعضهم: إن المراد بالهجر هجر كلامها.

وقال بعضهم: يهجر الفراش.

والجمهور على أن المراد بالهجران هنا: ترك الدخول عليهن والإقامة عندهن على ظاهر الآية.

أما الضرب ففيه قول النبي ﷺ: «واضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّح»[(١)] والمبرح هو الشديد.

وينبغي أن لا يُلجأ إلى الضرب إلا في حالة الضرورة واستنفاذ محاولات الإصلاح والوعظ وعدم جدوى الهجر في المضجع، وذلك لما أخرجه مسلم[(٢)] من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا الهجران لا يكون إلا في البيت، والضرب لا يكون في الوجه.

وأخرج أبو داود[(٣)] بإسناد صحيح من حديث مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) حسن لغيره، وأخرجه الترمذي (١١٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).
(٣) أخرجه أبو داود (٢١٤٢).

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ - أَوِ إذا اكْتَسَبْتَ - وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ».

لك عليها أن تكسوها حق الكسوة لما سبق من الحديث وتكسوها إذا اكتسيت. وليس لها أن تتبرج أمام الأجانب.

فقد قال ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَات لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ولاَ يَجِدْنَ رِيحَها».

فالحذر الحذر من التبرج.

وختامًا.

أيها الزوج . . .

احذر الطلاق فإنه يسعد الشيطان.

احذر الافتتان بالزوجة.

احذر من تسييبها!

وكذا فاحذر من الشكوك فيها، وكذلك لا يدخل رجل أجنبي بيتك في غيابك.

احذر المخبب الذي يفسدك على زوجتك، وكذلك فلتحذره هي الأخرى.

إياك أن تعيرها بشيء في خلقتها فهي لا تملك من أمر نفسها شيئًا، وأنت كذلك لا تملك من أمر نفسك شيئًا.

عليك بطلاقة الوجه فقد قال ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(١)].

ولكن إذا انتهكت حرمات الله فلا تسكت حينئذ بل عظِّم حرمات الله، فإن تعظيمها من تقوى القلوب نسأل الله أن يلهمنا وإياكم الرشد والسداد، وأن يأخذ بأيدينا بنواصينا للبر والتقوى.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) أخرجه مسلم (٦٢٢٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد

فقد سمعتم بارك الله فيكم شيئًا مما يتعلق بحقوق كل زوج على الآخر، وختامًا وتلخيصًا.

ماذا تكلفك يا عبد الله البسمة في وجه زوجك عند دخولك على زوجتك كي تنال الأجر من الله؟!!

- ماذا تكلفك طلاقة الوجه عند رؤيتك أهلك وأولادك؟!!
- هل يضيرك ويرهقك يا عبد الله أن تقبل على زوجتك تقبلها وتلاعبها وأنت داخل عليها؟!!
- هل يشق عليك أن ترفع لقمة وتضعها في فِيِّ امرأتك حتى تنال الثواب؟!!
- هل من العسير أن تدخل البيت فتلقي السلام تامًّا كاملًا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حتى تنال ثلاثين حسنة[1]؟!!

---

(١) أخرج أبو داود (٥/ ٣٧٩) من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». وإسناده صحيح.

- ماذا عليك إذا تكلمت كلمة طيبة ترضي بها زوجتك ولو تكلفت فيها، وإن كان فيها شيء من الكذب المباح؟!!
- سل عن زوجتك عند دخولك عليها وسل عن أحوالها.
- لا أظن أنك ترهق وتتعب إذا قلت لزوجتك عند دخولك: يا حبيبتي منذ خروجي من عندك صباحًا إلى الآن وكأن قد مرَّ عليَّ عام!!
- إنك إذا احتسبت وإن كنت متعبًا، وأقبلت على أهلك تجامعها فلك الأجر والثواب من الله لقول النبي ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».
- هل سترهق يا عبد الله إذا دعوت وقلت: اللهم أصلح لي زوجي وبارك لي فيها.
- كلمة طيبة صدقة.
- طلاقة وجهٍ وتبسمٌ في وجهها صدقة.
- إلقاء سلام فيه حسنات.
- مصافحة فيها وضع للخطايا.
- جماعٌ فيه أجر.

اللهم أصلحنا وأصلح لنا أزواجنا وذرياتنا.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

اللهم أذهب عنا وعن أهالينا الرجس وطهرنا وإياهم تطهيرًا.

اللهم اجمعنا وأزواجنا وذرياتنا مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واغفر زلاتنا، وارفع درجاتنا.

اللهم وفق أئمة المسلمين للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ، وارزقنا الطاعة وحسن الاستقامة على كتابك وسنة نبيك ﷺ يا رب العالمين

وصل اللهم على نبينا محمد ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فضل عمر وقصة مقتله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

تعلمون - بارك الله فيكم - ما تمر به أمة محمد ﷺ وما يعتريها من كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

عدوان عسكري على بعض دولها!

وسلب ونهب لثرواتها وخيراتها!!.

حملة ثقافية لتغيير معالم الأمة ومناهجها.

إعلامٌ منصوبٌ لإفساد شبابها ونسائها!!.

أراجيف وأكاذيب وطعون في المعتقدات، وتشويه للحقائق!!.

بغيٌ وتطاول!! ظلم وعدوان!! تلبيس وتضليل!!.

كل ذلك لصرف الناس عن دينهم!!.

ومع ذلك شرك بالله عز وجل وتبارك وتعالى، وسب وشتم لرسول الله ﷺ، ونيل من صحابته الكرام الأتقياء البررة الأوفياء.

وقد يتساءل متساؤل: ما وجه الطعن في الصحابة الكرام؟ وماذا يستفيد الطاعنون في دينهم من وراء ذلك بزعمهم؟

إن طعن الطاعنين في الصحابة يؤول بهم وينتهي بهم إلى الطعن في سُنَّة رسول الله ﷺ.

ومن ثَمَّ إلى تحريف معاني الكتاب العزيز، فالسنة تُفسر القرآن، فإذا كُذِّب الصحابي فمن ثَمَّ تركت السنة التي رواها عن رسول الله، ومن ثَمَّ تلاعب من شاء بكتاب ربه.

فلزمنا أن نذبَّ عن أصحاب نبينا محمد ﷺ، ولزمنا الدفاع عنهم.

وكان من هؤلاء الفضلاء الذين أردنا تناول سيرتهم **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه

فنفخر بأن نقدِّم شيئًا من فضائل أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ.

أفضل هذه الأمة بعد نبيها - صلوات الله وسلامه عليه - وبعد أبي بكر رضي الله عنه[(١)].

إنه الفاروق عمر الذي أعزَّ الله به الإسلام، وأعزه الله بالإسلام!!.

لقد قال رسول الله ﷺ قبل أن يُسلم عمر: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»[(٢)]، فكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرَ رضي الله عنه.

وبعد أن أسلم عمر، قال ابن مسعود رضي الله عنهما: «مَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»[(٣)].

إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة كما ورد في حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ[(٤)]

ولقد قال رسول الله ﷺ لأبي موسى في شأن عمر: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ

(١) لقد سُئل علي رضي الله عنه: أي الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قيل: ثم من؟ قال: ثم عمر.

(٢) الترمذي (٣٦٨١). وهو صحيح لشواهده.

(٣) البخاري (٣٦٨٤).

(٤) أخرجه أحمد بسند صحيح لغيره (١/ ١٨٨)، وفيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ».

بِالجنَّةِ»[١].

ذلكم الصحابي الجليل العالم[٢] المؤمن ذو الدين:

لقد قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ - يَعْنِي اللَّبَنَ - حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ»، فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: «الْعِلْمَ»[٣].

ولقد قال أيضًا: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ»[٤].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ»، فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٤٠): والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، واختص عمر بذلك؛ لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة، فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف، ومع ذلك فساس عمر فيها - مع طول مدته - الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعًا في خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له، فنشأت من ثَمَّ الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله، واستخلف علي، فما ازداد الأمر إلا اختلافًا، والفتن إلا انتشارًا.

(٣) البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

(٤) البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

ولقد قال عبد الله بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»[(١)].

ذلكم العبقري المُحدَّث المُلهم:

لقد قال النبي ﷺ[(٢)]: «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ[(٣)] نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ[(٤)] غَرْبًا[(٥)]، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا[(٦)] يَفْرِي فَرِيَّهُ[(٧)] حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ»[(٨)].

---

(١) البخاري (٦٦٣٢).
(٢) البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣).
(٣) الذنوب: هو الدلو المملوءة بالماء.
(٤) استحالت: أي صارت وتحولت. قاله النووي (٥/ ٢٥٣).
(٥) غربًا: قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٩): غربًا بفتح المعجمة، وسكون الراء بعدها موحدة أي دلوًا عظيمةً.
(٦) العبقري: هو السيد. قاله النووي (٥/ ٢٥٣)، وفي معناه أقوال أخر انظر «الفتح» (٧/ ٣٩).
(٧) في بعض روايات الصحيح: «فلم أر عبقريًا ينزع نزع عمر»، وهي تفسير يفري فريه. أما فريه فرويت بفتح أولها وسكون الراء وفتح التحتانية، ورويت بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد التحتانية المفتوحة. انظر «الفتح» (٧/ ٣٩).
(٨) قال النووي (٥/ ٢٥٣): ومعنى ضرب الناس بطعن أي أرووا إبلهم، ثم أووها إلى عطنها وهو الموضع الذي تساق إليه بعد السقي لتستريح، وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٧/ ٣٩): هو مُناخ الإبل إذا شربت ثم صدرت.

وقال ﷺ(١): «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».

زَادَ زَكَرِيَّاءُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعْدٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ».

ذلكم الذي جعل الله الحق على لسانه:

أخرج الترمذي(٢) بإسنادٍ صحيح لغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».

ولقد قال طارق بن شهاب: «كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسانه ملك»(٣).

ذلكم الصحابي الجدُّ الغيور:

أخرج البخاري ومسلم(٤) من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ

---

(١) البخاري (٣٦٨٩).
(٢) الترمذي (٣٦٨٢)، وانظر متابعات هذا الحديث عند عبد بن حُميد (٧٥٦) في «المنتخب» بتحقيقي.
(٣) أحمد (٣٤١).
(٤) البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ.

وأخرج البخاري أيضًا من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: «سَأَلَنِي ابْنُ عُمَرَ عَنْ بَعْضِ شَأْنِهِ - يَعْنِي عُمَرَ - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِينَ قُبِضَ كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»[1].

لقد وافق هذا الصحابي الكريم ربه عز وجل في جملة آيات:

وافقه في قوله: «يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مُصلى»، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

ووافقه في الأمر بالحجاب، وفي أُسارى بدر، وفي النهي عن الصلاة على المنافقين، وفي قوله تعالى لأزواج نبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ ... الآيات.

أخرج البخاري من حديث عمر[2] قال: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»[3].

(١) البخاري (٣٦٨٧).
(٢) البخاري (٤٠٢).
(٣) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١/ ٥٠٥):

وفي «الصحيحين»(١) من حديث ابن عمر: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ أَوْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ فَقَالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. **فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ**»، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤].

وفي «صحيح مسلم»(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «... فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ

وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها قصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في الصحيح، وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: «ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن فيه على ما قال عمر». وهذا دالٌّ على كثرة موافقته.

(١) البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).
(٢) مسلم (١٧٦٣).

عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»** - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . . . إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

إن الشيطان يفرُّ من هذا الصحابي الجليل، والنسوة يهبنه:

في «الصحيحين»[(١)] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»**. قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ

(١) البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).

قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

وعند الترمذي[(١)] بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ».

لقد تُوفي عمر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ عنا راضٍ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)].

ها هي قصة مقتله نسوقها لما فيها من العبر والفوائد:

أخرج البخاري[(٣)] من طريق عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يُصاب بأيام بالمدينة... فذكر الحديث وفيه: «فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أَوِ النَّحْلَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ.

---

(١) الترمذي (٣٦٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرج البخاري (٣٦٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ أَبَا بَكْرٍ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، ثُمَّ صَحِبْتَ صَحَبَتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ».

(٣) البخاري (٣٧٠٠).

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي الْكَلْبُ - حِينَ طَعَنَهُ فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ!!، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: غُلَامُ الْمُغِيرَةِ قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ - وَكَانَ الْعَبَّاسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا - فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ - أَيْ إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا - قَالَ: كَذَبْتَ بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ.

فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَجَاءَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدَمٍ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَةٌ قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْغُلَامَ، قَالَ:

يَا ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِثَوْبِكَ وَأَتْقَى لِرَبِّكَ. يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا أَوْ نَحْوَهُ قَالَ: إِنْ وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنِّي هَذَا الْمَالَ. انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ وَلَا تَقُلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي وَلَأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ قَالَ: ارْفَعُونِي فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذِنَتْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا،

وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ، فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ وَقَالَ: أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الْإِسْلَامِ وَجُبَاةُ الْمَالِ وَغَيْظُ الْعَدُوِّ وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالْأَعْرَابِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ وَيُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ. فَأُدْخِلَ فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ».

ألا فرضي الله عنك يا عمر، وأسكنك فسيح الجنان.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا...



الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ...

وبعد:

فقد سمعتم - بارك الله فيكم - شيئًا عن عمر رضي الله عنه، وقصة مقتله، بل حقيقة قصة استشهاده.

فقد كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»(١).

فعمر رضي الله عنه شهيد، وما ذكرناه شاهدٌ لذلك.

أما عن الفوائد المستنبطة من قصة مقتله رضي الله عنه فها هي بعضها:

من هذه الفوائد: حرص عمر على تسوية الصفوف.

فيشرع للإمام أن يسوي الصفوف، وقد حثَّ رسول الله ﷺ على ذلك في جملة من الأحاديث.

كقوله ﷺ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»(٢).

ومنها: حرص عمر رضي الله عنه على أن لا يعذب أحدٌ بسببه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٢) البخاري حديث (٧١٧)، ومسلم حديث (٤٣٦).

وذلك من قوله: «الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام».

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»(١).

ومنها: مشروعية إطالة القراءة في صلاة الفجر.

وذلك لقوله: «وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى».

وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر ما بين الستين إلى المائة(٢).

وكما تعلمون أن الله قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

والمراد بقرآن الفجر: القرآن الذي يُتلى في صلاة الفجر.

هذا؛ والحال في الإطالة أو التقصير ينبني على حال المصلين وقدراتهم.

وفي قصة عمر أيضًا من الفقه: استخلاف الإمام من ينوب عنه في الصلاة إذا عرض له عارض.

كما استخلف عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٢٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) البخاري (٧٧١)، وفيه: كان يقرأ في الركعتين أو إحداهما ما بين الستين إلى المائة.

ومن ذلك: تواضع عمر مع فضله وعبادته، وذلك في قوله وقد أُثني عليه: «وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي».

ومن ذلك: نهي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المنكر حتى وهو في حال الاحتضار.

وذلك من قوله: «يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك».

والأحاديث في النهي عن إسبال الإزار كثيرة معلومة:

ومنها: الحرص على سداد الديون.

فتعلمون - بارك الله فيكم - أن الديون أمرها عسير يوم القيامة.

فحتى الشهيد يُغفر له كل ذنب إلا الدين[(١)]. كما قال النبي ﷺ.

ومنها: جواز إرسال الرجل السلام إلى المرأة.

وذلك إرسال عمر السلام إلى عائشة ، ومحل ذلك إذا كانت الفتنة مأمونة.

ومن ذلك: استئذان عمر في المكان الذي سيُدفن فيه، فلا يحب عمر أن يُدفن في أرض مغصوبةٍ، وكذا فلا يجوز لشخص أنْ يسكن في منزل مغصوب رغم أنف أصحابه.

ومن الفوائد: استحباب الدفن بجوار الصالحين.

---

(١) مسلم (حديث ١٨٨٦).

وقد سأل موسى ربه عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر[(١)].

وفي القصة فضائل بعض الصحابة رضي الله عنهم: كعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

ومن الفوائد: إنصاف عمر وعدله، حتى مع ولده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ومن ذلك: دفع الشُّبه عن سعد رضي الله عنه، فأراد عمر أنْ يظهر براءة ساحة سعد مما قد يُظَنُّ به، فإن عمر قد عزله عن إمرة الكوفة، فقد يفهم شخص أن هذا العزل لطعنٍ في سعد رضي الله عنه.

نسأل الله أن يُفقهنا في الدين، وأن يلحقنا بنبينا الأمين ﷺ.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وأقم الصلاة.

---

(١) أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وطرفٌ من حديث الإفك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فالحديث عن أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وعن عفتها وبراءتها وإيمانها.

- حديثٌ عن عائشة الفقيهة العالمة.
- عن عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما .

إن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

إنها زوجة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة:

قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما : «وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[(٢)] .

بل وفي «مستدرك الحاكم» بسند صحيح لشواهده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟»، قالت: بل والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»[(٣)] .

---

(١) البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠).
(٣) الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠)، وقال: والحديث صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

لقد خُيِّرت رضي الله عنها لما أُنزلت آية التخيير(١) فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة:

ففي «الصحيحين»(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «... فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا، وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمًا﴾»، قُلْتُ: أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ فَقُلْنَ مِثْلَ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ».

وفي رواية لمسلم(٣) من حديث جابر رضي الله عنه: ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ، بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ».

أما عن منزلتها من رسول الله ﷺ:

فهذا بعض الوارد في بيان تلك المنزلة.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

(٢) البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١١١١).

(٣) مسلم (١٤٨٧).

أخرج البخاري ومسلم[١] من طريق أبي عثمان: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ». فَعَدَّ رِجَالًا فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ.

وقال عمر رضي الله عنه لابنته حفصة رضي الله عنها[٢]: «يَا بُنَيَّةِ لَا يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَائِشَةَ -، فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَبَسَّمَ».

ولقد كان النبي ﷺ حريصًا على أن يُمرَّض، بل وأن يموت في بيت عائشة رضي الله عنها:

ففي «الصحيح»[٣] عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» - يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ - فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللَّهُ، وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي، ثُمَّ قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى صَدْرِي».

---

(١) البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).
(٢) البخاري (٥٢١٨)، ومسلم (ص١١٠٨).
(٣) البخاري (٤٤٥٠).

إنْ النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها:

أخرج البخاري[١] في «صحيحه» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله: أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا». تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا».

وفي «الصحيح»[٢] من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الْخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا».

وهذا شأن جبريل عليه السلام مع عائشة رضي الله عنها:

لقد قال النبي ﷺ لعائشة[٣]: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ»، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى - تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -».

---

(١) البخاري (٥٠٧٧).
(٢) البخاري (٣٧٧٥).
(٣) البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

وفي «الصحيح»(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ».

وهذا ثناء ابن عباس رضي الله عنهما عليها:

أخرج البخاري(٢) من طريق ابن أبي مليكة قال: «اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ، قَالَتْ: أَخْشَى أَنْ يُثْنِيَ عَلَيَّ. فَقِيلَ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ قَالَتْ: ائْذَنُوا لَهُ. فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ قَالَتْ: بِخَيْرٍ، إِنِ اتَّقَيْتُ. قَالَ: فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ، وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ فَقَالَتْ: دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَى عَلَيَّ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا مَنْسِيًّا».

وهذا ثناء أُسيد بن حُضير رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها:

أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ - أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ - انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْتِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالُوا: أَلَا

---

(١) البخاري (٥١٢٥).
(٢) البخاري (٤٧٥٣).
(٣) البخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسِ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ فَقَالَ: حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾.

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ. قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصَبْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ».

وهذا ثناء أبي موسى رضي الله عنه على علمها:

أخرج الترمذي[١] بإسناد حسن عن أبي موسى قال: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا».

وكم من الأحاديث روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ.

وكم من المسائل الفقهية بثتها أم المؤمنين ووفقت فيها ولله الحمد.

فكم انتفع بها من منتفع، وكم استفاد منها من مستفيد، رضي الله عنها وأرضاها، وأسكنها فسيح جناته.

---

(١) الترمذي (٣٨٨٣).

لقد أنزل الله عز وجل براءتها من فوق سبع سموات لما طعن فيها الطاعنون، وبرأ الله ساحتها في آيات تُتلى في المحاريب، وتُحفظ في الصدور، وتثبت في المصاحف، وتُعلَّم في الكتاتيب:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١ - ٢٠]

أما الإفك فهو: أشد الكذب - أسوأ الكذب - والافتراء والبهتان، والمراد به هنا الفرية التي رُميت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وقيل أيضًا في تعريف الإفك: الكذب الذي يتحير الشخص من شدته،

والبهتان الذي لا تشعر به حتى يفجأك.

وقوله: ﴿عُصۡبَةٌ﴾: أي جماعة، وقيل: جماعة يتعصب بعضهم لبعض.

﴿تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾: قام بنشر معظمه وإفشاء أكثره - بدأ بالخوض فيه ونشره -.

وقوله: ﴿لَوۡلَآ﴾: هلا.

﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر - واضح - جلي - بيِّنٌ.

﴿أَفَضۡتُمۡ فِيهِ﴾: تكلمتم فيه - وأكثرتم من الحديث فيه - خضتم في الحديث فيه - تحدثتم بتوسعٍ واستفاضة بدون تحفظ.

﴿تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾: تقولونه - تتلقونه - يأخذه بعضكم عن بعض ويتلقاه بعضكم من بعض.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ٣٧] - ينقله بعضكم عن بعض.

وقول آخر: تستمرون فيه وتسرعون بالكذب، من قوله: ولق في الشيء إذا استمر فيه.

والمعنى: تستمرون في كذبكم.

﴿هَيِّنٗا﴾: سهلًا - يسيرًا.

﴿بهتان﴾ : افتراء – كذب مُحير – والبهتان ذكر المسلم بما يكره بما ليس فيه، كما في الحديث: «وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

﴿يَعِظُكُمُ﴾ : يُذكركم – يُحرم عليكم – ينهاكم (نهيًا مصحوبًا بالوعيد).

﴿تَشِيعَ﴾ : تنتشر وتُذاع وتظهر وتفشو.

﴿ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ : الزنا – وقيل: الفرية والاتهام والرمي بالزنا واللواط ونحو ذلك –.

أما ما هذا الإفك؟ ومن الذي تولى كبره؟ ومن التي رُميت به؟

فهذا الإفك هو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة.

والذي تولى كبره هو عبد الله بن أُبي بن سلول. وذلك لما ورد في «الصحيحين»[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «وَكَانَ الَّذي تَوَلَّى كِبرَهُ عَبدُ اللهِ بنُ أُبَي بن سَلُول».

ومما ساهم في نشر هذا الإفك وبثه: عبد الله بن أُبي بن سلول، وهو الذي تولى كبره كما قدمنا، ومنهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك.

وثم آخرون، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم عُصبة.

وما وجه الخير في هذا الإفك؟

الخير في هذا من وجوه:

(١) البخاري (٤٧٤٩)، ومسلم (٢٧٧٠).

فقد قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾ [النور: ١١].

ومن وجوه الخير في هذا الإفك ما يلي:

أولًا: أنْ من رُمي بهذا الإفك قد اكتسب ثوابًا عظيمًا؛ لكونه ابتُلي وظُلم فصبر وعفا، ومن صبر على البلاء فهو مأجور، ومن عفا فهو من المحسنين الذين ادخرت أجورهم عند الله.

ثم هذا الذي رُمي بهذا الإفك، وهو عائشة وصفوان رضي الله عنهما يأخذان من أجور وحسنات من رماهما وقذفهما وطعن في عرضهما، فالمظلوم يأخذ من حسنات ظالمه كما في حديث المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج، ويأتي قد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا... فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار[1].

وأيضًا فخطايا من رُمي ومن ابتُلي فصبر تُكفر ويغفرها الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: كل من أهمه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر نسائه، وأمر المؤمنين وأحزنه؛ فإنه مأجور، فالهم الذي يُصيب المؤمن يُؤجر عليه المؤمن.

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

ثالثًا: في المحن يظهر المحب من المبغض والصديق من العدو، فيعرف المؤمنون المحب لهم والمُبغض والصديق والعدو.

رابعًا: إظهار عفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان فضلها وبيان براءة حرم النبي ﷺ، وذلك في قرآن يُتلى في المحاريب، ويُحفظ في الصدور، وتعمر به قلوب أهل الإيمان.

خامسًا: تأديب المؤمنين وتعليمهم إذا حدثت لهم مثل هذه الأحداث، وبيان كيفية التصرُّف في مثل هذه المواطن.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...

وبعد:

فقد سمعتم بعض ما ورد في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهذه آداب نتأدب بها:

فمن الآداب التي أدَّب الله بها المؤمنين في مثل هذه الأحوال؛ أحوال انتشار الشائعات والطعن في المؤمنين والمؤمنات ما يلي:

أولًا: على المؤمن أن يظن الخير بإخوانه المؤمنين وأخواته المؤمنات، فإذا نقل له عن أخيه المؤمن أو عن أخته المؤمنة خبرٌ يشين ويُحزن، وخبرٌ يحمل طعنًا في أعراض إخوانه المؤمنين والمؤمنات، فعليه حينئذ أن يُكذِّب هذا الخبر الذي يحمل طعونًا في المؤمنين والمؤمنات وفي أعراضهم، ويقول بملء فيه عن هذا الخبر الذي لم تصاحبه البينات: هذا إفك مبين، هذا كذب واضح وظاهر، وذلك تبرئة لساحة إخوانه المؤمنين وأخواته المؤمنات، وحماية لأعراضهم وصونًا لكرامتهم.

وإلى هذا الأدب أرشدنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

وقد ورد عن بعض الصحابة ﵃ أنهم تصرفوا مثل هذا التصرف من الظن الحسن بإخوانهم المؤمنين وأخواتهم المؤمنات:

فقد أخرج الطبري[(١)] وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟

قالت: لا، والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ [النور: ١١]، وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا. ثم قال: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الآية [النور: ١٢] أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

ثانيًا: على أهل الإيمان أن يتثبتوا في أمورهم بالبينات والدليل والبرهان، فلا يترك أهل الكذب والافتراء يخوضون في أعراض المؤمنين والمؤمنات وينتهكوها، بل يطلب من هؤلاء البينات والدلائل والبراهين على صدق مدعاهم، فإذا أتوا بالبينات والدلائل والبراهين أخذ بها وأقيم الحد على مستحقه، وإذا لم يأت هؤلاء الظلمة بالبينات فحينئذ يحكم عليهم بما يستحقونه شرعًا ودينًا من إقامة حدود الله عليهم ووصفهم بالكذب والفسق.

---

(١) ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٨/ ٧٧) وفيه إبهام رجال بني النجار ولا أدري أهم صحابة أم لا؟

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾ [النور: ١٣].

فلقد تقوى الظنون وتكثر الوساوس والهواجس لكثرة كلام الناس، وليس هناك بينات، فإن تداقعت عليك الظنون وكثرت عليك الوساوس فعليك حينئذ أن تطالب بالبينات الظاهرة، ألا وهي الشهود هاهنا، فإذا لم يأت القذفة بالشهود فأولئك عند الله هم الكاذبون.

ثالثًا: على المؤمن أن ينظر في حجم الكلام وفي أبعاده، وبمن يتعلق هذا الكلام وذاك الحديث، فليس كل الكلام يُتكلم به، وليس كل حديث يُخاض فيه، وعرض المسلم ليس كعرض الكافر، والمؤمن الصالح أعظم حرمة من الفاسق الكذاب.

فإذا اتُّهم رجل من أهل الفضل والصلاح وطُعن في عرضه، فاتهامه والطعن في عرضه أعظم جرمًا بلا شك من الطعن في عرض غيره.

فلا تسمح لشخص يطعن في أهل الصلاح أمامك، لا تسمح لشخص يخوض في أعراضهم وأنت ساكت، بل ذُب عن أخيك المسلم وعن عرضه وعن حماه!! والزم الأدب ولا تخض مع الخائضين، ولا تهلك مع الهالكين، قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور: ١٦].

صدقت يا رب فيما قلت، فحقًّا ليس لأهل الإيمان أن يخوضوا في مثل هذه القاذورات، ولا في مثل هذه الطعون، ولا في تلك البذاءات.

ليس لأهل الإيمان أن يتناولوا الأعراض، وأعراض من؟ أعراض بيت النبوة، أشرف بيتٍ على وجه الأرض!!.

فابتداءً ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء؟

فهل يليق بالمؤمن أن يطعن في بيت نبيه ﷺ !! هل يليق به أن يتوارد على ذهنه أو على قلبه سوءٌ في شأن بيت نبيه ﷺ وبيت أزواجه اللواتي هن أمهات المؤمنين؟!!

فحقًّا ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ!!.

نسأل الله أن يحفظ لنا ألسنتنا.

اللهم احفظ لنا ألسنتنا، واعصمنا من الزلل والشطط.

اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

وأقم الصلاة.

❀ ❀ ❀

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حديث الإفك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد:

فقد سمعتم - بارك الله فيكم - في خطبة سبقت شيئًا عن أمكم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبعض الوارد في فضلها.

وهذا بشيء من التفصيل حديث الإفك كما روته أم المؤمنين عائشة ﵂، وبعض المستفاد منه.

ففي قصص الصالحين عبرٌ وعظاتٌ وفوائد ومنح.

أما عن الحديث الوارد في ذلك، وهو سبب نزول الآيات السابقة:

فقد أخرجه البخاري ومسلم(١) من حديث عائشة ﵂ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ(٢)، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ(٣) قَدِ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ(٤) الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي(٥) فَحَمَلُوا هَوْدَجِي(٦)، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

---

(١) البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، واللفظ له.

ذكر النووي رحمه الله من حاشية مسلم بترتيب محمد فؤاد معاني هذه المفردات.

(٢) آذن ليله بالرحيل: روى بالمد وتخفيف الذال، وبالقصر وتشديدها، أي أعلم.

(٣) عقدي من جزع ظفار: العقد نحو القلادة، والجزع خرز يماني. وظفار هي قرية باليمن.

(٤) الرهط: هم جماعة دون العشرة.

(٥) يرحلون لي: أي يجعلون الرحل على البعير.

(٦) هودجي: الهودج مركب من مراكب النساء.

قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ[١] وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ[٢] مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي[٣] الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ[٤] مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَادَّلَجَ[٥] فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ[٦] نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ[٧] حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي[٨] بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[٩] فَهَلَكَ مَنْ

---

(١) لم يهبلن: ضبطوه على أوجه: أشهرها ضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة، أي يثقلن باللحم والشحم، قال أهل اللغة: يقال هبله اللحم وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه.

(٢) العلقة: أي القليل.

(٣) فتيممت منزلي: أي قصدته.

(٤) قد عرس: التعريس نزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة.

(٥) فادلج: الإدلاج هو السير آخر الليل.

(٦) فرأى سواد إنسان: أي شخصه.

(٧) فاستيقظت باسترجاعه: أي انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٨) فخمرت وجهي: أي غطيته.

(٩) موغرين في نحر الظهيرة: أي وقت القائلة وشدة الحر.

هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ[١] عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ[٢]، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي[٣] فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ[٤] الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ[٥]؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ[٦] وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ[٧] وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ[٨] قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ[٩] فِي التَّنَزُّهِ[١٠] وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي

---

(١) تولى كبره: أي معظمه.

(٢) يفيضون في قول أهل الإفك: أي يخوضون فيه.

(٣) يريبني: بفتح أوله وضمه، يقال: رابه وأرابه: إذا أوهمه وشككه.

(٤) اللطف: أي البر والرفق.

(٥) كيف تيكم: هي إشارة إلى المؤنثة، كذلكم في المذكر.

(٦) نقهت: بفتح القاف وكسرها، والناقه هو الذي أفاق من المرض وبرأ منه، وهو قريب عهد به، لم يتراجع إليه كمال صحته.

(٧) المناصع: هي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها.

(٨) الكنف: هي جمع كنيف. قال أهل اللغة: الكنيف الساتر مطلقًا.

(٩) الأول: ضبطوا الأول بوجهين: أحدهما: ضم الهمزة وتخفيف الواو، والثاني: الأول بفتح الهمزة وتشديد الواو، وكلاهما صحيح.

(١٠) التنزه: هو طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء.

رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا[(١)] فَقَالَتْ: تَعِسَ[(٢)] مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ[(٣)] أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ[(٤)] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ[(٥)] إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا[(٦)]. قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ[(٧)] لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ[(٨)]، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي

---

(١) في مرطها: المرط كساء من صوف، وقد يكون من غيره.
(٢) تعس: ومعناه عثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بعد، وقيل: سقط بوجهه خاصة.
(٣) أي هنتاه: قالوا: هذه اللفظة تختص بالنداء، ومعناه يا هذه، وقيل: يا امرأة. وقيل: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم.
(٤) وضيئة: هي الجميلة الحسنة، والوضاءة: الحسن.
(٥) ضرائر: جمع ضُرة، وزوجات الرجل ضرائر؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى، بالغيرة والقسم وغيره، والاسم منه الضِر، بكسر الضاد، وحكي ضمها.
(٦) كثرن عليها: أي أكثرن القول في عيبها ونقصها.
(٧) لا يرقأ: أي لا ينقطع.
(٨) ولا أكتحل بنوم: أي لا أنام.

طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ[١] يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ[٢] عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ[٣] فَتَأْكُلُهُ.
قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ[٤] مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**»، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

---

(١) استلبث الوحي: أي أبطأ ولبث ولم ينزل.
(٢) أغمصه: أي أعيبها به.
(٣) الداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى، ومعنى هذا الكلام أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلًا، ولا فيها شيء من غيره، إلا نومها عن العجين.
(٤) استعذر: معناه أنه قال: من يعذرني فيمن آذاني في أهلي، كما بينه في هذا الحديث، ومعنى من يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلمني، وقيل: معناه من ينصرني، والعذير الناصر.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا -، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ[(١)] فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ! لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ[(٢)]، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ[(٣)] وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

(١) (اجتهلته الحمية): هكذا هو هنا لمعظم رواة «صحيح مسلم»، (اجتهلته) بالجيم والهاء، أي أغضبته وحملته على الجهل.

(٢) (فثار الحيان: الأوس والخزرج): أي تناهضوا للنزاع والعصبية.

(٣) (وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله): معناه إن كنت فعلت ذنبًا، وليس ذلك لك بعادة، وهذا أصل اللمم.

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي[١] حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ! مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ! مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ: لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِنِّي وَاللَّهِ! لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ! مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ[٢] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ

(١) (قلص دمعي): أي ارتفع لاستعظام ما يعيبني من الكلام.
(٢) ما رام: أي ما فارق.

الْبُرَحَاءِ[١] عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ[٢] مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[٣] مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ[٤] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ». فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي. قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي.

قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ -: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ[٥] مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢]: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٤].

قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ! إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

---

(١) البرحاء: هي الشدة.
(٢) ليتحدر: أي ليتصبب.
(٣) الجمان: الدر، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ، في الصفاء والحسن.
(٤) (فلما سري): أي كشف وأزيل.
(٥) ولا يأتل أولو الفضل: أي لا يحلفوا، والألية: اليمين.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي(١) وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي(٢) مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا(٣) فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ».

فهذا حديث الإفك كما روته عائشة رضي الله عنها.

سلمنا الله وإياكم من الإفك والزور والبُهتان.

ألا فاستغفروا ربكم إنه كان غفارًا.



(١) أحمي سمعي وبصري: أي أصون سمعي وبصري من أن أقول: سمعت ولم أسمع، وأبصرت ولم أبصر.

(٢) وهي التي كانت تُساميني: أي تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانها عند النبي ﷺ وهي مفاعلة من السمو، وهو الارتفاع.

(٣) وطفقت أختها تحارب لها: أي جعلت تتعصب لها، فتحكي ما يقوله أهل الإفك.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فقد سمعتم - بارك الله فيكم - حديث الإفك، كما روته أم المؤمنين.

وهذه بعض الفوائد المستنبطة من هذا الحدث:

أولًا: ظهرت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفي ذلك إكرام عظيم لها، وتبرئة عظيمة لساحتها، وكيف لا وهي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق.

وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافرًا مرتدًا بإجماع المسلمين.

قال ابن عباس وغيره: «لم تزن امرأة نبي من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهذا إكرام من الله تعالى لهم».

ثانيًا: ظهرت جملة من المناقب لعددٍ من أصحاب النبي ﷺ:

منها: فضيلة لأبي بكر في عفوه عن مسطح بن أثاثة امتثالًا لأمر الله ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢].

فمن الذي يتحمل أن يطعن طاعن في عرضه ويقذف ابنته بالفاحشة ثم يؤمر بالعفو عنه؟

لا يكاد يتحمل ذلك إلا من وفقه الله.

وفضيلة لزينب أم المؤمنين التي عصمها الله بالورع.

وفضيلة لسعد بن معاذ، وأُسيد بن الحُضير لدفاعهم عن رسول الله ﷺ، وصفوان بن المُعطل رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثًا: يُؤخذ من الحديث مشروعية الاستشارة، فقد استشار النبي ﷺ عددًا من أصحابه كما هو واضح في الحديث، استشار عليًّا، وأسامة، وزينب، وبريرة رضي الله عنهم أجمعين.

رابعًا: يؤخذ أيضًا الأدب في التعامل مع النساء.

خامسًا: يُؤخذ من القصة مشروعية التثبت من الأخبار والمحافظة على أعراض المؤمنين والمؤمنات، وحفظ اللسان.

هذا وثم فوائد أُخر ذكرها العلماء في هذا المقام. وفقنا الله وإياكم لكل خير.

اللهم زدنا علمًا وفقهنا في الدين.

اللهم احشرنا مع المُنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا.

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهم ارض عن أصحاب نبيك محمد ﷺ.

واحشرنا معهم في الفردوس يا رب العالمين. وأقم الصلاة.

فهرس

فهرس